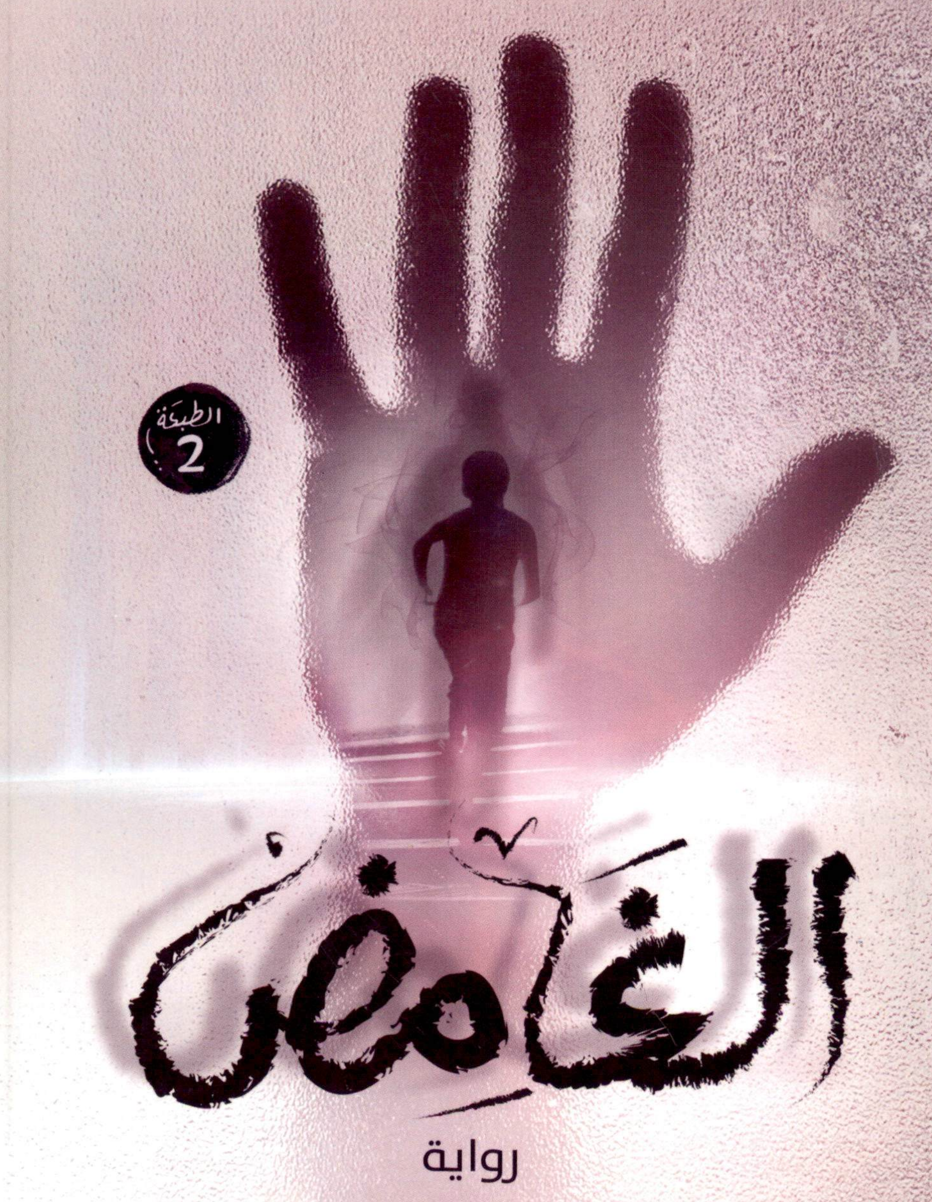


الغامض

رواية

عبد الحميد عبد اللطيف

دار اكتب

الغامض

الغامض

رواية

عبد الحميد عبد اللطيف

تصميم الغلاف: محمد عيد

تدقيق لغوي: خالد رجب عواد

رقم الإيداع:27227 /2015

I.S.B.N: 978-977-488-434-4

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة: 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة.

المدير العام: يحيى هاشم

هاتف: 01144552557 - 01147633268

E – mail:daroktob1@yahoo.com

Facebook: دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية ، 2016م

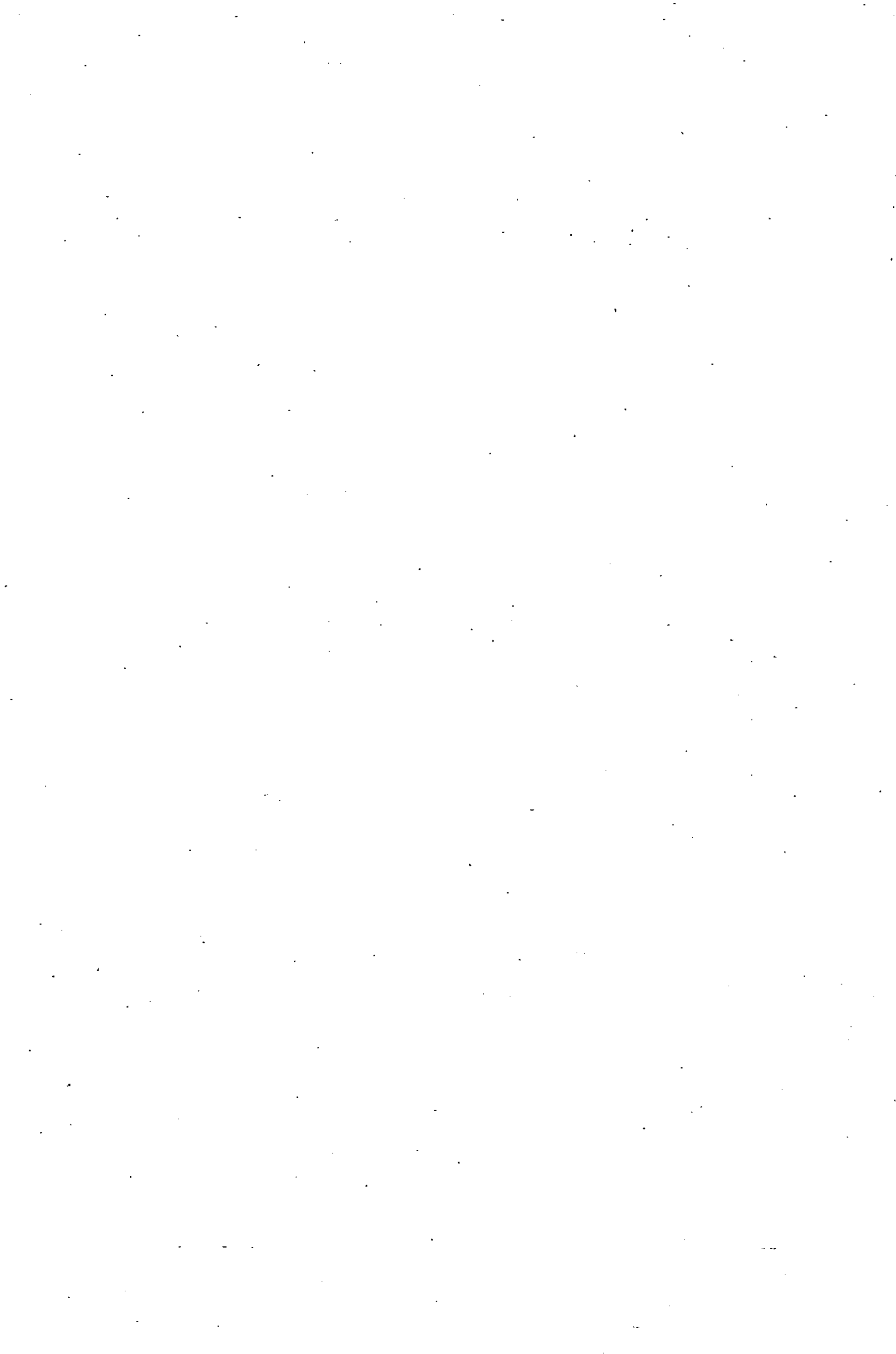
الغامض

عبد الحميد عبد اللطيف

رواية



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

لأبويا اللي اداني الموهبة..

وكبرها جوايا وعرفني ع القرايا..

إهداء لأمي اللي عملتني من غير ما تعرف..

إزاي أعاند مع حلمي وماسلمش..

إهداء لبنت كان نفسي تفهم..

بس يا خسارة مافهمتش..

إهداء لكل واحد صاحبي إداني زقة..

ولإي حد إداني ودنه وقت زنقة..

إهداء لألواني المتكسرة..

ولعساكري البلاستيك..

ولجيوبي اللي شالت إيديا..

والليل والاستغامية وإسكندرية.



"من خاف الشعور بالألم عاش متألمًا من الخوف"



1
أنا

لن يكون ما كان.. وما كان كنت أظنه لن يكون.. لكن.. كان ما كان.. وما لم أظنه سيكون.

***

" وإنك ماتقدرش تحكي أي حاجة.. اللي سكن جوا منك بيمنعك من ده لسبب مجهول فيزيد ألمك أكتر وأكتر.. تعرف انت معنى الألم، معنى الدموع، الضياع، معنى إنك تشوف الموت كل يوم وكل ليلة بعينيك وبعدين تنجى منه.. الجهل لحاجة انت مش عارفها.. كنت بواجه المجهول وكان لازم غصب عني أواجه..إن كنت عايز تعرفني.. إن كنت عايز تعرف اسمي.. ها.. أنا ماليش اسم.. أنا غامض.. غامض حتى بيني وبين نفسي ".

***

دائما ندرك قيمة ما بأيدينا عندما نعلم أنه لن يكون بأيدينا بعد الآن، عندما نصل إلى نهايته، فلو علمنا أن اليوم هو آخر يوم لنا في تلك الحياة وأن غدًا سيكون الرحيل عن هذا العالم، لبدأت الأفكار تأتي مهرولة إلى رأسنا الصغير، وزارتنا ملايين وملايين الأشياء مطالبة إيانا أن نفعلها، مع أنه لو كان هو نفسه ذات اليوم دون أن نعلم؛ لوجدت نفسك مستلقيًا على فراشك متقلبًا هاربًا من تلك الحياة المملة.. لا تعلم ما الذي يجب عليك أن تفعله؟! متمنيًا الموت عن هذا الملل الرهيب، وهذا هو نحن!

هذا هو الإنسان، غريب مليء بالتناقضات!

واليوم.. ليس هو بآخر يوم في الحياة.. لكنه شيء قريب من هذا بالنسبة لي.. فاليوم هو آخر يوم بإجازة الصف الثاني الابتدائي، وسأذهب غدًا إلى الصف الثالث وإلى بداية الدراسة مرة أخرى. وكان كما يبدو على شكلي وملابسي ويدي المليئة بالطين أني أحاول الاستمتاع بآخر أيامي إلى أقصى درجة..

رننت جرس باب الشقة - مرة أُخرى - خائفًا من عقاب أمي، فعندما أخذتُ الكرة من أصدقائي، وأسرعت بها مهرولًا، وسارعوا هم خلفي محاولين الإمساك بي؛ لتقابل قدمي إحدى المخلفات المقذوفة في الطريق؛ لأفقد توازني، وأقع في بركة المياه المتخلفة من أثر المجاري.. كنت مليئًا بالطين حقًّا، ولكنها لم تكن أول مرة.. لذا أنا أعرف ما سوف يحدث، ومستعدًّا له.. بعد اللطمات البسيطة والكلام الغاضب والشتائم لن تضر إلى هذا الحد.

أنا (عمرو حسن) جئتُ إلى هذا العالم منذ تسعة أعوام مضت، ملامحي المصرية العادية، قمحي البشرة، بني العينين - يصبح لونهما عسليًّا في الشمس - مع تلك اللمعة التي بداخلهما، التي ربما تدل على ذكائي، منكوش الشعر دائمًا، ليس هو بالناعم الذي يطير خلفي؛ وليس هو بالجعد - إن نظرت إليه لن تستطيع أن تحدد له شكلًا معينًا - أنفي ليس بالصغير المنمق ولا بالكبير المفلطح، وكذلك عيناي ليستا مثل المغوليين، ولكنهما ليستا شديدتي الاتساع، لن تفرقني عن عود القصب، ربما هو أسمن مني قليلًا..

لست أنا بذلك الوسيم، ولكني لست بالقبيح.

إن رأيتني ستشعر أن هناك شيئًا ما - لن تدرك ما كنهه - مميزًا في وجهي، مميزًا في روحي، مميزًا بي يجعلك تحب النظر إليّ، وتحبني.. ستجذبك مشاكستي وحس دعابتي ومرحي معظم الوقت، وتجعلك تحبني أكثر وستنال نصيبك من مقالبي، وربما تهرول خلفي بسبب هذا.

فتحت أمي أخيرًا الباب؛ لأجد تلك النظرة في عينيها - التي ورثتُها عنها - عندما رأت الطين يملأ ملابسي ويدي وبعض مناطق وجهي؛ لأبتسم أنا ببلاهة، وليحدث ما توقعته، لكن ليس تمامًا. كانت نسبة الشتائم والكلام مُتساوية، لكن الغضب ومع دخول عصا المكنسة داخل الموضوع غيرته قليلًا.

استحممت، وبدلت ملابسي.. كان الوقت لا يزال قُبيل العصر، ولم يكن هناك من أحد بالمنزل إلا أمي فقط، فظللت جالسًا لاعبًا دور

المؤدب غير المشاغب أمام التلفاز، حتى انشغلت هي عني سريعًا بإعداد طعام الغداء، ولكن هذا لم يمنع أبي بين الحين والآخر كنتُ أسمعها تُكلّم نفسها مُخرجةً غضبها في صورة شتائم:

– قُلت لك مليون ألف مرة تبطل لعب الشوارع ده اللي مش جايب لنا غير وجع الدماغ..

طلبتُ من أذني إلّا تكمل السمع، وظللتُ جالسًا أمام التلفاز متابعًا الصور المتحركة، لكنها انتهت سريعًا.. فجاءت خطة بسيطة إلى رأسي، قد نفذتها من قبل وأدرك إنها فعالة، ظللت منتظرًا اللحظة المناسبة؛ لأنفذ ما أُخططُ له، حتى حانت تلك اللحظة، ظللت أتسحَّبُ على أطراف أصابعي، حتى وصلت إلى الباب، وظللت أقفز لقصر قامتي – لصغر سني – حتى استطعتُ أخيرًا فتحه بصعوبة، ومن ثم وبأقصى سرعة لدي انطلقت على الدرج حتى وصلت مرة أُخرى إلى الشارع، ولتنجح خطتي الصغيرة، للبدء مرة أُخرى باللعب مع أصدقائي، والحصول على أكبر قدر متاح من المرح.

وجدت (أكرم) أخي الوحيد الذي يكبرني بثلاثة أعوام يلعب بدراجته.. يشبهني أخي في معظم ملامحي؛ لكنه أبيض البشرة مثل أبي، وهناك ذلك النمش على خديه، شعره ذلك الذي يطير خلفه، وعيناه عينا أبي.. تركته ولم أُلقِ له بالًا، وسارعت إلى أصدقائي لأكمل معهم اللعب.. ولأجدهم متجمعين يتفقون على شيء ما، ربما هو اتفاق على مَنْ سيلعب مع من في كرة القدم، أو ربما يحاولون اكتشاف لعبة ما جديدة.. قفزت على ظهر صديقي الذي كان معه الكرة؛ لتقع

منه، فأخذهما بسرعة، وفي لحظة دهشة وغفلة الجميع أسرعت بها مهرولًا؛ ليهرولوا هم خلفي مرة أُخرى محاولين إمساكي.. ظللت أجري بها مع إحساس أني حر طليق كأني طائر في الهواء. كنتُ شديد السرعة، بارع في المراوغة، ولن يستطيعوا إمساكي بسهولة.. ظللت أراوغ خلف السيارات النائمة الملتفة بغطائها بالشارع حاصلًا على أكبر قدر من المتعة والمرح، قبل أن يعود أبي من عمله بعد قليل، مهندس هو في إحدى الشركات التي كان من الصعب عليّ أن أحفظ اسمها.. ولكنها إحدى شركات القطاع العام.. ومع أن مرتبها لا يقضي حاجاتنا، وأحيانًا لا يغطي مصاريفنا ومصاريف البيت، إلاّ إن أبي يحبنا كثيرًا، وقد كان حريصًا أن يدخلني أنا وأخي مدارس خاصة؛ لنحصل على أفضل تعليم.

كاد أحد أصدقائي أن ينجح بالإمساك بي،لكني استطعتُ الإفلات منه، وعندها لمحت أبي قادمًا من بدايةِ الشارع، كان الشارع الذي نسكن به بضواحي الإسكندرية،وكان مُغلقًا من طرف، مفتوحًا من الآخر. كانت السيارات التي تدخل للشارع هي سيارات الناس القاطنة به فقط؛ لذا كنا نلعب الكرة وجميع الألعاب الأخرى دون أن نتوقف قليلًا أو دون أن يضطر أهلنا إلى الخوف، بالإضافة إلى إقامتنا ببيت عائلة يحتوي على معظم أعمامي وجدي.

كان جميع الناس هنا يعرف بعضهم بعضًا، وكأنهم عائلة واحدة.. وإن استثنينا هذا الرجل الأصلع – الذي أتلف لنا الكرة منذ أيام لمجرد أننا كسرنا زجاج نافذته – ستكتشف وترى أن الجو العام أكثر

من رائع، وأن حياتي هي تلك المثالية الخالية من الأخطاء، أو ربما هي كذلك لطفل صغير.

كان أبي يحمل بعض أكياس الفاكهة مقتربًا أكثر، ولكنه لم يلمحني، فأسرعتُ بالكرة خلف السيارات؛ حتى لا يراني.. متفاديًا إياه ومتفاديًا أصدقائي بصعوبة ممتعة..

ظللتُ أسرع حتى وصلت لباب العمارة التي أقطن بها، فقذفت الكرة لأقرب صديق خلفي، قائلًا له بنبرة انتصار مخرجًا له لساني:

– محدش يقدر ياخدها مني.

ولأقفز الدرج سريعًا قبل أن يراني أبي حتى وصلت إلى باب شقتنا، حقًا حياتي رائعة.. أكل ونوم، ولعب ومرح طوال الوقت، لكن هل حقًا دوام الحال من المحال؟!

رنيت جرس الباب، لتفتح أمي بعد أن سمعتها وأنا أقف خارجًا تنادي عليّ حتى أفتح الباب لنفسي، فأفلتت مني ابتسامة لا إرادية، ولتجدني مرة أخرى أبتسم دون طين هذه المرة، وفي لحظة دهشتها واستغرابها نفذت أنا خطتي سريعًا، فهرولت من جانبها إلى داخل البيت مختبئًا أسفل فراشي، ولتأتي هي خلفي مسرعة. محاولة الإمساك بي، لكني ظللتُ صامدًا منتظرًا استكمال الخطة.. سيأتي الآن الإنقاذ.. الآن.. الآن.. الآن.. حتى تنجح خطتي بسماع جرس الباب مرة أخرى؛ لتبتعد أمي لتفتح مع مزيد من الغضب والشتائم ولأخرج أنا من أسفل فراشي – وفراش أخي – مبتسمًا ابتسامة النصر.

ذهبت لأجد أبي يحمل دراجة أخي، وأخي يحمل أكياس الفاكهة، ولتنسى أمي ما فعلته أنا أو تتناساه، ولتذهب إلى غرفة إعداد الطعام، لتضع الطعام الذي ظلت طوال النهار تعده لنا ولأبي.

كان أبي وأمي يحبان بعضهما البعض حتى ولو لم يظهرا هذا كثيرًا، ربما هو حب من نوع مختلف – إن كنت من الذين يؤمنون أن للحب أنواعًا – أو أنه وصل معهم إلى تلك المرحلة، حين يفهمان بعضهم البعض بمجرد النظرات، هو حب لا شك في هذا، أو ربما هو تعدَّى ذلك..

دلفت إلى غرفة إعداد الطعام فوجدت أمي تقول لي بحنان يشوبه قليل من الغضب:

– اغسل إيديك من لعب الشارع طول النهار.

وعندما رجعت إلى المائدة كان الطعام قد ظهر من العدم.. كانت الرائحة شهية بعد يوم طويل من اللعب، جلسنا نأكل طعام الغذاء ملتفين حوله بدفء عائلي رائع.

كنا نأكل وفي الوقت ذاته دار ذلك الحوار بيننا حول المدرسة غدًا وكيف تم الاستعداد لها.

عندما انتهينا فتح أبي التلفاز وجلسنا معًا أنا وهو وأخي نراقب ذلك الفيلم الكوميدي الرائع (لإسماعيل يس) بينما لحقت بنا أمي التي كانت تنظف المكان وترفع الأطباق عن المائدة حيث أكلنا..

كان الفيلم رائعًا، وضحكنا كثيرًا، لكنه كان في منتصفه فانتهى سريعًا، دلف أبي إلى غرفة نومه؛ ليأخذ قيلولة.. بينما لحق به أخي ونام بجانبه.. وظلت أمي تقرأ بالمصحف، وظللت أنا ألعب مع نفسي قليلًا، لم يكن لديَّ الكثير من الألعاب.. فقط عدد قليل من المكعبات، وذلك الرجل الآلي ذو الذراع الواحدة..لكني كنت بارعًا في التخيل، كنت أبدأ برسم القصة..

إن الرجل الآلي هو البطل، هذا مؤكد، فإن لم يكن هو من سيكون إذن.. المكعبات تكون هي أعداءه دائمًا أو العصابة أو الأشرار الذي يحاربهم.

دائما هناك الأميرة..الأميرة التي يحبها كثيرًا، وسيضحي بأي شيء حتى ينقذها من هؤلاء الأشرار الذين خطفوها ويعذبونها، حتى إن كان الثمن هو ذراعه الوحيدة أو حياته نفسها.. يجب أن يلقنهم درسًا لا ينسونه، سيدمرهم وينقذها ويعيشان في حب وسعادة.. كانت الأميرة خيالية فلم يكن لديَّ دمية لأجعلها الأميرة، لكنها رغم ذلك كانت موجودة.. أنا أشعر بها.. أنها هنا..هنا في مكان ما منتظرة والدموع على خدها، منتظرة الرجل الآلي أن ينقذها من المكعبات الشريرة، هو يعلم أنها هنا، لكن هل تعلم هي بوجوده؟ هل تعلم أنه يضحي بنفسه كي ينقذها؟!

كنت ألعب، قصتي الصغيرة وأنا جالس القرفصاء على الأرضية بجانب الشرفة المفتوحة.. والرجل الآلي والمكعبات أمامي.. كان بيتنا صغيرًا، يتكون من غرفتين، إحداهما لنوم أبي وأمي والأخرى بها

التلفاز وكَنَبَة كبيرة وفراش أنام به أنا وأخي، وتلك الشرفة التي ألعب بجانبها الآن وأمي جالسة أمامي على تلك الكَنبة العتيقة تقرأ..

ظللت مندمجًا باللعب، والآلي يحارب المكعبات الشريرة، حتى استدرت بحركة تلقائية حين خدعني طرف عيني بإحساس أن هناك ظلًا بالهواء يقف خلفي؛ لألمح منظر السماء..كنا نقطن بالطابق السادس، وكان منظر السماء قبيل المغرب رائعًا.. لكم أحبها حقًّا في هذا الوقت.. تركت اللعب قليلًا، ودلفت إلى الشرفة، وظللت أقفز محاولًا أن أتعلق بسورها؛ حتى أشاهد الشارع.. نجحت في المحاولة الثالثة، وظللتُ أراقبُ من تبقى من أصدقائي يلعبون..ومن ثم ابتعدتْ عيناي عن الشارع إلى السماء لأراقب الطيور، ذلك المشهد الرائع للطيور هاربة عائدة إلى مسكنها.. ظللت أراقبها في صمت. كان بعضها شديد البعد، فأراه صغيرًا، وأخرى ليست بذلكُ البعد، فأراها بوضوح نوعًا ما.. كان بعضها يصدر أصواتًا رائعة أو هي أصوات أسمعها في خيالي فقط.. لا أعلم، ربما لاندماجي التام داخل المشهد.. رائعة.. محلقة.. حرة.. لا تخاف من شيء، لا تفكر في شيء، ربما هي تشبهني كثيرًا الآن، لكنها تستطيع التحليق.. لطالما أردت التحليق مثلها في السماء، لطالما حلمت بأشياء كثيرة، والكثير منها نسيته أو تناسيته لعدم استطاعتي تحقيقه، ربما لأن بعض هذه الأحلام كان هو المستحيل ذاته، لكني كنتُ صغيرًا، لم أكن أعرف قواعد اللعبة بَعد، وقواعد هذا الكون، لم أكن أعرف أن نيوتن قد اكتشف الجاذبية؟!

ظللت أراقبها متمايلًا رأسي معها يمينًا ويسارًا غير منتبه إلى الوقت، حتى لمحتني أمي التي كانت قد غفتْ قليلًا – بعد قرأتها في المصحف – فصاحتْ وقالت لي نفس الكلام الذي سمعته مرارًا، عن كم مرة حذرتني من التعلق بالسور؟ وعن كيف أكون معرضًا للوقوع فالموت.. وإلى آخر هذا الهراء الذي حفظته.. مشكلة أمي أنها لا تُقدر ذكائي ومشكلتي أني أستهتر أحيانًا.. أنا أعرف أني إن وقعت سأموت لكن من قال إني سأقع – لكن هل من وقعوا كانوا يدركون أنهم لن يقعوا – كنت لا أجادلها فقد كنت صغيرًا وإن جادلتها علي أن أخسر المجادلة في النهاية.. قامت من على الكنبة الأثرية، وجاءت لي بمقعد خشبي صغير؛ لأقف فوقه.. أصبحت الرؤية أكثر راحة الآن، بعد أن أتعبتني عضلات يدي – التي أظنها لم تتكون كلها بعد – دون أن أشعر، وقفت أمي بجانبي بعينين لا أدرك إن كانتا فرحتين أم ماذا، عينين لا أستطيع قرأتهما!

بدأ الظلام يحل تدريجيًّا، حتى اختفت الطيور من السماء وبدت حزينة لسبب ما، لا أعرفه – السماء لا أمي – دلفت إلى الداخل تاركًا أمي؛ لأجد أبي وأخي قد استيقظا وجلسا يشاهدان التلفاز، فحملتُ رجلي الآلي والمكعبات،ونقلتُ مكان اللعب إلى مكان جلوسهما، وبدأتُ أكمل المعركة، كانت المكعبات خبيثة شريرة، قد جهزت فخًّا لتوقع بالرجل الآلي، فقد علمت – بطريقة ما – أنه آتٍ إليهم لينقذ الأميرة، فكانت بانتظاره، كان لا يعلم أنه يخطو ناحية فخ، وكان ذاهبًا إليها وحيدًا، لم يكن له صديق، لطالما كان يواجه جميع الأشياء وحده بهذا العالم القاسي، ولكنه لا يعرف المشاعر، فهو

مجرد رجل آلي، أو هذا كان ما تظنه المكعبات به، لكنه بداخل طيات نفسه وشرائحه الإلكترونية كان يحمل الكثير من الحب.. الحب الذي لم يعرفه أو يصادفه بطريقه قط، لكنه كان أحيانًا يشعر بتلك المشاعر داخله، التي لا يعرف ماذا يطلق عليها، لا يعلم إن كان حقًّا هذا هو ما يطلقون عليه الحب أم لا؟!

كان الرجل الآلي قويًّا، لكن المكعب الأحمر كان خبيثًا، لقد اتفق مع المكعب الأخضر والمكعب الأصفر، أنهما سينقضان على الآلي، حتى ينشغل بقتالهما؛ لينقض هو عليه من الخلف ويقضي عليه.. وينهي أمره.. لكن الرجل الآلي كان يظن أنه يملك زمام المبادرة.. لم يكن يدرك كل هذا، كان كل تفكيره منحصرًا في أنه سينقذ الأميرة.. كان يعلم أنها لديها وأنها بانتظاره.. من أين يعلم كل هذا؟! أنا لا اعرف حقًّا، فقط تستطيع أن تسأل الرجل الآلي فهو قوي ويعلم الكثير من الأشياء، تقدم أكثر – محلقًا في الهواء – من وكر المكعبات الشريرة، مفكرًا في كم ستفرح الأميرة عند رؤيته عندما تعلم أنه دمر المكعبات وأنها ذهبت دون رجعة..

– كفاية لعب النهاردة كده يا عمرو.. لازم تنام عشان تعرف تصحى بكرة بدري.. وتروح مدرستك.

كانت هذه أمي، لكني أكملت لعبتي الصغيرة غير ملقٍ بالًا إلى كلامها..

كان المكعب الأحمر قد بدأ بتنفيذ الخطة، لقد هجم المكعبان الأصفر والأخضر على الرجل الآلي ذي اليد الواحدة فانشغل

بمقاتلتهما، وبدا الأحمر متأهبًا منتظرًا اللحظة المناسبة للانقضاض والقضاء عليه من الخلف، بدأ الرجل الآلي ينهزم شيئًا فشيئًا، فبدا له الآن أن خصمه أقوى وأمكر مما توقع..

– ماكفكش كل اللعب اللي لعبته في الأجازة بطولها وعرضها؟!

قالتها ونبرة الغضب واضحة في صوتها؛ لذا كان عليّ أن أبالي هذا المرة؛ لأن أمي عندما تفقد أعصابها تحدث أشياء ليست جيدة، لأذهب إذن للنوم، ولأحدد مصير الرجل الآلي ذي اليد الواحدة فيما بعد.

ذهبت الأنوار، وانطفأ التلفاز، وغُلّقت الأبواب، وعندما دخلتُ إلى الفراش بجسمي الصغير ووضعت أمي غطاء الصيف الخفيف عليّ.. وجدت أن أخي قد نام حقًا.. من أين يأتي بكل هذا النوم .. لكني اكتشفت الآن فقط أني مرهق وأن يومي كان حافلًا.. وضعتُ يدي حول تلك الوسادة الصغيرة التي لا تفارقني أثناء نومي حاضنًا إياها..شيئًا فشيئًا بدأت أذهب في النوم..ورحلت عن هذا العالم ذاهبًا إلى آخر..

كان كل شيء مستنيرًا، والمنظر أمامي رائعًا، جنان واسعة كبيرة مليئة بالأشجار العملاقة، والطيور تملأ السماء.. ظللتُ ثابتًا قليلًا في مكاني من روعة المشهد الذي يغلفني، ومن ثم فكرت أن أتحرك، لكني ظللتُ واقفًا وكأني مُجمَّد – مع أني لستُ كذلك – كان الطريق أمامي ممهدًا والأشجار على كلا الجانبين، وكان شيء ما يردد بداخلي تحرك.. تحرك، لكني على الرغم من ذلك.. ظللتُ بمكاني متعجبًا من حالي.. ثم فجأة دون سابق إنذار ظهرتْ تلك الصخور من الأرض

المستوية وكأنها ظهرت من العدم – أو هي ظهرت من العدم فعلًا – ظللتُ ثابتًا في مكاني ناظرًا إليها في خوف – مع أن ذلك الصوت داخلي ظل يردد أنها ليست مخيفة – وما زاد من حيرتي أني كنت أعلم هذا، أنها لا تبدو مخيفة على الإطلاق.. أستطيع المُضي قدمًا، ثم بدأت الصخور تنشقُّ ويمتدُّ الشَّقُّ منها إلى الأرض، وبدأت الأرض تنشق أمامي ويمتد الشق ويتسع ممتدًا إلى تحت قدميّ.. ولكن الصوت مرة أُخرى يذكرني أني أستطيع تفادي كل هذا.. يذكرني أني أستطيع التحليق مثل تلك الطيور البعيدة.. حيث تلك الحديقة الرائعة.. التي بدأت تختفي رويدًا، لكن ولدهشتي ومع علمي أني أستطيع فعل كل ما قاله بدأت التراجع.. أمشي إلى الأمام، ولكني أتراجع.. كيف يحصل هذا؟! أريد أن أكون حيث تلك الحديقة الرائعة، لقد رأيتُ كل شيء هناك.. رأيت حياتي هناك.. لا يمكن أن ينتهي كل هذا بسهولة!

لماذا أعود للخلف؟

ما الذي يعيدني للخلف؟!

بدت الحديقة وكأنها نقطة مستنيرة بعيدة كنجم في السماء.. بدأت تتلاشى، وتتلاشى الإنارة والوضوح معها.. الظلام.. الظلام التام يغلف كل شيء.. كل شيء.. لقد فقدت الرؤية.. البصر.

أين الحديقة؟

أين طريقي؟!

أين أنا ذاهب؟!

أين أنا؟!

أنا أقع.. أقع.. أقع.. أق ..

أشعر بالاختناق.. أختنق.

- ها..

فتحت عينيّ لأجد الخوف يتملكني.. كان خوفًا مختلطًا بالراحة؛ لإدراكي أن كلّ هذا كان مجرد حلم لا أكثر.. وأني على فراشي آمن، لا يوجد ظلام ولا سقوط.. فبدأ الخوف يتبدد عائدًا إلى حيث عالم الأحلام.

خيوط الصباح الأولى بدأت تتسلل من نافذة الشرفة، لم أحاول النوم مرة أخرى.. ظل بداخلي احتمال أن أعود إلى هذا الكابوس.. ثم إن أمي ستأتي الآن في أي لحظة لإيقاظي أنا وأخي؛ لأذهب إلى المدرسة.. فما داعي النوم مرة أخرى إذن.. جاءت حقًّا بمجرد التفكير في هذا.. فقفزت من فوق الفراش.. فارتسمت دهشة على وجهها للحظة عن كوني - على عكس العادة - بهذا النشاط..

بدأت هي بإيقاظ أخي، وبدأ الخوف الذي بداخلي وذلك الإحساس الغريب من ذاك الحلم يذهب شيئًا فشيئًا.. بدأ الاختفاء تدريجيًّا، ومن ثم ارتديت ملابسي سريعًا، وجاءت اللحظة الأصعب، ظللت محدقًا بذلك الكوب الممتلئ بهذا السائل الأبيض - اللبن - الذي أمامي متمنيًا أن يختفي، ولكن للأسف لستُ بهذا الساحر الذي

في التلفاز الذي يخفي الأشياء طوال الوقت، ظل أمامي وكأنه يحدق لي بدوره مصدرًا تلك الرائحة الكريهة التي لا أحبها..

أغمضتُ عينيّ وأمسكت الكوب، لكني أرجعته إلى حيث كان دون أن تمسه شفتاي.. ظللتُ أنظر إليه مرة أخرى جالسًا أمامه.. وبجانبي حقيبتي.. حتى انتهى أخي من ارتداء ملابسه وبدأ بشرب كوبه.. نحن معًا في نفس المدرسة لكنه بالصف الخامس.. فوجدت أني مضطر أن أشربه الآن قبل أن تدرك أمي الأمر.. مسكته وأغمضتُ عينيّ، سميت الله، وشربته على دفعة واحدة.. غير تارك لنفسي خيارًا آخر..حاولتُ ألا أنظر إلى الكوب الفارغ، وأنا أضعه على المائدة حتى أحاول نسيان أني شربته.. وضعتُ حقيبتي على ظهري بعد أن وضعت أمي السندوتشات بها، وتأكدت أن كل شيء سليم، نزلت أنا وأخي على الدرج، ومن ثم إلى الشارع، كانت المدرسة ليست بالبعيدة عن بيتنا، أربعة شوارع فقط، ظللنا نمشي في صمت، ها هي الدراسة قد بدأت حقًا مرة أُخرى..لا أحبها؛ فهي تبعدني عن أصدقائي، ولا ألعب معهم كل يوم مثل أيام الإجازة.. لكني أعوض هذا بنفس القدر تقريبًا بالمدرسة، حيث ألعب مع أصدقائي هناك كلما سنحت الفرصة، وصلنا ودخلت أنا وأخي في ذلك الممر الطويل الذي يقودنا إلى الفناء، لنجد أن الطابور المدرسي قد بدأ.. سلمنا على بعضنا البعض بالنظرات، وأسرع كل منا إلى حيث يقف صفه.. لا أحب في المدرسة إلّا أول أسبوع، حيث تكون لا دراسة.. يدخل كل مدرس ليتعرف إلينا – حتى وإن كان يعرفنا – و يملي علينا ما يريد من أشياء في نصف الوقت المحدد للحصة.. ونظل نتكلم ونلعب

فيما تبقى منها.. ووقت (الفسحة) الذي يكون أكثر من المعتاد في تلك الفترة نظل نلعب ونلعب، سلمتُ على أصدقائي بالطابور بالنظرات أيضًا، لا يتكون فصلي إلّا من عشرين طالبًا.. ثلاثة عشر ولدًا وسبع بنات، وكنت أعرفهم جميعًا بالطبع.

رددنا جميعًا النشيد الوطني بصوت عالٍ – إلى حدٍّ ما – ومن ثم بدأنا بالصعود على ذلك الدرج القديم إلى فصولنا، وجلس كُلٌّ منا في مكانه.. كان الفصل شديد الاتساع، ويستطيع أن يتحمل ضعف عدد فصلنا ثلاث مرات على الأقل..

دخل مدرس الحصة الأولى، فانفضت الضوضاء تدريجيًا حتى اختفت.. غريب حقًا أن كل هذه الضوضاء كانت من مجرد عشرين طفلًا.. قُلنا في صوت واحد بنغمة نحفظها بعد أن رمانا بالسلام:

– وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته.

وبدأ العام الدراسي الجديد بالتعرف إلينا، ومن ثم أملانا الطلبات التي يريدها لهذا العام، فكتبتها بداخل تلك الكراس وقال لنا عند نهاية الحصة:

– انتوا بقيتوا في تالتة ابتدائي دلوقتي.. وخلاص بقيتوا رجالة.. ولازم تنسوا لعب العيال بتاع السنين اللي فاتت.

هذه الجملة تقريبًا يقول إيّاها كل مدرس في أول حصة له من أول الحضانة حتى الثانوية، وكانت تلك الجملة نهاية الحصة الأولى، وليتكرر الأمر حتى الحصة الرابعة ويدق الجرس بعد نفس الجملة من مدرس آخر معلنًا بداية (الفسحة)..

قفزنا على الدرج محاولين الاستفادة من كل ثانية حتى وصلنا إلى الفناء، وبدأنا بلعب (الاستغامية)، جرينا خلف بعضنا البعض كثيرًا، ولعبنا كثيرًا.. كانت أرضية الفناء ترابية و مع الجري طوال الوقت لمدة الساعة إلَّا ربعًا من جميع طلاب المدرسة، كنت أستنشق التراب..

عندما دق الجرس معلنًا نهاية (الفسحة)، وأسرعنا جميعًا إلى فصولنا، كنت غير قادر على التقاط أنفاسي..

بعد أن صعدنا إلى الحصة الخامسة ازداد الأمر، وظللتُ ألتقطُ أنفاسي بصعوبة حتى انتهى اليوم الدراسي الأول. وعندما أتت أمي لنعود للبيت كنتُ في أسوأ حالة، ظهر ذلك الصوت مع كل شهيق وزفير من رئتيّ - كأنه موتور عربة خرب - وكنت أبذُلُ مجهودًا كي أستطيع التنفس..

أمسكت أمي يدي وصعدنا إلى طبيب المدرسة، فقال بعد أن ملأ (روشتة) بالأدوية ذات الأسماء الغريبة:

- إنت مش هينفع تنزل حوش المدرسة ده تاني خالص.. أو ع الأقل فترة كده لغاية ما صدرك يخف.. ولازم تسمع الكلام بقى يا بطل.

وكتب لي شهادة طبية إلى المدرسة تفيد بأني ممنوع من أن أنزل الفناء.. كنت أريد التذمر على هذا، وأنه ليس من حقه أن يمنعني من اللعب مع أصحابي، لكني كتمت غضبي داخلي..

ذهبت إلى المترل وأنا حزين وتَعِب، وأمي طوال السكة تهددني (لو نزلت الحوش تاني هتغير لي المدرسة وتوديني مدرسة ماعرفش فيها حد).

عندما عدت إلى المترل وبعد شرائنا الأدوية وأخذي للنفس الاصطناعي الذي كتبه لي الدكتور من تلك (البخاخة)، بدأت أشعر مرة أخرى أني أستطيع أَخْذَ أنفاسي، وبعد حصولي على القليل من النوم..

وبينما نتناول طعام العشاء وبعدما اطمأنَّ أبي عليّ.. قال إن زميله في العمل يريد أن يبيع شقته، لأنه سيسافر وأن تلك الشقة أوسع بمراحل من شقتنا وأنها شقة (لقطة)، وقال لأمي لو استخدمنا ثمن تلك الشقة التي نحن بها بالإضافة للأموال التي بالبنك سيكون لديهما القدرة على شرائها، واتفقا أنهما سيذهبان ليرياها غدًا..

عندها وبعد أن ذهبت إلى فراشي.. غطيت رأسي بغطاء الصيف الخفيف واضعًا وسادتي الصغيرة - التي أحبها ولا أستطيع النوم بدونها - على رأسي باكيًا دون صوت؛ لأني أدركتُ من كلام أبي أنه يتكلم بجدية، وأدركت أنه في يوم واحد سيحرمني الزمن من أصدقاء مدرستي وأصدقاء الشارع، وأنه حقًّا لو تغير الحال بهذه الطريقة.. سأكون وحيدًا.

***

2

هي

" دايمًا بيبقى في يوم وانت صغير.. وانت لسه صفحة بيضا مالوثكش الناس باللي عملوه في الدنيا.. وانت لسه شايف الأمل وجواك الحب.. بتشوف جزء من مستقبلك.. في ناس بتصدق وناس بتخاف وناس مابتعرفش إن اللي انت شفته ده.. وبكل جماله وروعته.. ممكن يكون فعلًا مستقبلك.. بس باتخاذك انت القرار بكده.. عشان أي قرار من قراراتك.. وتصرف من تصرفاتك النهاردة.. هي اللي بتعمل بكرة وتحقق حلمك.. انت شفت الحلم بس انت اللي بتختار تحققه ولا لأ".

***

كانت السماء مفتوحة، وكان يخرج منها مشهد رائع أحسسته ولا أستطيع وصفه، وكان ذلك الطائر هناك بعيدًا شديد البعد لا يراني، وكنت أريد أن أكون برفقته، كنت أقف بالشرفة أدركت هذا

الآن فقط، ولكني أستطيع أن أحلق، ليس لدي أجنحة، ولكني أستطيع، وجدته يقترب و..

فتحت عينيّ ولم أكن أريد أن أفتحهما.. أريد أن أعود للنوم لا أريد أن أستيقظ الآن، أريد أن أعيد هذا الإحساس بداخلي، إحساس كأني كنتُ بالجنة، إحساس يجعلني أريد الطيران من فرط سعادتي، إحساس لا توجد كلمة لوصفه.. قلبت نفسي في فراشي وأنا أفكر مرة أُخرى بالحلم، شاعرًا بالروعة وبمتعة وغرابة الإحساس..

استرجع عقلي الحلم بتفاصيله؛ ليحفظه للأبد.. وأغلقتُ عينيّ مرة أُخرى مستسلمًا لإحساس وهمي أني سأرى الحلم مرة أُخرى، أو أن تحصل معجزة وأعود إليه، كررتُ الحلم بداخلي عشرات المرات في أقل من دقيقة، وتمنيتُ أن يتوقف بي الزمن..

رغم صغر هذا الحلم فإنه ليس كمثل أي حلم، هذا أجمل وأروع حلم على الإطلاق، حاولت أن أضع معنى ما لما رأيته، ولماذا ما رأيته الآن بهذا الحلم مَنحَني هذا الإحساس؟ لكني رجعتُ إلى أرضَ الواقع بـــــ

– واد يا عمرو اصحى أتأخرت على مدرستك.

فأغمضتُ عينيّ بسرعة، ورددتُ على أمي قافزًا من فراشي، حتى لا أجعلها تنادي مرة أخرى، وهذا الإحساس الرائع يملؤني، لا أريده أن يفارقني بسبب منغصات الحياة..

لا أعرف ما سبب تلك الفرحة، لكني لن أتساءل كثيرًا، لقد كنتُ قد اقتربت من نسيانها، أنا (عمرو حسن) مر عامان ونصف منذ

آخر مرة عرفتني بها، لقد تغيرت كثيرًا.. لم تعد حياتي بتلك الحياة الرائعة التي كنت أحبها.. كانت علامات علاج مرض الربو الذي كان من مضاعفاته السمنة والذي لازمني طوال تلك الفترة إلّا قليلًا.. بدأ يظهر عليّ، فأصبحت سمينًا، ولم أعد عود القصب إيّاه، وعلامات وحدتي طوال هذه المدة بدأ تظهر عليّ أيضًا، فحقًّا انتقلنا من شقتنا القديمة إلى شقة بعيدة عن أصدقاء الطفولة الذين لم أعد أراهم، وكذلك في المدرسة.. كنت بجانب أصدقائي، لكني محروم منهم..

ففي اليوم التالي من إصابتي بمرض الربو، قدمت أمي الشهادة الطبية إلى المدرسة، وتكلمت مع كل المدرسين تقريبًا، وهذا الموقف التالي المعلق بذاكرتي كأنه البارحة.. هو ما حدث، وما ظل يحدث منذ هذا اليوم المشئوم..

في الحصة الثالثة وجدتُ المدرس أوقفها، وقال لن:ا

- هتنزلوا تستلموا الكتب دلوقتي.. لو عملتوا دوشة مش هتركوا..

لكن وفي الحال صدرت الصيحات عن فصلي فرحين، ليس لاستلامهم الكتب، إنما لأن الحصة ستذهب دون دراسة.. وذهبت معهم محاولًا أن اختبئ وسطهم، لكن حدث ما لم أعتد عليه بهذا اليوم، وما بدأتُ بالتآلف معه مؤخرًا..

أوقفني المدرس عند باب فصلي، وقال لي راسمًا تلك الابتسامة على وجهه:

- لا يا عمرو انت خليك هنا.. وإحنا هنجيبلك كتبك عشان تراب الحوش وصدرك..

تركوني وحيدًا، وأنا أقول بداخل نفسي، هل مكتوب عليّ حقًّا أن أُحْبَس في هذا الفصل إلى ما يبدو كأنه الأبد؟

دخلت أَجُرُّ خيبة أملي سامعًا صيحات الفرح تتباعد..

وجلستُ وحيدًا أنظر إلى نوافذ فصلي الواسعة، متمنيًا أن يمر الوقت سريعًا.. وليمر الوقت عكس رغبتي حتى سمعت الجرس يدق معلنًا بداية (الفسحة)، فظللت جالسًا في مكاني وحيدًا حزينًا، مخرجًا سندوتشاتي ناظرًا إلى ذلك العالم القاسي من نافذة فصلي الواسع..

منذ ذلك اليوم علمت أن الأمور لن تعود مثلما كانت قديمًا.

وهكذا كان الحال كل يوم.. أجلس وحيدًا في الفصل حتى يعود أصدقائي منهكين من اللعب، ظَلَّ مرض الربو وخوف أمي المبالغ به عليّ يطاردني لاعبًا معي، يقتلني ببطء آخذًا دور القط الذي وجد الفأر ووجد التسلية باللعب معه؛ حتى يسلبه روحه في النهاية.. لكن بعد أن يستمتع.

قضيت جميع وقت الفصل الدراسي دون أن ألعب مع أصدقائي إلَّا مرة أو اثنتين هربت من الفصل، الذي قضيت به الأيام وحيدًا ألعب مع نفسي، وبعد أن قضيت إجازة صيف الصف الرابع دون أن أخرج مع أهلي إلى أي حديقة كما كنا نفعل قديمًا.. بسبب سفر أبي

بعد حصوله على عقد عمل في إحدى دول الخليج.. وبعد أن انتفخ جسمي أكثر من مضاعفات علاج الربو..

أصبحتُ شخصًا آخر.. لم أعد ذلك الذي إن رأيته ستحبه من أول نظرة.. لم أعد ذلك المشاغب الصغير الذي يقوم بالمقالب مع كل الناس، ويلعب ليل نهار دون أن يتعب لحظة، تحولتُ وأصبحت انعزاليًا..

أصبح جميع أصدقائي هم أنا.. الوحدة.. و(بلايس)..

(بلايس) ليس قطًا أو كلبًا، إنما هو مجرد حجر ذو شكل غريب، وجدته في ثاني يوم ببداية النصف الثاني من الصف الخامس الابتدائي وأنا عائد من مدرستي أتكلم مع نفسي.. وقد أصبحت أتكلم مع نفسي كثيرًا..كنت أنظر إلى الأرض فوجدته..

أسميت الحجر (بلايس) بسبب شكله الأملس تمامًا، بيضاوي الشكل يشبه العين، ولونه أسود فأسميته (العيون السوداء) (بلاك آيس) ولكني أدمجتها وحذفت حرف الكاف ليصبح (بلايس)..

أخذته ووضعته في جيبي وأصبح أعز أصدقائي..

أتكلم معه ليلًا بدلًا من أن أتكلم مع نفسي، أحكي له عن وحدتي، وبما أشعر به من حرمان، وحنين لأيام مضت، عن بكائي كل ليلة عند نومي واضعًا رأسي تحت وسادتي الصغيرة، أضعه بجانبي وأنظر له حتى أشعر أن ظلامه يضيء الظلام الدامس.. أحكي له عن (جميلة).. صديقتي في المدرسة.. ولكنها لم تكن مثل باقي البنات

اللائي معي في الفصل، فأنا أحب أن أتكلم معها، وأحيانًا أصنع أسبابًا وهمية، فقط لأذهب إلى مكان جلوسها، وأراها عن قرب.. أما نهارًا آخذ (بلايس) معي في جيبي، وأظل ألعب معه طوال اليوم، وأنا ذاهب إلى المدرسة أضعه على الأرض بطريق الذهاب، وأظل أركله بقدمي حتى وصولي.. وقد أصبحت الآن قريبًا من مدرستي بسبب سكني الجديد.. فأذهب دون أمي.. وعندما يتركني الجميع وحيدًا بوقت (الفسحة).. يظل (بلايس).. معي لا يفارقني، ونظل نلعب ونلعب، وأظل أحكي له..

ويظل يسمعني في صمت، في حزن، في ألم، لألمي وحزني.. أحيانًا كنتُ أشعرُ أنه يسمعني دون أن أتكلم!

حتى جاء هذا اليوم المشئوم الذي فقدت به (بلايس)، وظللتُ طوال اليوم أبكي بعيدًا عن أمي وأخي، متذكرًا أني فقدته عندما ركلته بقدمي دون قصد تحت تلك السيارة النائمة، ولم أستطع أن آتيَ به رغم جميع محاولتي، ونظرة الناس لي على أني أبله، ورجوعي البيت متأخرًا..

حتى جاء الليل ونمت كالعادة ودموعي في عيني وعلى وسادتي، لكن هذه الليلة الدموع كانت أكثر حزنًا على فقدان صديقي الوحيد في هذا العالم القاسي..

وذهبتُ سريعا في ثباتي..

وكانت تلك الليلة هيَ البارحة، أما الآن أنا في قمة السعادة بسبب ذلك الحلم الذي لا أعرف ماهيته، قمتُ من الفراش بشقتنا

الجديدة التي انتقلنا إليها بعد شهر واحد فقط من سفر صديق أبي والذي لحقه أبي للعمل بالخليج، لقد تحسنت أوضاعنا المادية.. لكن كان الثمن هو غياب أبي من الصورة.

محلقًا في كوكب الفرحة ارتديتُ ملابس مدرستي بسرعة البرق، ثم كان اليوم الدراسي.. بدأت الحصة الأولى وإحساس هذا الحلم يغمرني، لم أكن أشعر بالوقت..

كنت طائرًا وقدماي على الأرض بسبب حلم لم أعرف ماهيته، لكني أدركت أنه مختلف، كانت الحصتان الأولى والثانية (فنون)، وكنا قد أخذنا موضوع الرسم في حصتين الأسبوع السابق، ومطلوب منا أن نلونهما هذا الأسبوع، وكان أجمل شيء أفعله في الرسم هو التلوين..

لم أكن أجيد الرسم.. كان أكثر ما أستطيع رسمه هو الإنسان ذا الرأس المدور والجسم المربع والأيادي والأرجل التي تكون على شكل خطوط.. الشمس تكون على جانب الصفحة دائمًا.. والسحب مجرد أشكال غريبة كما يحلو لي..كانت كل رسوماتي على هذا النحو أيًّا كان ما طلب منا أن نرسمه.. كنت أرسم هذا، الشمس والسحب وكثيرًا من الإنسان ذي الجسم المربع..

بدأنا التلوين وعندما جاء وقت تلوين الشمس التي تكون على جانب الصفحة وجدت أن قلمي الأصفر لا يخرج منه إلّا اللون الأبيض، ويبدو أنه خلا من لونه الأصلي..

فقمت من مكاني لأستعير اللون من أحد أصدقائي..

كنت أجلس بآخر الصف يمينًا، وكان لكل واحد منا مكتبه الخاص، وكانت (جميلة) تجلس بأول صَفٍّ على اليسار.. فقمت وذهبتُ إليها لأستعيره منها رغم استطاعتي استعارته من أي أحد آخر بجانبي..

لكن هي (جميلة).. اسمها كم أحبه! وكم هي جميلة مثله! حاصلة على أكبر نصيب من اسمها، لم تكن تستخدمه – القلم لا اسمها – فاستعرته ورجعت مكاني، وأنا لا أزال طائرًا من الفرحة..

فرحة حلم لا أعلم ماهيته..

لكني أعرف – بل متأكد – أنه حلم مختلف..

مع مرور الحصة تلو الأخرى بدأ الإحساس الذي منحني إياه هذا الحلم يختفي تدريجيًّا، لكنه أبدًا لن يُمحى من ذاكرتي، سيظل محفورًا بداخلي لا أعرف له معنى..

مرّ ما تبقى من اليوم بصورة طبيعية مثل أي يوم ممل آخر.

ظللتُ جالسًا وحيدًا في ذلك الفصل الخالي الممتلئ حتى ينتهي اليوم الدراسي وأعود للبيت، ولكني اليوم سأحاول كسر هذا الملل على قدر استطاعتي، زارتني الفكرة عندما تركني الجميع، وذهبوا ليلعبوا ويستمتعوا، دقت الأجراس بخلايا مخي فأسرعت فاتحًا لها مُرحِّبًا..

فاليوم ومثل كل أسبوع بهذا اليوم ستكون لدي حصة ألعاب بالحصة قبل الأخيرة، وبما إن مدرس الحصة الأخيرة غائب كما قالوا

لنا، فسأقول لمدربة الألعاب عندما تأتي إلينا لتأخذنا إلى الفناء، إني أريد النزول مع الفصل ولا أريد الجلوس وحيدًا، لأني خائف أو أختلقُ أي سبب آخر، سأظل ألح وإن لم أفلح ولم توافق فلن أستسلم، سأظل أقاوم واضعًا بدائل للخطة الأصلية؛ لتعطيني نتيجة واحدة هي الهروب من هذا السجن الاختياري، ربما أقول لها إني سأجلس لأشاهد أصحابي يلعبون ولن ألعب..

جاءت الحصة وبدأت تنفيذ خطتي، ولكني اندهشت وفرحت عندما وافقت سريعًا وليس بعد عدة محاولات..

حلقت بعيدًا من الفرحة التي لا أشعر بها كثيرًا، وظللت أصيح وأهلل مع فصلي عند تجهيزنا للنزول، فإن كانوا هم سعداء لنزولهم حصة ألعاب فأنا الذي حُرِمتُها كانت فرحتي أكثر بالطبع أضعاف أضعافهم.. كانت فرحتي كمهاجم صام عن التهديف كثيرًا؛ لذا وعندما قالت لنا أن نتجهَّزَ.. ونقف على شكل طابور.. كنت أول من وقف في الصف..

تحركنا حتى وصلنا لبداية الدرج لنستعد للنزول، كانا صفين وكانت (جميلة) تقف بجانبي متقدمة صف البنات، لكن بسبب فرحة الفصل واندفاعه، ولأني كنت أتقدم الصف ومع اندفاعه بشدة.. جاءت عيناي بعيني (جميلة)، ووجدت نفسي أطير في الهواء فوق الدرج، لأقع على مؤخرة رأسي وأرى صفي من أسفل من مكان وقوعي.. فارقًا عنهم بسبع درجات تقريبًا.. وأقوم دون أن أحس بأي شيء.. ولا شيء تمامًا..

ولأجد أن جميع فصلي يصرخون بصوت عالٍ ناظرين إليّ ومدربة الألعاب تجري ناحيتي.. فقمت وأنا أنظر إليهم في لا مبالاة تامة واضعًا يدي على رأسي، لأجد إنها مليئة بالدماء، لكني لا أشعر أني قد جُرحت.. لا أحسُّ بأي شيء.. لا ألم .. لا دموع.. لا خوف.. لا فرحة.. لا حزن.. لا حياة..

الشيء الوحيد الذي أحسُّ به هو الاختلاف.

أسرعت مدربة الألعاب ناحيتي مذعورة ومسكتني من يدي لأخذي سريعًا إلى العيادة المدرسية بعد أن تحسستْ رأسي ورأت الدماء..

كانت الإصابة والوقوع ليس بالهين، وكانت الدماء كثيرة لدرجة أنها بدأت تنزل من رأسي إلى قميصي كالشلال.. كان الكل مذعورًا، وفتيات فصلي يصرخن..

لكن أنا أحس بشيء غريب.. لا مبالاة تامة غريبة، لا خوف.. شيء ما اختلف.. لا أعرف ما هو.. لكني كنت أنظر إلى كل هذا بعينين تملؤهما اللامبالاة.

***

3

القلم الأصفر

"الطبيعي بيتمنى يكون غريب..والغريب.. بيحسد الطبيعي صدقني انت ماتعرفش الإحساس ده..انت ماتعرفش أبدًا.. انت ماتعرفش قد إيه الألم..انت ماتعرفش حاجة.. محدش عارف حاجة.. محدش هيحس باللي أنا مريت بيه.. محدش في الدنيا دي كلها".

***

مرّ أسبوعان وأنا على هذا الحال لا مبالاة تامة بأي شيء، فقط أستيقظ من نومي، أذهب إلى المدرسة، لا أتحرك من مكاني، أنظر إلى جميع العيون بثبات وبلا أي مبالاة، حتى بعد أن يتركوني أظل جالسًا مكاني أنظر إلى ما حولي في لا مبالاة، شارد الذهن في اللاشيء.

أحيانًا كان يؤلمني رأسي قليلًا، لكن عندما كانت تسألني أمي عن كيف حالي كنتُ أقولُ لها إني بخير، ربما لأني تعودت على أن أكون وحيدًا، على كتم الألم بداخلي..

كنت أعرفُ أن شيئًا ما أصابني، لكني كنت لا أهتمُّ حتى بما هو، لم أعد أفكر في شيء، حتى أني منذ أسبوعين – وقبل أن أقع على مؤخرة رأسي – كنت أفكر كثيرًا في امتحانات آخر العام، وكيف ستنتهي تلك المرحلة بعدها وذهابي إلى مدرسة أخرى، وكيف أني سأترك أصدقاء الأمس، وأني لن أراهم مرة أخرى، وسيحرمني الزمن مرة أخرى من أصدقاء مدرستي، كما حرمني قديمًا من أصدقاء الشارع..

لكن الآن ومن بعد وقوعي على مؤخرة رأسي لم أعد أفكر في أي شيء، ولا أعرف لهذا سببًا..

جاء وقت امتحانات آخر العام..

وكان هذا اليوم هو أول يوم بالامتحانات، استيقظتُ من النوم يؤلمني رأسي أكثر من المعتاد، لكني كالعادة بآخر أيام لم أبالِ، ارتديتُ ملابسي ونزلت في طريقي إلى الامتحان.

كان الامتحان يُقام بمدرسة أخرى حكومية بجانب مدرستي. وصلتُ لأجد أصدقائي مجتمعين ويقفون معًا، ألقيت نظرة على (جميلة) التي كانت معها أمها، وكانت تبدو خائفة من امتحان الرياضيات – جميلة لا أمها – سلمت على أصدقائي ونظرت إلى ما حولي لأجد أن هناك أكثر من مدرسة تمتحن هنا في تلك المدرسة

الواسعة، ويبدو أن عدد طلاب المدارس الأخرى - الحكومية - يفوقنا عددًا بكثير..

دخلنا إلى الامتحان وكان جميع طلاب مدرستي معًا في فصل واحد.. نظرًا إلى صغر العدد.. جلسنا حسب أرقام الجلوس، وبعدها بدقيقتين بدأ أحد المراقبين بتوزيع الأوراق، بينما لم يقم الآخر من على المقعد..

ظللتُ شارد الذهن في اللاشيء بعد أن كتبت اسمي ورقم جلوسي على غلاف ورقة الإجابة، ولم أُكلف نفسي وأنظر إلى ورقة الأسئلة، ظل الوقت يمر، وأنا شارد، كنت أعرفُ أني بعالم آخر، وأن وقت الامتحان يمر، لكني كنتُ لا أبالي، كنت أعرف أني سأحل الامتحان بأكمله، متأكدً من هذا، كنت أثق تمام الثقة، لا أعرف كيف!

مر الوقت أكثر حتى انتهى نصف الوقت المحدد، وأنا لم أكتب حرفًا في الورقة.

كان المراقب الذي يجلس على المقعد ذهب في النوم تقريبًا، بينما لاحظ الآخر أني لم أمسك قلمي، ولم أمس الورقة، فقط شاردًا واضعًا يدي على الطاولة، وساندًا رأسي عليها، ناظرًا إلى (جميلة) التي كانت تجلس في الصف الأول على اليمين، ظل ينظر إليّ قليلًا منتظرًا أي تعبير مني، لكن لا شيء.. حتى أني لم ألتفت إليه.. فاقترب مني قائلا:

- هو انت خلصت حل؟!

وجهت رأسي ناحيته، وظللت أنظر إليه دون أن أرد، فقط أحدق.. فأحس بالاستغراب مني وقال:

- حل يا بني مش فاضل وقت!

لم أرد أيضًا، لكني ظللت ناظرًا إليه بلا مبالاة، فأحسست أنه أحس بالخوف مني وابتعد.. بعدها وقبل انتهاء الوقت بنصف الساعة وجدت نفسي أمسك قلمي - *من أنا* - وأحل!

أحسست أن الوقت يمر ببطء - *ما هذا الإحساس* - أحسست بالهدوء الرهيب، ولدهشتي التي لم تظهر عليّ وقتها.. وجدتُ نفسي أنهيت الامتحان - عدا سؤال واحد لم أستطع حله - في ربع الساعة..

كان هذا السؤال (أكمل المسائل)، ويتكون من أربع نقاط دون اختيارات، لكن المسائل كانت غريبة ولا أستطيع حلها، وتبقى فقط ربع الساعة على انتهاء الوقت، لكني بلا مبالاتي تركتُ ورقة الإجابة مفتوحة على هذا السؤال، وظللت أنظر إلى جميلة مرة أخرى، التي كانت كما يبدو أنها أنهت حل الامتحان وتُراجِعُ ما فعلت بتركيز - لا أعرف كيف عرفت هذا - وظللت هكذا حتى انتهى الوقت، وعندما بدأ ذلك المراقب بأخذ أوراق الإجابة، بينما أنا ناظر إلى (جميلة) وبهدوء وردة تتمايل مع الريح.. سمعت الأرقام في عقلي - *من أنا* - وكتبتها في أماكن النقط دون أن أنظر إلى الورقة - شعور *بالاختلاف* - ودون أن تذهب عيناي بعيدًا عن (جميلة)، دون أن أعرف حل المسائل، ودون أن أعرف من أين أتتني الأرقام..

ومن بعدها سلمت ورقي، ونزلنا إلى (الفسحة)، نصف ساعة من الراحة واللعب حتى نبدأ الامتحان الآخر، وكان لدينا امتحانان كل يوم، وكان هذا الامتحان الآخر هو امتحان مادة الفنون..

نزلت إلى الاستراحة، كانت المدرسة كبيرة حقًا وأكبر من مدرستي، فاتخذتُ مكانًا بعيدًا عن الجميع، وجلست صامتًا ناظرًا إلى الوجوه غير مبالٍ.. هناك مَنْ يلعب.. وهناك من يتعارك.. وهناك من يقف خلف البابِ محاولًا أن يعطي أمه ورقة الامتحان للمراجعة.. وأخذ الطعام منها، ولكني وسط كل هذا رأيت (جميلة).

كانت واقفة تأكل (بسكويت) ما..كانت مثالًا لجمال وبراءة طفل.. بشعرها المنسدل على ظهرها، وتلك الضفيرتين الرفيعتين المعقوصتين يزينانه بمنظر رائع، وبعينيها اللتين أحس أنهما تشعان نورًا من البراءة..

ظللت أنظر إليها – دون أن تراني – وهي تتلفت يمينًا ويسارًا باحثة عن أحد أصدقائها ربّما..

ولكن فجأة دون سابق إنذار جاء ذلك الضخم الذي كان يلعب مع أصحابه ويجري منهم ليرتطم بها ويوقعها أرضًا، وتطير من يدها قطعة (البسكويت) التي كانت تأكلها.. كان الوقوع قويًّا لدرجة أنها خدشتْ في جبهتها، لينظر إليها الضخم ضاحكًا – وهي الدموع محبوسة بعينيها – قائلًا:

– ما يقع إلا الشاطر.

ثم علا صوت ضحكه هو وأصحابه الذين توقفوا بعد ما كانوا يجرون وراءه لاعبين؛ ليضحكوا معه على (جميلة).. قمت من مكاني.. وبهدوء تام.. ذهبت إليها ناظرًا إلى هذا الضخم..

كان في حجمي أربع مرات على الأقل، لينظر إليّ ضاحكًا.. عندما رأى نظرتي لها.. قائلًا باستهزاء:

- إيه.. جي تضربني ولا إيه؟

ثم انفجر في الضحك مرة أخرى هو وأصحابه، كانت (جميلة) لا تزال على الأرض، ودموعها محبوسة بعينيها..

مددت يدي إليها لتقوم ومن ثم..ودون أي سابق إنذار حتى لنفسي..بعد أن وقفت جميلة علي قدميها..وبجرأة الشارع التي اكتسبتها وفقدتها بسبب وحدتي جريت على الضخم لأضربه، وألقنه درسًا لا ينساه، لأجده واقفًا في مكانه ويمسكني، ويدفعني بعيدًا وهو يكمل ضحكه، لأعود ضعف المسافة التي قطعتها إليه واقعًا ماسحًا الأرض بملابسي..

عندها..

أحسست وكأن الزمن توقف..

وأن الأشياء أمامي تتحرك ببطء شديد..

أحسست بقوة هائلة..

قوة تجعلني أستطيع قتله هو وأصدقاءه في ثانية واحدة..

بل تدمير هذه المدرسة..

وكل الأماكن المحيطة بها..

اختلاف.. أنا مختلف..

من أنا؟

أنا غريب عن هذا العالم..

من أنا؟

أنا!!

وارتجف جسدي بأكمله للحظة أرجعتني إلى الواقع، كان هو قد بدأ يجري ليكمل لعبه مع أصحابه غير ملقٍ بالًا إليّ، أو (لجميلة).. وكنت ما أرضًا.. جاءت عيناي عليه مرة وعلى يد (جميلة) الممدودة إليّ، ومن ثم إلى الأرض..

لأسمع وسط ضجة مَنْ يلعبون ومن يتعاركون صوت قدمه وهي تُكسر ببشاعة وهو يجري، ليقع أرضًا على مقدمة رأسه، ولتظهر الدماء، ولأشعر برعشة وأنا أمد يدي إليها؛ لأقوم قائلًا لها، وأنا أشاور عليه دون أن أنظر:

– ما يقع إلا الشاطر.

وأكملت قائلًا لها غير ملقٍ له بالًا:

– أنا معايا نص جنيه.. لو عايزة بسكويت بدل اللي وقع منك..

نظرت إليّ مبتسمة ابتسامتها الطفولية قائلة:

– لا أنا مش جعانة خالص.

ظللنا معًا الوقت المتبقي قبل بدء الامتحان الآخر.. نراجع ما فعلناه بالامتحان السابق.. لأكتشف إن الأرقام التي كتبتها في السؤال

الذي لم أعرف إجابته صحيحة.. وعندما رن الجرس وقبل أن نفترق.. ليذهب كل منا إلى مكان جلوسه.. قلت لها:

– ما عكيش قلم أصفر؟

***

انتهيت من التحديق بعينين يملؤهما الفراغ إلى ذلك الكتاب المفتوح أمامي، وجاء وقت النوم لأذهب غدًا إلى آخر امتحان.. كعادتي بآخر أيام شارد الذهن معظم الوقت في اللاشيء..

أطفأت نور حجرتي، ونمت على فراشي بهدوء، وظللت أنظر إلى السقف الذي كان ينعكس عليه نور الصالة الخارجي، حيث كانت تجلس أمي مع أبي.. الذي كان قد عاد من السفر في إجازة قصيرة.. وأخي الذي انتهى من امتحاناته يشاهدون التلفاز..

ظل الوقت يمر وأنا محدق في السقف حتى اختفى ذلك الانعكاس، حيث إنهم أطفؤوا الأنوار، بعدما انتهى ما كانوا يشاهدونه، ودلفوا ليناموا، وظل فقط نور بسيط خارج غرفتي لمحت عليه انعكاس ظل أخي وهو قادم للنوم على فراشه.. حيث إن غرفتنا واحدة.. وظل الوقت يمر وأنا غير نائم..

حتى سمعت أنفاس أخي الثقيلة التي تدل على نومه، لكني فقط ظللت محدقًا إلى السقف حتى لمحته – بطرف عيني –ذلك الظل المجسم خارج غرفتي في الهواء، اعتدلت في هدوء لأنظر مكان ما ظننت أني رأيته، فلم أجد شيئًا، لكني لاحظت أن جسمي به رعشة ما خفيفة أحس بها في أوصالي..

حاولت أن أنام مرة أخرى غير ملقٍ بالًا إلى كلّ هذا، لكني بعد عدة دقائق لمحت ذلك الظلّ مرة أخرى على باب غرفتي مجسمًا في الهواء، اعتدلت مرة أخرى، لأجد أنه لا يوجد أي شيء..

نمتُ مرة أخرى غير ملقٍ بالًا لهذه التهيؤات، لكن الرعشة في جسمي زادت إلى حد ما وأصبحتْ في كامل جسمي الآن، من أين أتتْ هذه الرعشة لا اعرف سببًا حقًا!

لففتُ حول نفسي غطاء الصيف الخفيف أكثر، وحضنت وسادتي الصغيرة التي لا تفارقني أثناء النوم.. محاولًا أن أستمد منها الدفء؛ لأذهب هذه المرة في النوم..

كان كل شيء واضحًا تمام الوضوح..

كنت تعبًا مرهقًا في كل جزء من أجزاء جسمي..

و كان المطر يهطل بشدة..

وأنا أنظر إلى نفسي..

أطير في الهواء لكني أسقط!

استيقظت من حلمي.. الذي كان أغرب من أي حلم.. وأنا أشعر بالخوف والوحدة بدلًا من اللامبالاة.. ولأجد أن الرعشة في كامل جسمي ازدادت إلى حد رهيب، وفي نفس الوقت أجد ذلك الظل متجسدًا بجانبي لأعتدل وأنظر إليه حيث كان؛ لأجده اختفى مرة أخرى.

عندها عاد إحساس اللامبالاة فاستلقيت،وظللت أنظر إلى السقف، وكأن شيئًا لم يكن، لكن الرعشة بداخلي بدأت تزداد أكثر فأكثر..حضنت وسادتي بشدة، لكن ظلت الرعشة تزداد، حتى بدأت أسناني تصطكُّ بعضها ببعض، فنفضت عني الغطاء، وقررت أن أقول لأمي..

***

لكن الرعشة كانت بالقوة التي لم تجعلني أستطيع المشي فأول ما لمستْ قدماي الأرضية وجدت نفسي أقع، وظللت على الأرض لا أستطيع التحرك، لتزداد الرعشة إلى حد مرعب، حيث إن جسمي بدأ ينتفض على الأرض.. لكني لم أكن أستطيع التحرك، ولم أحاول النداء على أخي لإيقاظه أو على أمي وأبي، لم أحاول الصراخ، فقط ظللت أنتفض.. ولأرى هذا الظل المجسم في الهواءِ بجانبي.. كان بلا ملامح، لكني لم أستطع أن أعتدل وأنظر إليه هذه المرة.. فظل يقترب مني حتى استطعت أخيرًا أن أحوِّلَ رأسي ناحيته فاختفى.. وظللت على هذه الحالة لدقيقتين، حتى بدأت الرعشة تقل تدريجيًّا، لكنها ظلت قوية، استطعت أخيرًا أن أقوم من على الأرض، وبدأت أمشي لأنادي على أمِي وأوقظها من نومها.. قامت لتجدني أرتعش وأسناني تصطكُّ بعضها ببعض، أخذتني سريعًا إلى الصنبور، ووضعت رأسي تحت المياه قائلة لي إن هذه (سخونية)، ويجب القضاء عليها بالمياه الباردة.

لم أبالِ بكلامها وطاوعتها، ظلت الرعشة تقل فتقل حتى اختفت، لكن أمي ظلت ساهرة بجانبي إلى الصباح واضعة الكمدات على رأسي.

في الصباح وقبل الامتحان أخذتني إلى الدكتور ليضع الترمومتر في فمي، ليجد أن حرارتي حرارة الإنسان الطبيعي، ولينظر إليّ مستغربًا قائلًا لها:

- ممكن السخونية تتحول لرعشة.. بس مستحيل.. ده حرارته الطبيعية جدًّا.

ووضع سماعته والترمومتر جانبًا قائلًا لأمي:

- لو حصله كده تاني هاتيه بسرعة.

ومشيت أنا وأمي حتى لا أتأخر على الامتحان.

***

انتهى آخر امتحانات المرحلة الابتدائية.. خرجنا وذهبنا جميعًا بعد الامتحان إلى مدرستي لنتصور مع بعض آخر صور تذكارية.. تاركين تلك المدرسة الحكومية التي لم أحبها كثيرًا، وقتها فقط أحسست ورجع لي شعوري بالأشياء، وبدأت أفكر في أني حقًّا لن أرى كل هؤلاء الأصدقاء مرة أخرى.

أخذنا مع بعضنا البعض الكثير من الصور بكاميرات آباء بعض أصدقائي.. لا أعرف إن كنتُ سأرى تلك الصور يومًا من الأيام.. ومن ثم نسلم بعضنا على بعض ربما للمرة الأخيرة.. وذهبت إلى

(جميلة) لأسلم عليها، ولأعيد إليها قلمها الأصفر الذي كانت أعطتني إياه بامتحان الفنون ونسيت أو تناسيت أن أعيده لها.

لا أتذكر الكلام الذي دار بيننا مهما أعصر عقلي لا أستطيع.. فقط أستطيع تذكر أنها قالت لي احتفظ بالقلم، وأني وافقت على هذا مبتسمًا.. وأننا سلمنا على بعضنا البعض، ومشى كل منا إلى حياته التي لا يعلم كلانا ماذا تخبئ له، ومشيت مع أمي عائدًا إلى البيت.. وأنا أفكر في هذه الأمور الغريبة المتتالية التي حصلت لي، بعد أن وجدت نفسي أخيرًا أستطيع التفكير والشعور.. بعد هذا الإحساس البشع من اللامبالاة.. لكن كان هناك أكثر من سؤال يتردد في ذهني لا أجد له إجابة..

ماذا حدث لي؟

ماذا سيحدث لي؟

هل ذلك الظل المجسد بالهواء ناحية حديقة مدرستي الذي كنت أحس أنه يراقبني وأنا أكلم (جميلة)، هل كان موجودًا حقًا أم مجرد خداعًا بصريًا؟!

***

4
الخوف من الحياة

"تعرف انت الإحساس ده.. إنك تفقد كل حاجة.. ويكون هدفك ولا حاجة حياتك ولا حاجة.. نجاحك ولا حاجة بكرة ولا حاجة.. إنك تكون ولا حاجة.. وبتفكر في ولا حاجة.. وبكرة مستنيك الولا حاجة.. تقدر تعيش مع كده"

***

نتمنى أن يأتي الغد وعندما يأتي نتمنى رجوع الماضي ولا يرضينا حال، نظن أحيانًا أن الأيام لا تمر، لكنها تفاجئنا أنها تمر قبل حتى أن نفكر في هذا، تمر مر السحاب، وتمر السنون، وتبدأ وتنتهي كما يبدأ وينتهي أي شيء، لنجد أنفسنا لم نعد ذلك الطفل الباكي الذي كانت قدماه لا تحملانه، بل نجد أنفسنا كبارًا وهناك من يعتمد علينا..

و هكذا الحياة!

اليوم بداية جديدة من البدايات الكثيرة التي تعج بها هذه الحياة.. انتهاء مرحلة وبداية أخرى..

بعد أن تركت مدرستي الابتدائية ومع بداية الإجازة عاد كل شيء إلى طبيعته، وعدت إلى طبيعتي، توقف ذلك الإحساس باللامبالاة، وعاد كل شيء مثلما كان.. عدت وحيدًا، عائشًا مع نفسي معظم الوقت، عدت أتذكر أيام مدرستي الابتدائية وأتمنى رجوعها؛ لأرى أصدقائي الذي لم أرَ أي أحد منهم بعد أن دخلت تلك المدرسة الإعدادية التي كرهتها.. مرّ كلُّ شيء طبيعي، وبقي كلُّ شيء غريبٍ مررتُ به ذكرى لا أستطيع حتى أن أستعيدها كاملة من ذاكرتي، ومع مرور الوقت أكثر بدأت أعتقد أن كل هذا كان تهيؤات صنعها عقل طفل، ولم أعد أفكر بها كثيرًا، إلّا ذلك الحلم الرائع الذي أتذكره بتفاصيله وأشعر بالفرحة كلما فكرت به..

أما تلك المدرسة الإعدادية وعلى مر السنوات الثلاث وقت الدراسة أصبحت سمينًا، وأصبح وجهي وكل جسمي منفوخًا من مضاعفات علاج الربو، وأصبحت مع وحدتي معتقدًا أن جميع الناس يكرهونني، كنت أخجل من نفسي كثيرًا، وكنتُ كثير الجلوس مع نفسي حتى في الاستراحة بين الحصص.. ومرت الأيام ولم أشعر بالسنوات الثلاث..

وخرجت بشيء واحد فقط، خرجت بصديق كان حظي أن جلست بجانبه، كان تبدو عليه الطيبة، وتعرف بعضنا على بعض، كنا

نذهب إلى البيت معًا حيث كان بيته قريبًا من بيتي.. كنا نتكلم كثيرًا عن ألعاب الحاسب وعن أشياء كثيرة، لكني لم أقل له أي شيء من الأشياء الغريبة التي حصلت لي قديمًا ربما لأني حقًّا قد صدقت من أنها مجرد لا شيء..

لكني حكيت له عن (جميلة)، وحكيت له عن أن قلمها لا يزال معي، وأنها قالت لي أن أحتفظ به.. رغم أني لن أراها مرة أخرى في حياتي، حكيت له عن حلمي، وعن أني لا أعرف له معنى رغم يقيني أن له تفسيرًا ما..

ظلت حياتي كما هي، لا شيء أظنه مما حصل لي ستحب أن تعرفه إلَّا لو كان الاستيقاظ صباحًا والأكل ثلاث وجبات يوميًّا، وأخذ الدواء صباحًا مساءً، وعدم النزول من البيت والجلوس على الحاسب، ومشاهدة التلفاز شيئًا مهمًا وممتعًا وتريد أن تعرفه، فأنا أفعل هذا كل يوم..

انتهيت من امتحانات الشهادة الإعدادية، وتواعدت أنا و(حسام) صديقي الوحيد أننا سنذهب في الثانوية إلى نفس المدرسة.. لم أره إلا مرة أو مرتين في الإجازة، حيث نزلنا معًا تمشينا قليلًا وتكلمنا كثيرًا.

بدأت المرحلة الثانوية بداية عادية، لكني تعرفت على أصدقاء جدد، وبدأ موضوع الوحدة هذا يخرج من داخلي شيئًا فشيئًا، لكن بقيت بقاياه.. كنت دائمًا أشعر بها حقًّا، وكأنها أصبحت على علاقة وطيدة معي، لكن انتهت المرحلة الثانوية نهاية جيدة، فقد شُفيت من مرض الربو، وبدأ جسمي يعود إلى سّابق عهده.. عود القصب إيّاه..

لم أستطع الحصول على مجموع جيد يؤهلني لكلية جيدة بمقاييس التفكير الموجودة..كالطب والهندسة.. لكنه أهلني لكلية التجارة..

أبي لا يزال يعمل بالخليج، تغير نظام إجازته، الآن يعود إلينا كل شهرين أو ثلاث؛ ليقضي معنا أسبوعًا أو اثنين، وأمي لا تزال تلك الخائفة عليّ وتحبني كثيرًا، لكنها لا تعبر عن هذا الحب، (أكرم) يدرس بكلية الهندسة بعد حصوله على مجموع رائع بالثانوية العامة بعد الكثير من العمل..

تبدلت أوضاعنا المالية كثيرًا بعد سفر أبي للخليج وبعد مرور العام خلف الآخر.. انتقلنا من شقتنا التي كنا انتقلنا إليها حديثًا إلى أخرى بمكان أرقى. كانت متسعة بها ثلاث غرف وصالة واسعة. كانت هناك غرفة للتلفاز والجلوس، وأخرى لنوم أبي وأمي، والصالة للضيوف، أما الغرفة الواسعة فكانت لي ولأخي بها فراشان ومكتبان.. على أحد الفراشين أستلقي أنا مفتوح العينين واضعًا وسادتي الصغيرة – نفس الوسادة – فوق رأسي بطريقة تجعلني أنظر إلى ظلام الغرفة.

لقد مرّ أحد عشر عامًا منذ بدأت الدراسة، لكني حقًا لا أستطيع تصديق هذا، غدًا هو اليوم الموعود؛ لأذهب إلى الجامعة، أتذكر كيف كان أول يوم لي بالحضانة، عندما ظللتُ أبكي وأتصنع البكاء حتى لا تتركني أمي وأول يوم بابتدائي حيث كنت فرحًا بتلك المغامرة الجديدة.. وأول يوم بإعدادي عندما كنت خائفًا أن لا أجد أصدقاء لي.. وأول يوم بثانوي عندما كنت أظن أن المدرسة مختلطة وسيكون معنا فتيات بالفصل..

إن الزمن يجري حتمًا..

لكني لم أعرف أنه عند نومي وبعد استيقاظي.. أن الغد سيكون بداية جديدة لم أتوقعها!

***

كان كلُّ شيء واضحًا تمام الوضوح..

كنت تعبًا مرهقًا في كل جزء من أجزاء جسمي..

وكان المطر يهطل بشدة..

وأنا أنظر إليه..

أطير في الهواء لكني أسقط!

أسقط!

استيقظت وأنا لست بمزاج جيد، كنت أحلم بشيء ما، لكني لا أستطيع تذكره، لكن يبدو أنه هو سبب هذا المزاج السيئ.. اليوم سيكون أول يوم لي في تلك الكلية وأول أيام المرحلة الجديدة..

رأيت (حسام) كثيرًا هذا الصيف ولحسن حظي أنه معي بكلية التجارة..

كلمته على هاتفه المحمول وأنا بطريقي إلى الجامعة وعندما وصلت ودخلت إلى المدرج واخترت الجلوس بالمنتصف وجدت أنه لعالم آخر، وجوهًا حائرة ضاحكة تحاول النظر في جميع الاتجاهات بنفس الوقت.. ربما لإيجاد الفتاة أو الفتى الذي يختارها أو تختاره لتكون حبه

أو حبها بالسنين القادمة، إن هذه الوجوه تعلم هذا بداخلها لكنها تنكره..

وجوه مبتسمة مع وجوه مبتسمة صديقة، مخرجة توترها بهذه الابتسامات، محاولة التآلف مع الأمر وأن الزمن قد مر وها هي الجامعة أخيرًا، والعالم الذي سمع عنه كثيرًا..

وجوه مكفهرة، وجوه مشمئزة، وجوه تائهة، وجوه ليست بعالمنا غارقة بعالم آخر، وجوه متلهفة للتجربة كشيء جديد..وجوه ووجوه، عيون بكل مكان، عيون تحدق بك بكل مكان حاولت أن تنظر وبكل مكان لم تحاول.. عيون تبحث عن شيء لا تدري ما كنهه، لكنها تظل تبحث.

جاء (حسام) سريعًا وجلس بجانبي، وأصبح المكان ممتلئًا أكثر خلال دقائق.. بدأت المحاضرة ليعم الصمت المكان وكأنه أصابني الصمم وليمر كل شيء بصورة طبيعية حتى وصل الزمن إلى تلك النقطة..

هل تعرف تلك النقطة؟ التي عندما تصل إليها تصبح حياتك بعدها كما لم تكن قبلها قط، كنت أظن أني في حياتي مررت بهذه النقطة كثيرًا، وأن حياتي قد تغيرت أكثر من مرة..

لكن عندما سمعت الطرق على الباب وعندما انتبهت بطريقة لا إرادية وعندما فتحته هي ودخلت، تلك الفتاة الجميلة بعينيها البنيتين اللامعتين كأنهما تضيئان وبشعرها المنسدل على ظهرها، وتلك الضفيرتين الرفيعتين وعندما ابتسمت ابتسامة أضاءت بها هذا الكون..

عندما قالت للدكتور بصوت عزفته ألف كمنجة:

- آسفة المواصلات أخرتني.

وعندما لم أسمع حتى إن كان رد عليها أم لا وهي تدخل؛ لتجلس بجانب صديقتها التي ابتسمت لها وانكمشت بمكانها ليصبح هناك مكان خال لها بالصف الثاني، عندما جلست ووضعت حقيبتها اليدوية على حجرها..

عندما لم أركز فيما تبقى من المحاضرة..

عندها أدركت أن هذه هي ذاتها (جميلة)..

عندها أدركت تلك النقطة التي تصبح الحياة بعدها كما لم تكن قبلها، وأني لم أمر بها في حياتي قط!

***

بعد أن انتهت المحاضرة وعادت حاسة السمع.. بدأ الجميع يتكلم والضجة تعم المكان.. لكني تقريبًا لم أدرك هذا، فقد كان تركيزي مع (جميلة) كانت الفتاة التي تجلس بجانبها تبدو صديقة قديمة لها، وكانتا تتكلمان، كنت أرى جانب وجه (جميلة) فقط حتى:

- انت يا بني.. عمرو.. عمرو..

عـــــــمرو.

عندها أفقت من شرودي مع (جميلة) ونظرت إلى (حسام) الذي كان ينظر لي مستغربًا قائلًا في حيرة:

– في إيه مالك.. فيك حاجة مش طبيعية؟!

قمت بحركة غير إرادية من الفرحة، وجلست على (البنش) لأواجهه قائلا بتلعثم:

– شايف البنت اللي.. اللي قاعدة في الأول دي اللي دخل..ت متأخرة.. اللي لابسة أسود؟

فعدل (حسام) نظارته فوق أنفه بحركة لا إرادية ناظرًا ناحية (جميلة) قائلًا:

– آه.. مالها؟

قلت له في فرحة لا أعلم مصدرها:

– دي جميلة.. فاكرها.. اللي حكتلك عنها!

نظر مرة أخرى ناحية (جميلة) قائلًا متخذًا دور الحكيم:

– طيب انت مش بتقول لي كنتوا صحاب قوي.. هي شكلها جميل جدًّا على فكرة.. ما تروح تكلمها.. أهو تفكرها بيك وتعرفني على صحبتها.

ظلت تلك النبرة – نبرة الفرحة – في صوتي وأنا أرد عليه وأنا أنزل لأقف بحركة لا إرادية أيضًا:

– مش عارف.. ما هي ممكن ماتفتكرنيش أو تحرجني.. بلاش دلوقتي.. خليها بعدين.

عدل نظارته مرة أخرى قائلًا لي بنبرة غاضبة:

- خليك بعدين برحتك..واحد مايعرفهاش أهو ..وبيتعرف عليها.. انتوا بقيتوا مع بعض في كلية واحدة تحرجك إيه وانت أصلا تعرفها.. مش عارف أنا إيه ده!

نظرت تجاه (جميلة)، وأنا أدعك مؤخرة رأسي بحركة لا إرادية لأجد أحد الطلاب صنع من الورق لعبة على شكل صاروخ ورقي رماه ناحيتها وذهب إليها ليتعرف عليها هي وصديقتها، قائلًا لها بصوت سمعته:

- مفيش أي إصابات عندك؟

ضحكت وصديقتها تعطيه الصاروخ الورقي ضحكتها التي تنير الكون.

***

انتهى اليوم الأول وأنا على هذه الحالة طوال المحاضرتين ناظرًا إليها، لم تأخذ بالها مني، لم تريني حتى في الاستراحة الطويلة بينهما..

ظللت مع (حسام) في الاستراحة جالسين بالمدرج، كان يكلمني، وكنت غير منتبه له، وأرد عليه بآهات وهمهمة..كان يدور صراع غريب بطيات نفسي بين أنا الضاحك المشاغب الذي قُتل بداخلي الذي يريد أن يذهب ويسلم عليها، ويقول لها إنه كان علي يقين أنه سيراها يومًا ما، ويعرفها أين هنا..وبين ذلك الذي أنا عليه الآن خائفًا من أن تراني بهذا المنظر منكوش الشعر متلعثم الكلام فاقد الثقة، كنت خائفًا أن تكرهني أو ألا تحبني أو لا تعرفني وتكون قد نسيتني..

وظل هذا الصراع حتى انتهت المحاضرة الثانية، وعندما كنت أخترق الحشود ظلت عيناي تتحركان يمينًا ويسارًا باحثة عنها تريد أن تراها مرة أخيرة قبل يوم الغد، حتى وجدها خارج الجامعة.. كانت واقفة وحدها بعد أن ذهبت صديقتها كما يبدو، وكانت منتظرة مواصلة ما لتركبها وتعود إلى بيتها..كانت تنظر إلى الشارع ولا تنظر إليه في نفس الوقت، كانت شاردة تمامًا، وكانت أول مرة تذهب تلك الابتسامة من على وجهها، وأرى رسمة حزن وألم ما.. عندها فقط وجدت أني حقًا أريد أن أذهب وأتكلم معها..لا أريد أن أرى هذا الحزن على وجهها، أريد أن أقول لها أي شيء.. لأرى الابتسامة التي تنير الكون..وعندها أيضًا حصلت لي تلك الظاهرة ..رأيت من قبل أو (ديجا فو).. ولكنها لم تكن كأي مرة حصلت لي بها، وجدت أني متأكد من رؤيتي لهذا المشهد من قبل.. ولم يدم هذا لثوان، بل لفترة عرفت أنها سوف تركب تلك السيارة الأجرة القادمة، رأيت المشهد و أن الـــ.. رأسي يؤلمني..

من أنا؟

ما الذي جاء بي إلى هنا؟

من هذا؟!

من هم؟!

أنا ضعيف!

وحيد!

غريب عن هذا العالم!

وقعت على الأرض ممسكًا رأسي من شدة الألم.. ثم اختفى كل شيء، وجدت (حسام) ينحني بجانبي قائلًا بصوت مفزوع:

– انت كويس؟

لكني قمت ناظرًا إلى حيث كانت، ووجدتها تركب تلك الأجرة لأدرك أن حقًا الغد – وبشكل ما – لن يكون مثلما كانت البارحة، لكني لم أعرف لماذا؟!

***

5

بحبك

"ل..لكن لما تبكي من الألم ومحدش يمسح دمعك.. ت..تصرخ ومحدش يسمعك.. تسأل ومحدش يجا..وبك.. إن..إنك ماتعرفش إيه اللي بيحصلك وبيح..صل ليه"

***

الحادي عشر من أكتوبر

لا أعرف ما الذي جعلني أمسك بالقلم لأملأ هذه الورقة البيضاء، ربما لأني أشعر أن هناك شيئًا ما بداخلي ثائرًا، وأني ظننت أن هذا القلم سيلعب دور العصا السحرية؛ ليخرج هذا الذي بداخلي على هذه الورقة.. هذه المرة الأولى التي أجرب بها أن أكتب ما مررت به باليوم أو المذكرات كما يسمونها، كما هي أيضًا المرة الأولى التي أشعر بها بما شعرت اليوم، عندما رأيتها تدخل من هذا الباب.. عندما

علمت أنها هي؛ شيء ما تملكني، جعلني أتصرف على غير طبيعتي، أو جعلني أعود للتصرف على طبيعتي، جعلني أشعر أن هناك روحًا ما بالمكان، جعل عيني تُتفتحان وأذني تسمعان.. الآن الليل يحيط بي من كل الجوانب، أجلس على ضوء القمر أكتب، إن كنت سألتني صباحًا عن ما إن كنت سأفعل هذا ليلًا، كنت لأتهمك بالجنون..

لكن حقًّا ليس لدي الرغبة بالنوم، ولا أعرف السبب الحقيقي، لم يعد الإعياء الذي شعرت به صباحًا، وتلك الحالة التي أظن أنها أصابتني من قبل مرة وأنا صغير، بل بالعكس بعدما وقفت علي قدمي لم أشعر إلاّ بالنشاط والسعادة، وظللت طوال الطريق أضحك مع (حسام).. وعندما عدت للبيت كان أول شيء فعلته هو أني دخلت كالمجنون أبحث عن القلم الأصفر – قلم جميلة – فتحت درج المكتب، وظللت أبحث..ورغم علمي بمكانه وعلمي أنه موجود بمكانه كمومياء توت عنخ أمون منذ آلاف السنين كنت قلقًا ألا أجده..

وجدته بالنهاية بعد أن قلبت محتويات الدرج دون داعٍ، ومن ثم ظللت أحدق به قليلًا شاعرًا بالسعادة، ومن ثم ذهبت في نوم عميق – قلق بأوله بسيناريوهات يخرجها عقلي وينتجها قلبي – لأضيع الوقت حتى يأتي الغد الذي أنتظره لأكلم (جميلة) هل ستتذكرني كما أتذكرها أنا؟!

ربما لا، أخر مرة رأيتها بها كان منذ أكثر من ستّ سنوات، لقد تغيرت هي، بالكاد عرفتها، لكنها تغيرت شكلًا فقط، لا تزال تلك الطفلة الجميلة بداخلها، لا تزال هي نفسها تلك الفتاة، واثق أنا بهذا، ولا أعلم من أين أتتني كل هذه الثقة..

سأذهب إليها غدًا إذن، وستعرفني وتتذكرني ونعود صديقين مجددًا.. لكن هذا الفتى– استعدت صورته– الذي رمى عليها الصاروخ الورقي، وكيف ألقى بتلك الدعابة السمجة التي جعلتها تضحك.. ضحكتها التي تنير الكون.

***

العشرون من أكتوبر

أمسك بقلم (جميلة) الأصفر بيدي اليسرى وأخط بيدي اليمنى بتلك الأوراق المتهالكة، لا أشعر بالسعادة، ولا أشعر بالحزن، لكني أشعر أن هناك شيئًا ما غير الأكسجين بهواء الليل الحزين يدخل من خلال شهيقي، متسللًا كلص محترف إلى أعماقي.

اليوم لم يكن هناك جديد، لم يكن لدي أي محاضرات، ذهبت إلى الجامعة دون سبب، لكني لم أرَ (جميلة)، كانت المرة الأخيرة التي رأيتها منذ يومين، ولكنهما يبدوان لي كسنوات عجاف، ربما لأني من المفترض أن أكلمها وأعطيها قلمها وأذكرها، لكني لم أكلمها، بل على النقيض كنت أتفادها، كأنها جانبي من المغناطيس الذي أتنافر معه، كنت دائمًا أقف وأجلس في المكان الذي أستطيع منه رؤيتها متخذًا (حسام) معي صانعًا الحجج والأوهام، عندما كنا بالمحاضرة جلست قريبًا منها، ولكن بزاوية تسمح لي برؤية وجهها طوال ساعتي المحاضرة، وبعد الانتهاء من المحاضرة وعند جلوسها بالكافتيريا مع صديقتها جلست أنا في أبعد مكان بالخلف، كانت لا تستطيع رؤيتي،

وكنت لا أراها بوضوح، لكني كنت أشعر بالسعادة والراحة النفسية بمجرد الوجود بمكان وجودها..

لا أعرف لماذا شعرت بالغضب البالغ عندما رأيت الفتى وسيم الملامح.. فتى الصاروخ الورقي يضحك، ويسلم عليهما ومن ثم تكلموا قليلًا وضحكوا قليلًا، وذهب بعدها، لا أعرف لماذا فقدت التركيز مع (حسام)؟!

كان الوقت يمر كالضوء، وقد مرت ساعة إلا ربعًا دون أن أشعر بها، كنت أتكلم مع (حسام) بربع وعي بالموضوعات الروتينية الحياتية العادية، لكني كنت ألتفت إليها – حيث تجلس – بين الحين والآخر، وكلما نظرت إليها وجدت نفسي أني قد نسيت وجهها وملامحه، وأني أريد النظر مرة أخرى.. فأنظر لها وهكذا..

أظن أنها لمحتني بمرة من المرات، ونظرت لي فترة تزيد عن ثانيتين.. هل عرفتني؟

أشك في هذا، كانت مساحة الكافتيريا واسعة.. كانت تجلس بأولها وكنت أجلس بآخرها.. كان يبدو على صديقتها هذه أنها تعرفها منذ أمد، ربما مثل (حسام) بالنسبة لي، كانت تبدو جميلة ولكن ليست مثل (جميلة).

لماذا لم أذهب لأكلمها وأعطيها القلم؟

أبحث عن إجابة هذا السؤال الآن، وما من إجابة تريد أن تطفو إلى سطح خلايا عقلي، لكن إن تعمقت بداخل هذه الخلايا فأنا أعرف

الإجابة، ذلك الصباح عندما نظرت إلى المرآة لم أجد هذا الفتى، هذا الصبي الصغير المشاغب الوسيم صديقها القديم..

وجدتُ شخصًا آخر، شخصًا لا أحبه، شخصًا إن كنت أنا من (جميلة) وجاء يكلمني كنت لأجعله يعرف قيمة نفسه قبل حتى مجرد التفكير أن يأتي ليكلمني مرة أخرى.

هذا الهواء ليس بطبيعي أكاد أجزم بهذا، الأنفاس لها طعم بداخل نفسي، لم أشعر بهذا من قبل..

أشعر بالإرهاق.. أظن أني سأذهب للنوم.

***

الثاني والعشرون من أكتوبر

لا جديد

لكني أريد أن أرى (جميلة) بشدة لا أعرف لماذا؟ لكني أعرف أن هذا سيجعلني سعيدًا.. أمر سيجعلني أشعر بتحسن..

***

الخامس والعشرون من أكتوبر

زادت فرحتي عندما مرت نسمة الصيف المُلَطِّفة وكأن الكون يحاول مداعبتي، إن تلك الابتسامة المرتسمة على وجهي منذ الصباح لا تريد أن تذهب، وعندما تذهب وأنسى أنها ذهبت لأعود أتذكر فأجدها موجودة.. فتذهب.. لأتذكر، حتى مللت وتركتها..

اليوم.. هو يوم رائع إذن..

غيرت طريقة جلوسي الآن، أنا أفعل هذا كل دقيقتين منذ أن حل الليل، ربما كان أثرًا من آثار فرحة اليوم، في الحقيقة أشعر أني لا أريد الجلوس هكذا، بل أشعر أني أريد الهبوط إلى الشارع الخالي صارخًا مهرولًا مثل طفل صغير سعيد، وهذا كان حالي، وأنا عائد اليوم من الجامعة كنت أسرع في المشي أحيانًا، وأحيانًا أخرى أبطئ، لا أعرف لماذا؟

لقد كلمتها اليوم، حسنًا ليس عن قصد، لكني كلمتها، ليس كما تمنيت، لكني كلمتها.. لم يكن كلامًا بمعنى حديث، في الواقع كانا كلمتين.. عندما دخلت متأخرًا بالمحاضرة،وسمح لي الدكتور بالدخول، ولمحت (حسام) يجلس بصف ما من الصفوف الأخيرة، وعندما ذهبت إليه لأجلس بجانبه، كان الصف به خمسة أو ستة طلاب من الناحية التي دخلت منها وكانت (جميلة) أحدهم. في الحقيقة لقد لمحتها قبل أن ألمح (حسام).. لكن عندما قامت لأتمكن من المرور واقتربت المسافة بيننا ونظرت بعينيها وأنا بهذا القرب، يا لهذا الإحساس!

أردت أن يتوقف الزمن بي ولو قليلًا، لكن اللحظة مرت كالحلم!

قلت لها: (أنا أسف)، قالت: (لا عادي).

لا أستطيع تذكر كلمة من المحاضرة..

لا أعرف فيمَ كنت أفكر بالتحديد..

فقط تمنيت ودون إيجاد المصباح السحري.. رأيت الدنيا جميلة.

***

السابع من نوفمبر

(إزيك يا جميلة) قلتها وأنا ناظر إليها بعينيها – يشبهان عينيّ كثيرًا – لترد هي بصوت غاص بأعماق داخلي لم أكن أعرفها (أنا الحمد لله.. انت أتغيرت قوي على فكرة).

ضيقتُ عينيّ في حزن ناظرًا بعيدًا عن عينيها قائلًا: (للأحسن ولا للأوحش)؟!

ضحكتْ لأبتسم أنا مرغمًا، قائلة وهي تهز كتفيها: (لأ للأحسن).

زادت ابتسامتي لأقول لها: (انتِ بقى ماتغيرتيش).

وأسكت قليلًا وأكمل: (نفس جميلة بتاعة زمان و.. وفي عينيكي لسه براءة الطفلة اللي كنت باجي اتلكك عشان أتكلم مغاها).

ابتسمتْ لتتجمد عيناي بعينيها قائلة: (ميرسي يا عمرو).

حاولت أن أحافظ علي ثقتي بكلامي مكملًا: (فاكرة في آآخر سنة في ابتدائي.. فاكرة لما جيت أستلفت منك قلم الألوان الأصفر)؟

ضاقت حدقتاها وكأنها تعود بالزمن (ياااا.. اه فاكرة.. دي كانت أيام حلوة قوي..فاكر الولد العملاق ده اللي وقعني وجيت انت تضربه.. ده انت ضربته ضرب).

ضحكتُ مرغمًا لأقول: (خدتي بالك انتِ زقيته ووقعته إزاي.. كنت قوي جدًّا).

ازدادت ضحكتها فازدادتْ جمالًا: (على فكرة القلم الأصفر بتاعك لسه معايا.. شايله ومحافظ عليه من يومها.. تصوري إنه لسه بيلون).

(بجد). قالتها غير مصدقة والدهشة مرتسمة بعينيها.

كان القلم بجيبي لكني فضلت كذبة بيضاء: (هجيبهولك بكرة أوريهولك بس.. وأخده تاني معايا).

لا داعي لأن أكمل فكل هذا لم يحدث بالأصل، وما هو إلّا خيال، والشمس التي تبدأ رحلتها الآن جعلتني أفيق من شرودي الذي أذهب إليه كثيرًا، متخيلًا ملايين السيناريوهات التي تحدث بعقلي فقط ولا تزور أرض الواقع.. سيناريوهات أنساها بعد قليل أو أتناساها لأنها تسبب الألم، الكثير منه.

***

الثالث عشر من نوفمبر

لا أريد الكلام اليوم.. أو بالعكس لكم أريد أن أتكلم لكني لا أعرف لماذا بدأت أشعر أنك صماء أيتها الورقة.

***

السابع عشر من نوفمبر

أنا أهرب من مجرد أن أسأل نفسي مجرد السؤال..السؤال الذي أعرف إجابته جيدًا، لكني لا أسأله حتى لا أجيبه.. وعندها سيصبح حقيقة عليّ أن أعترف بها وأتعامل معها..

لماذا أشعر بهذا الإحساس الغريب منذ أن دخلت إلى حياتي مجددًا؟

لماذا أشعر أن كل شيء تغير؟

أحاول أن أفرق بين الآن، وقبل أن أراها فلا أستطيع حتى المقارنة، لا أستطيع التذكر كيف كانت الحياة في السابق دون أن أراها، دون أن أسمع صوتها.. كيف كانت؟

اليوم فقط أستطيع أن أسأل السؤال إذن.. هل أحبها؟

وما الحب؟! لم أكن أعرف معنى لهذه الكلمة التي يتكلم عنها الجميع، لم أشعر بها يومًا؛ لذا لم أعرف ماذا تعني؟

اليوم فقط لا أستطيع الهروب من السؤال.. عندما أغلقت باب غرفتي اليوم صباحًا، بعد أن عدت من الجامعة، ولم أرَها أحسستُ بالقلق، لماذا لم تأتِ؟

هل هي مريضة؟

هل أصابها أي مكروه؟

اليوم ظللت ناظرًا من نافذة غرفتي شارد أفكر بها، أحاول أن أكتشف طريقة لأعرف أخبارها ولم أجد.. ظللت أذهب يمينًا ويسارًا بغرفتي المغلقة دون أن أعرف لماذا؟

رميت بنفسي على الفراش ناظرًا إلى السقف شاردًا، ومن ثم وقفت مرة أخرى، وظللت أقفز بالغرفة، عندها توقفت وسألت نفسي: ماذا أفعل؟ هل جننت؟

عندها تذكرت كلامي عنها معظم الوقت مع (حسام)، تذكرت ابتسامتي التي لا تذهب عندما يأتي اسمها على طرف لساني.. تذكرت كيف ارتسم الغضب على وجهي عندما رأيتها تتكلم مع هذا الفتى الوسيم منذ عدة أيام، ولم أعرف ماذا أفعل؟

اليوم تملكتني الحيرة والغضب والحزن والفرح والتعب، ولا أعرف لماذا؟

بل أحيانًا لا أستطيع أن أتكلم معك أيتها الورقة رغم أنه بداخلي الكثير.. لكن عندما أتذكر وجهها، ابتسامتها، وصوتها أعرف أني لم أجن، أعرف أني ورغم كل محاولاتي للهروب من السؤال لأجد أنه لا مفر الآن.. هل أحبها؟

أظن أني عرفت الإجابة.

***

الثلاثون من نوفمبر

حسنا تأكدت من حبها الآن

اليوم.. عندما رأيتها بعد غيابها عدة أيام تأكدت من ذلك..

لكني تأكدت من شيء آخر، عندما نظرت إلى المرآة وقارنت نفسي بهذا الفتى الوسيم الذي كان يقف معها، لم أجد مقارنة..

أنا لا أريد أن أتكلم.. ما بداخلي أكبر من الكلام.

***

هل تعرفين أيتها الورقة؟ عندما كنت أسمع أحدًا ما يتكلم عن الحب كنت أسمعه ومع كل كلمة من كلامه أضحك بداخلي..

هل تعرفين أيتها الورقة؟ لم أكن أؤمن بالحب ألبتة.. كنت أجده مجرد كلام بلا معنى، كذبة قالها الناس وصدقوها..وعندما كانوا يقولون لي إني يومًا ما سأقع به.. كان يزداد الضحك بداخلي..

لكن عندما رأيتها تبدل كل شيء بداخلي، تبدلت المفاهيم والمصطلحات..تحطمت النظريات والإثباتات بمجرد نظرة من عينيها..

وبعد أن علمت أيتها الورقة ما أعلمه.. لقد اعترفت لنفسي بأني أحبها لكن.. أيتها الورقة الفارغة لا أعرف ماذا أفعل؟!

اليوم رأيتها مرة أخرى تلاقت عيوننا أكثر من خمس ثوانٍ.. نعم أيتها، الورقة خمس ثوانٍ فقط.. أحسست بها بما لم أحس منذ سنوات، وتمنيت أن تدوم أيتها الورقة..

لكن أنا لا أعرف ماذا أفعل، لا أعرف لماذا أكتفي عندما أنظر إليها وأجدها تبتسم، لا أعرف لماذا لا أذهب وأتكلم معها؟

هل تعرفين أيتها الورقة: قلمها الأصفر لم يغادر جيبي منذ أول مرة أخذته، يصاحبني كل يوم؟! بل ما لا تعرفينه أيتها الورقة أني أذهب كل يوم إلى الجامعة حتى الأيام الخالية من المحاضرات والدراسة، أذهب على أمل أن أراها، أن أكلمها..

لكني تعبت أيتها الورقة.. لا أستطيع فعل هذا..

أفكر أثناء نومي كثيرًا، لكن لا فائدة، يرسم لي عقلي ملايين السيناريوهات والأفكار دون طائل، كلما اقتربت منها أحسست برعشة داخلي.. فأبتعد.. هل تعرفين أيتها الورقة: – وهذا سر لن تقوليه لأحد – أنها لا تمطر الآن عليكِ، وهذه ما هي إلّا دموع من عيني.. فقولي لي ماذا أفعل أيتها الورقة؟!

***

السابع عشر من ديسمبر

حسنًا لا أستطيع النوم؛ لذا سأكتب، لأنه ليس هناك من شيء آخر أفعله، لقد تركت غرفتي وأجلس بالشرفة وأكتب على ضوء القمر..لا أستطيع النوم، إن ظل الحال على ما هو عليه كثيًرا فسوف أجن..يبدو اليوم أن هناك شخصًا ما بداخلي، وهذا الشخص يثرثر في عقلي وينبش أفكاري يمينًا ويسارًا، لقد ظللت أتقلب على الفراش لمدة زادت عن ثلاث ساعات، والنوم قد هجرني لا يريد زيارتي، وكأني ضايقته بشيء ما..

صورتها متموجة أمامي كلما أغمضتُ عينيّ..لا أستطيع تحديد ملامحها كاملة، ربما هذا هو السبب الذي يمنعني من النوم.. صورتها التي لا أريدها أن تفارقني التي حُفرت بداخل عقلي، لكن لا يستطيع تجميعها، فاتخذتها عيناي خلفية لها، بدلًا من الظلام عندما أغلقهما..

ماذا الآن؟ يبدو أن جميع من يقطنون بهذا الشارع نائمون.. أنا المجنون الوحيد إذن الذي يجلس بالشرفة ببداية فصل الشتاء يرتعد من البرد، ويمسك ورقة وقلمًا، ويكتب كلامًا لا فائدة منه إلّا مضيعة الوقت..

بالغد سأراها، ويبدو أني حتى الغد لن أفعل شيء إلا الكتابة.. سأظل أكتب هراءً، حتى ينتهي الهراء، فأكتب كلامًا لا معنى له..

اليوم رأيتها.. لماذا تلمع النجوم هكذا، هذا غريب!

يبدو كما لو أنها حائرة تائهة، النوم لا يزورها مثلي!

لماذا أرى القمر ككرة اليوم؟!

أنه بدر، لكني لم أكن أراه هكذا بالسابق، كنت أراه مجرد قشرة بيضاء بالسماء لا أبعاد لها.. اليوم لا أعلم لماذا أراه كالكرة المنيرة..

اليوم رأيتها.. لكني لم أفعل شيء كعادتي، لم أفعل شيئًا، لكني رأيتها، وهذا يكفي!

هذه الضحكة..هاتين العينين..لقد وقفتُ قريبًا منها،وسمعتها تتكلم أيضًا..

وهذا يكفي.. هذا يكفي.

***

التاسع عشر من ديسمبر

حسنًا.. لقد كلمتها اليوم، لكني لست فخورًا بهذا إلى هذا الحد.. صباحًا كنتُ فرحًا غير عالم ماذا أفعل، لكني الآن أشعر ببعض الألم لما فعلت.. دعي القلم يقول لك أولًا ما حدث أيتها الورقة..

كانت تقف مع اثنين من أصدقائها، فشعرت أنا بشعور أن عليّ فعل شيء، في وقت تفكيري ذاته بهذا وجدتها تبتعد عن أصدقائها، لتجيب على هاتفها المحمول، ظللت منتظرًا حتى تنتهي من المكالمة، وكان هذا سريعًا؛ لأذهب إليها قبل أن تعود إلى أصدقائها.. نعم ذهبتُ حقًا هذه المرة.. لكن أولًا أيتها الورقة يجب أن أقول لك إني لست فخورًا بما حدث، بل أشعر بالخزي.. الخزي الشديد.. لدرجة أنه ما من أحد يراني الآن وأشعر أني أريد الاختفاء من الخجل.. لكني بالصباح لم أكن هكذا، بل على النقيض كنت فرحًا وهذا ما يسبب لي الحيرة الشديدة..

لنعد إلى الصباح..

ارتسمت على وجهي ابتسامة سمجة، وذهبت إليها بخطوات متقطعة، وهي عائدة إلى أصدقائها، قائلًا:

– جميلة عاملة إيه؟

كانت تبدو شاردة، ولم تسمعني جيدًا لكنها التفتت لي ونظرت بعينين ملؤهما الاستغراب:

– الحمدل .. هو انت بتكلمني.. أنا أعرفك؟

بدأت أنا بالكلام، لكني أشك أن هذه اللغة التي تكلمتها يستطيع أي إنسان أن يترجمها:

- أ .. نا .. يِ .. ا .. .. أصل .. الــ .. قل .. ابتد.

ضَيَّقت حدقتيها باستغراب، وتركتني عائدة إلى أصدقائها وظللت أنا واقفًا مكاني، محاوِّلا أن أعلم ماذا حدث، وماذا فعلت؟ لكني لم أستطع، بعدها عدت إلى (حسام) وبعض الأصدقاء الذي تعرفت إليهم.. لكني كنتُ فرحًا.. هل هذا لأني كلمتها؟

حسنًا.. هذا هو ما حدث أيتها الورقة، ما رأيك؟

أنا جُننت، أعرف هذا.. هل المجنون يعلم أنه جن عندما يجن؟

ربما جننت.. لكني أحبها حقًا، أحبها!

لم أظن نفسي يومًا سأحب هذا الحب.. لكن لماذا فعلت هذا؟! كل ما كنت أريده هو أن أقول لها ما أريد قوله، أن أتقرب إليها، أن أتكلم معها.. لماذا لا أستطيع فعل هذا أيتها الورقة؟

لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

- لماذا؟

هل هذا لأني ضعيف؟ هل أنا ضعيف لأفعل هذا أم لأني لست بوسيم؟! هل هذا هو السبب؟

مستحيل أن تحبني (جميلة)، ولماذا ستحب شخصًا مثلي وهي لديها هذا الفتى الوسيم الذي أراه معها معظم الوقت.. هي وصديقتها، لماذا لم يقل لي أحد من قبل إن الشكل هو كل شيء، لماذا؟ لِمَ أبكي الآن؟ لقد مللت البكاء!

مللت الحياة بهذا الشكل!

لماذا؟ لماذا؟

إن لم أكن جننت..

فأظن أن هذا سيكون قريبًا.

***

التاسع والعشرين من ديسمبر

سنة جديدة على وشك البدء، سنة لا أعلم ماذا تخبئ لي داخل أيامها.

***

الثاني من يناير

اقتربت الامتحانات.. أنا لا أفقه شيئًا بالمنهج، لكن هذا لا يضايقني..

لم أذق طعم النوم منذ يومين.. كل المحاولات باءت بالفشل، لكن هذا لا يضايقني..

ما يضايقني هو أبي وبعد الانتهاء من الامتحانات لن أراها لمدة قد تتجاوز الشهر، وهذا فوق احتمالي..

لكني لا أعرف ماذا أفعل، حاولت أن أتكلم معها مرة أخرى، لكني لم أفلح في هذا، وهذا يجعلني أفقد عقلي.. لا أستطيع الاقتراب منها، وكأنها منطقة عسكرية، وكل يوم أقول غدًا..

لكني اتخذت القرار بداخلي بعد اكتشافي الذي تأكدت منه..

قراري الذي سيريحني بعد اكتشاف أنها لم تحبني بيوم من الأيام، ولماذا تحبني؟ ما المميز بي الذي يجعلها تحبني؟!

أخطأتَ يا قلبي عندما ظننتَ أنها من الممكن أن تبادلك الشعور بيوم من الأيام، أخطأتَ وأنا لا أسامحك على هذا..

أما القرار فهو أني سأقول لها.. سأقول لها ما أشعر به مهما يكن الثمن.

***

الرابع عشر من يناير

غدًا سأقول لها، لن أنام اليوم، لا لن أستطيع، ليس عليّ أن أحاول المذاكرة، لا لن أستطيع، لكن ماذا سأقول لها، الكلمات تهرب من عقلي، ولا أستطيع تجميع ما بداخلي.. لا أستطيع.

***

السادس عشر من يناير

غدًا الامتحان قبل الأخير.. غدًا سأقول لها، لقد هربت المرة السابقة، ولم أقوَ على أن أقترب منها كالعادة، لكن غدًا هي الفرصة قبل الأخيرة، لم أقو على النوم منذ المرة السابقة.. عقلي لا يستطيع الحصول على الراحة..يستخدم جميع خلاياه بنفس الوقت كي يفكر..

أنا تَعِبٌ لدرجة أني لا أستطيع النوم.. تعب لدرجة أني غير قادر على مواصلة الكلام.

***

الثامن عشر من يناير

بعد عدة ساعات سأقف أمام عينيها، وسأقول لها كل كلمة شعر بها قلبي.. على الأقل ليس من أجل قلبي، لكن من أجل عقلي الذي لا يستطيع الحصول على النوم، وكم أتمنى لو أفعل، لقد تداخلت أحداث الأيام الخمسة السابقة.. أصبحت نائمًا مع أني مستيقظ.

***

التاسع عشر من يناير

أظن أن هذه آخر مرة سأكتب بها.. ولِمَ أكتب الآن؟ لماذا كتبت من البداية؟ هل ظننت أن هذا سيخفف عني؟ ما من شيء سيخفف عني الآن.. أتمنى الموت.. أتمنى الموت.. أتمنى الاختفاء والموت، ماذا لدي لأقول الآن؟

اليوم بعد الامتحان الأخير بالفصل الدراسي الأول وقفت بانتظارها بعد أن خرجت أنا بمنتصف الوقت ولم أكتب كلمة.. حتى لا أتذكر هل كتبت اسمي أم لا!

كنت بعيدًا كل البعد عمَّا يُسمى الوعي، ولا أعرف من أين أتت تلك الوردة بيدي، ربما قطفتها ونسيت، لكني ظللت أقطع زهراتها، وأنا أتمتم لنفسي: (مابتحبنيش.. مابتحبنيش.. مابتحبنيش).

كانت عيناي بلون الدم، وكنت أرى كل شيء من خلال دمعة لا تريد الذهاب من عيني، دمعتان يعرفان أن كل شيء علي وشك الانتهاء.. ربما يريحني هذا بعد أن أسمع ردها على كل كلمة شعرت بها.. كل تعبي وسهري بالليالي السابقة، كل معاركي مع النوم التي خسرتها، كل ما حلمت أن أخوضه معها هي، كل ما خضته بخيالي معها، لكن بدونها، كل ما تكلمت به دون أن أنطق..

كنت أمسك القلم الأصفر باليد اليمنى وعقلي مشوش لعدم حصوله على النوم منذ ستة أيام، وكان هذا فوق احتمال أي بشري.. كنت أشعر أني سأسقط الآن بأي لحظة، لكني ظللت واقفًا على قدمي لسبب واحد.. هو أن أقول لها.. لا أكذب عليك.. جزء بداخلي – جزء أصغر من الذرة – كان يتمسك بالأمل أن ترد عليّ..

أن تقول لي أي كلام يعطني الأمل للغد والمستقبل.. أن أراها.. أن نتكلم، أن نحلم، ونكمل أحلامنا معًا..

رأيتها تخرج، كانت وحدها مرتسمة ابتسامة على وجهها، يبدو أنها أجادت بالامتحان.. رميت الوردة وبداخلها ورقة واحدة لم أقتطفها واقتربت وأنا لا أتذكر خطواتي حتى وجدتني أمامها أقول لها:

– ممكن دقيقة.. عايز أقول لك حاجة مهمة..

وقفتْ، ولا أعرف لماذا وقفتْ؟ ربما من حالي.. من منظري.. فيبدو عليّ أني سأموت بعد ساعة، ويا ليتني أستطيع الموت! لا مجال

للتراجع الآن.. أشعر بالإرهاق يفترسني، أراها بغير وضوح، هل سأسقط الآن أرضًا؟

لا.. لا.. لا.. ليس الآن.. ليس الآن..

جاءت عيناي بعينيها وبدأ قلبي الكلام:

– جميلة أنا من ساعة ما شفتك حسيت إحساس غريب.. إحساس عمري ما حسيت بيه في حياتي.. إحساس ولا عمري كنت أتوقع إني أحس بيه في يوم من الأيام في حياتي.. من أول مرة شفتك كنت عايز أجي أقول لك إن أنا عمرو اللي كان زمان بيلعب معاكي ببراءة الأطفال.. عمرو اللي كان بيحب يجيلك انتِ من كل الناس.. وهو مجرد طفل.. مش فاهم حاجة في الدنيا.. عمرو اللي أتمنى إنه يشوفك في كل يوم لحد ما أتحقق الحلم بمعجزة.. عمرو اللي ضيع الحلم ده وخاف منه.. خاف ييجي يقول لك لو كلمة.. خاف يقربلك عشان ماينفعش.. وهو مش عارف ماينفعش ليه؟ فاكتشف إنك حتفضلي كده كده بعيدة لو ماقربش.. عمرو اللي ادتيه السعادة والفرحة من غير ما تعرفيه وادى نفسه العذاب والألم.. واللي نفسه يشوفك أسعد حد في الدنيا دي كلها.. اللي سهر وقعد يحارب ويحارب عشان ينكر إنه اللي بيحسه ناحيتك ده هو.. هو.. الحب لكن عقله غلبه واتهزم لحد ما اعترف إنه..

لم يصل الكلام من قلبي إلى شفتي، ولكن اكتشفت أن وقتًا ما قد مر وهي تنظر لي بعينين ملؤهما الشك، لتقول لي بتعجب

– أممم هو في إيه؟

أصعب الكلام هو الكلام الذي نشعر به، ولكننا لا ننطقه، لأنه بمعناه يحتوي على الكثير غير الظاهر، وقد قيل داخلنا بلغة المشاعر لا الكلام.. فإن حاولنا قوله بالكلام لن يبدو كما سمعناه داخلنا.. لأن بالترجمة دائمًا نفقد المعنى، والأصعب من ذلك أن تكون أنت وحدك من أتقن لغة المشاعر فهي لغة قاربت على الانقراض..

لكن ليصل أخيرًا الكلام إلى لساني، لكن ليس كل الكلام لأكتشف أنه ضاع بطريقه، ولم يجد لساني إلا كلمة كان يجب أن يقولها، لأنها كانت ستمشي من أمامي، ولتأتي عيناها الصافيتان اللتان لا تشبهان بأي شكل من الأشكال عينيّ المرهقتين الآن.. لأرى انعكاس صورتي بداخلهما.. ليوصلها قلبي إلى لساني:

– بحبك..

6
الواقع

"إنك ماتحسش بالألم صدقني هو كل الألم".

***

يوم آخر في تلك الحياة البائسة ينتظرني أن أعيشه، ظللت على الفراش قليلًا، محدقًا في ظلام الغرفة، ومن ثم اعتدلت وهبط من عليه، وبدأت بارتداء ملابس مدرستي!

الأمور بحياتي تتحول من سيء إلى أسوأ إلى الأسوأ..

تلك المدرسة الإعدادية بجانب مسكننا.. كان أول يوم بها سيئًا للغاية، لقد تأخرت قليلًا بسبب مشكلة بالأسماء، لأجلس بآخر الفصل.. بعد أن أحتل الغزاة باقي الأماكن.. لم تكن مدرسة خاصة مثل مدرستي السابقة، بل كانت حكومية،كان هناك ما يقارب ضعف العدد مما قد يسع الفصل، وبعدما كان لي مكاني الخاص، الآن أجلس وبجانبي اثنان، كان أحدهما يلبس نظارة طبية فوق عينيه، كان مرحًا

وأحببته وأصبح صديقي اسمه (حسام) والآخر كان يتغيب كثيرا؛ لذا كنت أجلس أنا و(حسام) فقط معظم الوقت..

لكن لم يحبني الآخرون ولا أعرف لماذا؟

ربما بسبب أنهم ظنوا بي (أبي فافي) و(بتاع بابا وماما) عندما علموا أني قادم إليهم من مدرسة خاصة، ربما لتفوقي الواضح خاصة باللغة الإنجليزية؛ لأني أدرسها منذ تعلم الكلام.. لكني لم أعرف السبب، ربما كانت كل هذه الأسباب هي السبب، وربما أشياء أخرى لا أعرفها!

اليوم هو يوم آخر، لا أظنه سيكون مختلفًا كثيرًا عما سبقه، فقط سأذهب، لأحاول أن أستفيد بأي شيء.. وأتحمل مضايقات بعض طلاب فصلي، إن (البغل) – وهو لقبه وليس اسمه كما هو واضح – يقودهم ويخافون منه لا يستطيع أن يكتب أحد اسمه عندما يترك المُدرس أحد الطلاب ليراقب الفصل في غيابه – كي يجيب المكالمة التي جاءته على هاتف المدرسة الأرضي أو ربما لتناول وجبة الإفطار وأحيانًا الغذاء – ليكتب أسماء من يرتكبون تهمة الضجيج والمشاغبة، لا يجرؤ أحد ما على أن يكتب اسم (البغل)؛ لأنه لو ارتكب هذه الخطيئة وتجرأ وكتبه (هيستناه برا)، كنت لا أبالي حقًّا بكل هذا الهراء.. كنت معظم الوقت شارد الذهن، أحيانًا في اللاشيء، وأحيانًا أكثر في أصدقائي وكم أفتقدهم!

كنت أحيانًا أجد الابتسامة ترتسم على وجهي بسبب تذكري لموقف مع أصدقائي القدامى أو الماضي الذي أصبح ضائعًا.. تستطيع

البحث عنه، تستطيع التنقيب به، لكنك لا تستطيع استعادته، لكني سريعًا ما أجد الابتسامة تنكسر على نفس الوجه الذي ارتسمت عليه متذكرًا أنها فقط ذكرى، وما مضى لا يعود..

وأعرف تلك الحقيقة المريرة..إن الزمن يمضي إلى الأمام لا الخلف..

انتهيت من ارتداء ملابسي، وقلت لأمي التي كانت تعد السندوتشات لي بالمطبخ إني ذاهب.. وضعت السندوتشات بالحقيبة، وأعطتني بعد النصائح على غرار (مالكش دعوة بالعيال الوحشة).

أجبت بحاضر.. وها.. هل هناك ظل مجسم مر في الهواء داخلًا إلى غرفة نومي أم أنه يُهيَّأ لي؟ أسرعت إلى الداخل، لكن لا شيء، يبدو أن الضوء خدعني، ظللت أتلفت في كل اتجاه، لكن لا شيء..

خرجت من الغرفة، واتجهت إلى الردهة، وضعت حقيبتي على ظهري، وفتحت الباب، ونزلت الدرج؛ ليبدأ يوم آخر.. كانت المدرسة قريبة حقًّا، فقط هو هذا الشارع الطويل وها.. هل رأيت هذا الظل مرة أخرى بطرف عيني بجانب تلك السيارة أم.. يبدو أني مرهق حقًّا من التفكير الكثير.. كنت أكره الشعور الذي أشعر به الآن.. سأذهب إلى تلك المدرسة التي أكرهها، ويظل (البغل) وشلته يضايقونني حتى نهاية اليوم، فكأنني - حقًّا - كان ينقصني هذه التهيؤات.. لكم أتمنى أن تجري تلك السنين الباقية في تلك المرحلة، حتى أذهب دون رجعة من تلك المدرسة!

هأنا وصلت يا لمنظرها الكريه القبيح، هل هي كذلك حقًا؟ أم لأني أكرهها أراها كذلك؟ لا أعرف.. دخلت بعدما اندفع الطلاب بعد فتح الباب الرئيسي ببعض الوقت، وجاءت عيناي على فصلي ورأيته (البغل) يقف بأخر الطابور يضايق أحد الطلاب أصحاب النظارات.. لا أحب هذا الفتى أنه كا.. كا.. كالبغل حقًا، أو ربما ظلموا البغل كثيرًا بإعطاء هذا العملاق لقب (البغل)..

دخلت إلى الطابور وحاولت تفاديه، ودعوت بداخلي ألا يراني، ولكن يبدو أن وظيفة هذا الفتى في الحياة هي جعل الآخرين يكرهوها.. إنه من النوع (السايكوباتي) متعته في إيذاء الآخرين..

لم تصل أمنيتي إلى أرض الواقع، بل لم أكد أنتهي من تمني ألا يراني حتى رآني، ليترك الفتى ذا النظارة الذي لم يكن إلا (حسام) واقترب مني، ليقف خلفي لأحصل على نصيبي من مضايقاته، ليراني (حسام) في هذه اللحظة وينظر إليّ نظرة ذات معنى، منها أنه يسلم عليّ، ومنها أنه يقول لي: (أهو جالك أهو) فيا ليت ينتهي هذا الطابور سريعًا! لكني كل يوم أتمنى هذا.. أتمنى أن ينتهي الطابور.. ومن ثم أتمنى أن تنتهي الحصة الأولى.. ومن ثم أتمنى.. ها هو يجذب حقيبتي ويفتحها، وأنا واقف لا أتحرك، أنه حقًا لــ.. ها.. هل رأيت هذا الظل مرة أخرى يطير في الهواء.. إن (البغل) يخرج أحد كتبي الآن.. لكني لم أجرؤ على الالتفات إليه حقًا:

- سامحيني يا قطة.. الكتاب ده يلزمني..

كان هذا هو بالطبع بصوته الطفولي الأجش الذي سبق سنه بمراحل، لكني ظللت ناظرًا إلى الأمام لا ألتفت.. يبدو أن اليوم سيكون طويلًا جدًّا..

انتهى الطابور، فتركني ذاهبًا ليلعب دور القائد على شلته قليلًا، أنزلت الحقيبة عن ظهري، وأغلقتها، وأنا أحاول أن أجعل نفسي متأخرًا حتى أتفاده ويصل إلى الفصل قبلي.

– عامل إيه يا عمرو؟

قالها (حسام) بصوته الطفولي جدًّا، وهو يقف جانبي بجسده الهزيل، ماسكًا حقيبته يغلقها، ويبدو أنه يفعل ما أفعله أنا حقًّا بعد أن فعل (البغل) معه مثل ما فعله معي..

بدأنا التحرك لنجد أن مع كل خطوة من الدرج توجد صفحة أو اثنان من كتابي وكتاب (حسام)، يبدو أن (البغل) حصل على تسلية لا بأس بها..

دلفنا إلى فصلنا ودلف المُدرس بعدنا بثوانٍ، قمنا وبعد أن حييناه بدأت الحصة تمر، وكان هذا المدرس من القلائل الباقي لديهم بعض الضمير، وكانت لديه الشخصية أو تلك العصا الكبيرة – فهذان الشيئان سيان في تلك المدرسة – فكان مسيطرًا على الفصل وكنت مستفيدًا بالحصة حقًّا.. ها..

هل هذا الظل حقًّا يأتي من يميني؟ هل هو قادم ناحيتي؟ لو نظرت إليه لاختفى، وإن كان موجودًا حقًّا، فلماذا لا يراه الآخرون؟

إنه يقترب مني.. يقترب.. نظرت إليه فاختفى، لأصدر تلك التنهيدة بطريقة لا إرادية.. لأجده على يساري:

- انت عايز مني إيه.. سبني.. ابعد عني.. بتطاردني ليه؟

كان الشبح اختفى الآن لكن وجدت نفسي واقفًا، والعيون كلها تحدق بي، حتى عيون المُدرس، قال لي المدرس بلهجة استغراب:

- في إيه يا عمرو؟

كان ذلك الشبح ظهر مرة أخرى الآن.. وهذه المرة لا يختفي حتى وإن نظرت إليه بصورة مباشرة، يحوم في الهواء خلف المُدرس في الفراغ.. ينظر إليّ بعينين لا مكان لهما..

- وراك يا.. مس..تر ور..اك..

نظر المدرس خلفه، لكن الشبح كان قد اختفى، وبدأ الضحك وانفجرت القنابل المسيلة للدموع في المكان لتصيب جميع الطلاب، حتى المدرس ارتسمت على وجهه ابتسامة سخرية، ولكن الشبح ظهر مرة أخرى على اليمين يحوم بالهواء.. وكان كل هذا فوق طاقتي بكثير.

7

الموت البطيء

" كنت لوحدي.. دايما لوحدي في كل حاجة وأي حاجة.. حتى وأنا وسط الناس برضه كنت ببقى لوحدي.. لحد ما حبيتها وكل حاجة اتغيرت.. كل حاجة"

***

التاسع عشر من يناير

أريد الموت ولا أستطيع.. أكره حياتي ولكن ليس كما أكره نفسي لما اقترفت من أشياء من أخطاء من لا شيء وكل شيء..

أشعر بروحي كأنها صنبور مياه عطب تتسرب منه الحياة نقطة بعد الأخرى جاعلة إياه بلا فائدة.. تمنحه الألم بكل نقطة تهرب، لكن الفرق هنا أنه لا يزعج أحدًا ولا أحد يأتي ليغلقه، ليجعلني أشعر بالراحة، لكن تركه الكل.. لا يسمعه أحد..

أشعر بإرهاق من الداخل، بألم بلا موضع بلا دواء.. أمسك القلم والورقة كالعادة، ينظر إليّ القمر المكتمل اليوم بصمت يراقبني وأراقبه كالعادة، لا أحد هنا يشعر أيضًا كالعادة..

أحاول ملء سطر يليه آخر بكلام، ربما يخرج ما بداخلي فأجد ما بداخلي يبكي، ويقول لي هذا الذي تكتبه، إن كنت تريد أن يعبر عن ألمك وعن ألمي فهو هراء لن يقرأه أحد بيوم من الأيام وإن قرأه أحد، فهل سيخفف هذا الألم؟!

كل الكلام الذي تكتبه موجه لشخص واحد، إن قرأ العالم أجمع كلامك وأبكاه وتعاطف معك، فهذا الشخص هو آخر من سيقرأ هراءك، هو آخر من سيتعاطف معك، هو آخر من سيتعاطف معي ويشعر بك، هل تعرف لماذا؟

لأنك أصبحت في خانة الضعفاء وفي كوكب الحب لا وجود لأمثالك..

تنازلت وجعلتني أتنازل، أحببته وجعلتني أحبه، وكنت أظنك لن تحب يومًا، ولن تجعلني أشعر مثلما أشعر الآن..

لن أسامحك على ما فعلته، أنا أكرهك، وأكره نفسي، مثلما تكرهني وتكره نفسك، لقد حولت حياتي جحيمًا..

لماذا أنا لست بنائم الآن؟

لماذا لا ترد؟ لماذا لا تبكي العين؟ وأبكي أنا.. ربما تسكن الألم.. ربما تشعرك بتحسن.. تقبل هذا فهو واقعك وواقعي.. لماذا أنت

فقط؟! لماذا أرى الجميع يحب يومًا وينسى باليوم الآخر الذي بنهايته، يحب مرة أخرى، وأخرى .. لماذا هي ولماذا أنت؟

***

تحول وجه (جميلة) كلوحة فنان لمنظر بغاية الجمال لوَّثته بعد نقاط الحبر، وكانت نقاط الحبر كلمة تمنيت من أن تجعل اللوحة أجمل، لكن وبعد برهة من ثبات الوقت وتوقفه وبعد أن زادت ضربات قلبي لدرجة أني سمعتها، نطقت، لكن ليتها لم تفعل:

– بتح.. إييه

انتقل وجهها إلى لوحة أخرى، لوحة إن رآها العالم سيحتار.. لوحة مثلت حيرة العالم، كان هذا دوري بالكلام إذن مرة أخرى، لكني لا أستطيع.. لن أستطيع أن أقول "بحبك" مرة أخرى من التعبير الذي ارتسم على وجهها، من معرفة أني أنا الفنان الذي رسمه أتمنى الاختفاء، الموت، الجري، الهروب، أن أكون بأي مكان آخر وأي زمان آخر ما عدا ذلك المكان وتلك اللحظة التي أنا بها..

– إزاي يعني؟

كان هذا منها أيضًا بصوت عالٍ إلى حد ما.. جعلني بالإضافة إلى كل ما سبق أتمنى الطيران، أن ينشق ظهري ويخرج الجناحان السحريان لأطير بهما بعيدًا إلى حيث كوكب آخر..

– هو انت مين أصلًا.. أنا أعرفك.. ولا تعرفني عشان تحبني؟!

بصوت عالٍ أيضًا، جعلني لا أستطيع تمني شيء، لكني أحسست بشيء غريب، أحسست أن بمنطقة قلبي آلاف الملايين من الإبر غرست به، وأني شعرت بغرس كل إبرة على حدة.. بألم كل منهما منفردًا، وآلامهم متجمعين في أقل من الثانية الواحدة..

وجدتني أستدير.. وجدتني أنطق كلمة لا أظن أنها سمعتها، ولا أظن أنها ستشكل فارقًا ما إن سمعتها:

- أنا آسف..

نطقتها بهمس وربما أكون نطقتها بداخلي فقط، نطقتها لها أو ربما أكون نطقتها لي فقط بدون دمعة، ودون أن أشعر بأي شيء عدا الألم النقي الذي مر علي آلاف المنقيات والفلاتر..

مشيت خطوة تسحبها الأخرى، وجدتني أمشي دون أن أعلم أني أفعل، دون أن أعلم إلى أين أنا ذاهب، وجدتني أذهب.

سمعت أصواتًا من الخلف، ربما هي صديقتها تلك جاءت مسرعة إليها لتعرف ما الذي حدث، وربما معها هذا الوسيم أيضًا، ربما يهيأ لي وتكون مجرد أصوات الخارجين من الامتحان، مهما يكن لن يشكل هذا فارقًا.. لن يشكل أي شيء فارقًا الآن..

وجدتني بالبيت لا أعرف كيف، كأني غمضت عينيّ لأصبح هنا، هربت إلى داخل غرفتي من أسئلة أمي عن ماذا فعلت بالامتحان، من أن أجد أخي بوجهي ليطلب مني شيئًا، هربت كالغزال الذي بخلفه فهد يُطارِدُه، وكالفريسة نِمْتُ.

8
المازوخية

"صدقني انت ماتتصورش إنك تكون قصة.. قصة أغرب من القصص اللي كانت بتتحكي لك.. قصة انت بطلها ومابتلعبش دور البطل"

***

تلك اللحظة عندما تستيقظ وتدرك أن ما حدث بالأمس قد حدث حقًا..استيقظت دون أن أفتح عينيّ، وظللت ثابتًا مكاني أستعيد الذاكرة، لقد حدث ما حدث، وعند محاولة عقلي استعادة الذكرى شعرت وكأن أحدهم وضع خلاصة كلمة المر بفمي؛ ليتسرب منه ليس إلى معدتي، بل إلى قلبي..ومن ثم إلى كامل جسدي، كنت حقًا أشعر بالمرارة مثلما لم أشعر بها من قبل..

فتحتُ عينيّ لكني ظللت بمكاني لا أريد أن أتحرك.. ظللت هكذا لعدة ثوانٍ أو ربما هي عدة دقائق، ومن ثم استدرت إلى الناحية الأخرى، وأغمضت عينيّ، محاولًا أن أذهب بالنوم مرة أخرى، لكني لم

أستطع، لقد استنفد عقلي ساعات النوم التي يريدها.. لكني لا أريد أن أفارق الفراش.. لو فارقته ماذا سوف أفعل؟

الانتحار.. نظرت إلى هذه النافذة التي بغرفتي، وأشعة الشمس تحاول أن تخترقها.. فكرت أن أقوم وأقفز منها، لكن لو قفزت سأذهب إلى عذاب آخر أشد، عذاب إلى ما لا نهاية، ولقد اكتفيتُ من العذاب.. لكم أريد أن أشعر بالراحة! فقط الراحة!

ظل عقلي ساكنًا لا يفكر في شيء، حتى بدا أن أكثر لحظة لا يريد تذكرها، يتذكرها مرارًا وتكرارًا، وكأنه يعاندني.

بدأت أحاول أن أعرف من أنا؟! كالملاكم بالحلبة الذي اكتفى بتلقي الصدمات من خصمه.. بدأت أحاول أن أقوم بعد أن تلقيت الضربة القاضية، محاولات وهمية كي أقف على قدمي، لكني بدأت أدرك أن هناك جمهورًا بخارج الحلبة.. بدأت أدرك أن هناك أصواتًا غير صوت اللكمات الموجهة إلى ظهر يدي الممدودة تحمي وجهي.. بدأت أدرك أن هناك أناسًا يستمتعون بسقوطي، يشاهدونه بمتعة.. يصفقون، ويمرحون، ويضحكون، وأنا إذن الخاسر الوحيد..

بدأت أحاول أن أعرف أين أنا؟! بدأت أحاول أن أدرك كيف كانت الحياة فيما قبل، فلاحظت أني لا أتذكر حتى كيف هي الآن فيما بعد، أحسست أني أقف بالفراغ بحجرة مظلمة مهما أنادي أو أصرخ فلن يسمعني أحد، مهما أجرِ أو أتعب فلن أجد إلا الظلام.. والمزيد منه..

بدأت أحاول أن أعرف لماذا أنا؟! قديمًا كنت أظن أن حياتي كالفيلم السينمائي، كل لحظة هي متعة كبيرة، كل مشهد ينتظره

آخر، يكمله يحبس أنفاسك وأنفاسي معك، لكني الآن أسمع همهمة المشاهد، أرى ملله.. أسمعه من داخلي وأراه بي، لقد توقف الفيلم.. أصبحت ألعب دور الكومبارس وليس البطل.. قديمًا كانت كل لحظة وحتى الخسارة كنت أعرف أن المكسب سيتبعها لأني البطل، والبطل دائمًا يعيش، دائمًا يكسب، دائمًا يحصل على من يحب ويتزوجها ويعيشان سعدين بنهاية الفيلم.. أما الآن لا أعرف إلى أين يؤدي كل هذا، ما أعرفه أني لست ببطل، ودوري مجرد دور هامشي لا يذكر، وما أدركه أنك ستغلق التلفاز الآن من الملل؛ لأن هذا الفيلم لن يؤدي إلى جزء آخر.. توقفت الأحداث، وربما تكون هذه كلمات النهاية!

رن هاتفي النقال فانتفضت، وكنملة تتمنى أن تعيش بمصنع للسكر ظننت أن هذه (جميلة)، تكلمني كي تقول لي إني فاجأتها وأنها تحبني كما أحبها.. سأسمع صوتها الآن المفعَم بالحنان والمغلف بالمحبة عبر الأثير، مددت يدي وشعرت أني أستعيد جزءًا من روحي.. لكني وجدت أنه (حسام)؛ فذهب الجزء الذي أتى من روحي آخذًا معه ما تبقى منها..

ضغطت على الزر الأخضر لأسمع صوت (حسام)

– إيه يا عمور فينك؟

– في البيت.. تعبان بس شوية ونايم.. انت فين؟

– سلامتك.. أنا في البيت برضه.. مش هتعرف تنزل نقعد مع بعض شوية؟

ترددت قبل أن أجيب، فأنا بحالة لا أريد أن أفعل بها أي شيء.. لكن ربما الخروج من المترل والمشي قليلًا بالشارع والجلوس بمكان ما.. ليس هو بفعل شيء..

- نمت تاني ولا إيه؟

- لأ.. بس.. خلاص ماشي هجيلك في الكافية ده اللي تحت بيتك.. اللي قعدنا في قبل كده..

- ماشي.. أول ما توصل رن لي هترل علطول..

نظرت إلى غرفتي بعد أن أغلق (حسام)، فأحسست أني أراها للوهلة الأولى.. أحسست أني أرى كل شيء للوهلة الأولى.. أشعر باكتئاب وإحباط داخلي لا أعرف له حلًا، أشعر كأن أي شيء سأفعله لا يفيد.. لن يفيد.. ليس له من داعٍ.. كل شيء ليس له داعٍ.. حتى لو استلقيت ها هنا على فراشي لا أفعل شيئًا كأجساد الموتى، فليس لهذا داعٍ.. ليس لهذا فائدة.. أشعر بالملل يتخللني، أشعر بالوحدة كسُمٌّ يتغلغل داخل جسدي، ليقتلني ببطء، أشعر بالمرارة تتملكني كما تتملك الروح الجسد..

كان الوقت مبكرًا ويبدو أني قد نمت من البارحة حتى الآن، يومًا كاملًا وبضع ساعات دون أن أشعر، ويبدو أن البيت خالٍ.. لا يوجد أحد..

اتخذت قرارًا سريعًا بداخلي.. سأرتدي ملابسي وأذهب إلى هذا الكافية، وأجلس قليلًا وحدي قبل أن أكلم (حسام) ليأتي لي..

ارتديت ببطء.. وتركت المترل ببطء.. ومشيت بالشارع ببطء، كسلحفاة تتكئ على عكاز.. حتى وصلت إلى تلك الكافيتريا..

دخلت وجلست على أول مقعد وجدته.. كانت طاولة وأمامها مقعدان، ويبدو أنها مجهزة لحبيبين وليس لأصدقاء..

أخذت بعض الوقت حتى أستطيع أن أرى ما تراه عينيّ، وأني لأؤمن حقًا أن من يري ما تراه عيناه لهو أنجح الناس، وإن التائه بأفكاره دائمًا أما عبقري وأما مجنون.. فإن كان عبقريًا فعليه أن يعرف متى يختار الوقت لكي يري ما تراه عيناه.. لكني لم أكن أفكر بشيء، فقط كنت تائهًا، ولا أعرف فيمَ تحديدًا!

كان المكان متسعًا، وكان هناك أكثر من سبع طاولات أستطيع رؤيتها يجلس أمام كل منها حبيب مع حبيبته.. هناك من يضحك ولا يتكلم وهناك من يتكلم بهدوء.. هناك من يتكلم وهو يضحك، وهناك من تخرج الفرحة من عينيه كأنها أشعة الشمس ليدفئ حبيبه.. هناك الصامتان اللذان ينظر كل منهما إلى العينين وتركوها تعبر وتتكلم..

نظرت إلى المقعد الخالي أمامي متخيلًا أن (جميلة) جالسة عليه.. سرت رعشة سريعة بجسدي من رهبة الموقف، ومن ثم وجدتني أمد يدي أمامي، كأني أحتضن يدها.. وجدتني أراها.. هل جننت؟

وجدتها أمامي، وجدتها تجلس مبتسمة تنظر إلى عينيّ بحب.. هل أهذي؟

لا يهم.. ما الفارق؟ إني أراها..

ما الفارق إن كنت أهذي أم جننت؟! إن كانت حقيقة أم خيالًا؟ وجدتني أتكلم:

- عارفة يا جميلة ساعات كنت بحس إن أنتِ معايا مع إنك ماكنتيش.. لكن كنت وانتِ مش معايا أتكلم واحكي لك وأهزر معاكي.. وأضحك.. كإنك سمعاني وبتبتسمي على كلامي، وفي الآخر لما أعرف إن انتِ مش معايا.. كنت بتوجع قوي.. لإني ببقى قولت لك كلام حلو.. كنت أتمنى إنك تكوني سمعتيه.. كلام لو انتِ قدامي فعلًا زى دلوقتي ماكنتش هعرف أقول ربعه..

سكت قليلاً ناظرا إلى عينيها، لم أعد أشعر بأي ممن حولي.. لم أعد أشعر إلاّ أنها أمامي..

- بعدها غالبا كنت ببقى حاسس بالإحباط فبدخل أنام.. لكن ماكنتش بعرف.. كنت بقعد أتقلب يمين وشمال وأتقلب وأتقلب.. لحد ما أحس بالتعب جوه نفسي.. كنت ساعتها بحط مخدتي الصغيرة دي اللي معايا من وأنا صغير على المخدة التانية وأرفع رجلي على الحيطة وأشوف الدنيا بالمقلوب.. ويقعد عقلي يتخيل..

ضغط على يدها أكثر حتى لا تذهب بعيدًا وتتركني أكمل:

- كنت بتخيل أنا وانتِ في أي موقف.. حتى لو مواقف من أفلام.. يعني مثلًا أنا سبايدر مان.. مثلًا يعني.. وإني أنقذتك من الناس الشريرة اللي كانوا عايزين يؤذوكي.. وإني شفت نظرة الحب دي في عينيكِ ليا.. إني سوبر مان وأخدتك ف حضني وطرت بيكِ فوق كل الدنيا.. عشان أوريكِ عاملة إزاي من فوق.. وأوريكِ جمالها اللي مايجيش جنب جمالك حاجة.. كنت بتخيل إننا نقدر نطير في الفضاء.. وأوريكِ جمال الكون.. كنت بتخيل إنك الأميرة وأنا الأمير.. إنك جوليت وأنا روميو.. إنك ليلي وأنا قيس.. لكن كنت بفوق من

خيالي ده بوجع.. وجع إن كل ده خيال بحت.. إنك بعيدة وإنك مش معايا.. إنك مش هينفع تحبيني وإني أنا بس اللي بحبك..

اعتصرت يدها أكثر وأكثر وخرجت من عينيّ نظرة رجاء إلا تذهب:

– كنت برجع ساعتها للواقع أحاول أتخيل بس حاجات واقعية.. كنت أنا وانتِ ماشيين ف شارع وطلع علينا الناس دي اللي عايزين يخدوكي مني.. لقيت نفسي مش سبايدر مان.. بس هموت قبل ما يلمسوكِ.. اتخيلت إن إحنا طلعنا إيفرست مع بعض.. وإننا شوفنا الدنيا من فوق.. مع إني ماجيتش من كريبتون.. إننا اختبرنا كل حاجة خيالية مع بعض وخلناها حقيقة وواقع عشناه.. مع بعض.. بس ده مش هيحصل.. لإنك مش معايا أصلًا.. يمكن وقتها كنت تعرفي أنا قد إيه بحبك.. يمكن كنتِ تعرفيني واطلع عكس ما أنا عارف إنك فكراني.. يمكن لو كنتِ تعرفي إن حب روميو وعشق قيس جنب حبك وعشقك اللي جوا قلبي ليكِ ولا حاجة.. يمكن كنتِ..

– يا أستاذ!

نفضت رأسي ونظرت إلى يساري لأجد أعتى علامات الاستغراب.. ووجدته ينظر لي وليدي الممدودة أمامي تعتصر الهواء وإلى المقعد الخالي ليقول أخيرًا:

– بقالي ساعة واقف جنبك بنده عليك.. هو انت كنت بتتكلم في التليفون؟

كان يعلم من نظرته إلى المقعد التي كانت به (جميلة) منذ ثوانٍ أني لم أكن أتكلم بالهاتف.. ويظن أني مجنون ما ويحظى لنفسه فقط بتفسير لما رآه.. هل كنت أتكلم بصوت عالٍ؟ أين ذهبت جميلة؟

أحسست بالاستغراب عندما لم أشعر بالإحراج.. وجدتني أقوم غير ملقٍ له بالًا أو لما قال، إن كان قد قال شيئًا.. خرجت إلى خارج المكان وظللت أمشي:

– مالك؟!

نظرت إلى جانبي لأجد هذا الظل الذي في نفس حجمي مجسمًا بالهواء؛ لأرد عليه مكملًا طريقي الذي لا أعلم إلى أين:

– حاسس إني مش عارف أحس.

– وأنت عايز تحس إيه؟ الحب؟ الحزن؟ السعادة؟ الألم؟

حولت نظري إلى ما أمامي وتركته يمشي إلى جانبي كظلي ورددت عليه:

– يمكن عايز أحس كل دول في بعض.. بس مش عايز أحس الألم والعذاب.. عشان ده إحساس متعب.. لكن دلوقتي مابقتش بحس.. مابقتش أي حاجة فارقة معايا.. حاسس إني مت.. مع إني لسه عايش..

وحولت نظري إليه لأجده لا يزال بجانبي وأكملت:

– هو أنا عايش؟!

9
هستيريا

" لإنهم مليانين جشع وطمع وحب النفس وعشق الذات.. مليانين كراهية وحقد وحسد.. مع إنهم كان ممكن يكون عندهم الحب.. عندهم الرحمة.. حب الخير للغير.. لكن بقت متعتهم لما يشوفوا العذاب في عينيك.. ويعرفوا إنهم السبب.. إنهم يذلوك ويفتخروا بكده.. مكنتش عايزني إزاي أروح لعالم تاني" .

***

– احتمال كبير إنك مش ميت.. بس احتمال أكبر إنك مش عايش..

قالها ونظر لي وتقدَّمَ أمامي، وسكت قليلًا وكذلك فعلت أنا، ومن ثم وجدت ابتسامة عريضة ترتسم على شفتيّ وقلت له بنبرة بها بعض السخرية:

– هو انت مين؟ الدليل علي إني أتجننت.. ولا حاجة غريبة تاني بتحصل لي..بعد أما تخلص هقول لا ده كان بيتهيأ لي ده ماحصلش..

نظر لي بعينيه اللتين لا مكان لهما، ومن ثم عاد إلى جانبي مرة أخرى وقال:

– تفتكر إن اللي بيبقى أتجن بيبقى عارف إنه أتجن.. وبيبقى عارف إنه مجنون.. تفتكر إن كل الناس اللي قدامك وحواليك دول عاقلين.. ولا اللي بيقولوا عليه مجنون هو اللي مجنون.. في ناس كتير مجانين وعاملين عاقلين وفي العكس..

لم أحاول أن أفكر في كلامه.. لكن وجدتني أرد:

– لما المنطق بيختل وقتها بيبقى الجنون.. وأنا ماشي بكلم ضل ماشي جنبي.. كإنه ضلي.. يبقى ده مش جنان؟

– لا مش جنان.. كل الناس بتعمل اللي انت بتعمله دلوقتي.. في ناس بتكلم نفسها.. في بيكلم البحر.. بيكلم حيطة.. بيكلم أي حاجة مش أي حد.. يمكن عشان الحاجة دي هتسمعه.. هيحس إنها غير البني أدم اللي مابيسمعش غير اللي هو عايز يسمعه..

كان كلامه يبدو منطقيًا إلى حد ما لكن..

– كل اللي انت قولته ده صح.. بس الحيطة ولا البحر لما يكلمهم هيسمعوه.. لكن انت بترد عليا!

– لا ساعات بيردوا عليه.. وساعات بيرد على نفسه ف كلامه معاهم..

سكت قليلًا.. ثم:

- أو يمكن عشان أنا وانت واحد.. أنا انت.. وانت أنا.. انت محتاج تكلمني وأنا محتاج أسمعك وأرد عليك لو سمح الأمر.. عشان كده أنا عايزك تكلمني وتقولي وتجاوبني على سؤالي.. مالك؟!

- حاسس إن أنا اللي محتاج أسمعك مش العكس.. واضح إنك عارف حاجات كتير أنا مش عارفها..

- لا انت عارفها بس إتجاهلتها.. أهملتها.. لإني مستحيل هجاوبك إيه سرعة الضوء مثلًا.. لو انت مش عارف..

سكت قليلًا ومن ثم بدأت أتكلم مرة أخرى:

- أنا كنت بتألم وتعبان ومرة واحدة بقيت حاسس إني مش حاسس حاجة.. والإحساسين أفظع من بعض.. نفسي أرتاح ده اللي نفسي أحسه.. عارف أنا إيه أكتر حاجة نفسي فيها دلوقتي.. إني أشوف جميلة قدامي.. أشوف ملامحها اللي عقلي حافرها جواه ومابيعرفش يخليني أشوفها.. أشوفها مرة واحدة كمان..

- شايف البنت اللي جاية من أول الشارع دي؟

مع كلمته بدأت عيناي تريان الشارع.. كان الشارع الذي بجانب منزلي المؤدي إلى منزل (جميلة).. ذلك الشارع الطويل الذي يفصل منزلي عن منزلها ورؤيتها..

(جميلة) كانت بأول الشارع وكنت بآخره.. نظرت بجانبي فوجدت أن ذلك الظل قد اختفى.. كانت تقترب وكنت أقترب..

لا.. لا أريدها أن تراني الآن.. لكني أريد أن أراها.. أريد أن أرى ملامح وجهها..

أريد أن أراها.. لا أستطيع..

يجب ألا أراها.. لكني أريد هذا..

وجدت كأن أحدهم يتحكم بي، وأني أدخل بأقرب تفريعة بالشارع.. أريد أن أنظر للخلف لأراها، ولكني لا أستطيع.. أريد أن ألتفت.. لا أستطيع.. أحسست روحي كمغناطيس تجذبني إليها، أحسست أني أريد أن أغادرني لأنظر للخلف..

وصلت للمنزل سريعًا، كنت لا أستطيع التفكير في أي شيء.. لا أستطيع الكلام ولا الحركة.. ارتميت على فراشي وظللت فاتحًا عينيّ محدقًا بسقف الغرفة لا أفعل شيئًا.. كقطعة جليد تتعجب كيف لا تذوب؟ ظللت ثابتًا لا أتحرك من مكاني كتمثال من الشمع.. محدقًا في سقف الغرفة حتى أطفأ أخي أنوار الغرفة، وأطفأت أمي ما تبقى من أنوار البيت، حتى حل الليل على منزلنا دون قمر أو نجوم.. نمتُ أخيرًا.. أغلقت عينيّ وذهبت في النوم..

وجدتني أترك جسدي، أطير ببطء مرتفعًا عن جسدي.. وجدتني أشعر بثقل رهيب بداخل الجسد الذي يتركني.. ووجدتني أشعر بما أشعر بالجسد الآخر.. بجسدي الفعلي.. وقفت جانب الفراش أنظر إلى نفسي وأنا نائم، أنظر إلى الغرفة.. كان كل شيء يبدو واضحًا بشكل جليّ.

بدأت أمشي بخطوات ثقيلة.. كنتُ مجرد جسد شفاف متجسد بالهواء..مشيتُ حتى وصلتُ إلى الصالة الخارجية،ليزيد الثقل والضعف..شعرت أني أستطيع اختراق الجدران..اخترقتها لأجد نفسي أصل إلى الباب.. فتحته وبدأت نزول الدرج .. حتى عرفت – في كل من جسدي النائم الذي ما زلت أشعر به و جسدي الآخر – إلي أين أنا ذاهب؟

أنا ذاهب لأراها.. أراها بجسد آخر خرج من جسدي الحقيقي.. أراها وهي غالبًا ستكون نائمة مثل الملائكة الآن.. هنا شعرت بالخوف، وبدأ تفكيري يعود ويميل إلى جسدي الذي على الفراش.. ضاع الإحساس بالجسد الآخر..

ظللت على الفراش عيناي مغمضتان لكني أرى.. أريد أن أفتحهما لكن لا أستطيع.. أريد أن أحرك أي جزء من جسدي لا أستطيع.. لا أستطيع التنفس أيضًا.. أرى الغرفة بوضوح.. هل أنا بميت الآن؟

هل هذا هو الموت؟

هل هذا هو إحساسه؟!

لا أستطيع الاستيقاظ لكني أستطيع الشعور.. مَنْ هذا الشخص الذي بنفس طولي دون ملامح؟

لماذا يحدق لي بعينيه السوداوين تمامًا؟

أين اختفى؟ وما كل هذه الأشباح التي تحوم حولي؟

تحوم بالغرفة حولي وتقترب مني؟

ما زلتُ أستطيع الرؤيا، لكني لا أستطيع الحركة والتنفس.. ما زلت أستطيع الشعور، وكان الخوف هو الشعور الوحيد يتملكني، كما يتملك الماء قطعة من الأسفنج.

10
تحدي الواقع

"مش مهم إنك تخسر..بس المهم إنك تحاول.. لإنك لو ماحاولتش هتخسر.. ولو حاولت هتكسب حتى لو خسرت"

***

كان كل شيء واضحًا تمام الوضوح..

كنتُ تَعِبًا مرهقًا في كل جزء من أجزاء جسمي..

وكان المطر يهطل بشدة..

وأنا أنظر إلى نفسي..

أطير في الهواء لكني أسقط..

أسقط..

أسقط..

قفزت من الفراش، وظللت محدقًا في ظلام الغرفة وبداخلي يتردد هذا السؤال..

مِمَّ أخاف؟

مِن (البغل).. هل أنا أخافه حقًّا؟

لكن لماذا؟!

لا أعرف.. ما من سبب.. ظللت أبحث وأبحث، لكن لا سبب.. لا أعرف لماذا نظرت لنفسي بالمرآة، ربما لإعطاء نفسي الثقة اللازمة..

هأنا قد وصلت إلى المدرسة.. لا يبدو منظرها قبيحًا إلى هذا الحد.. لم أخطط لشيء، لم أحدد ما سوف أفعل، لكن كان بداخلي شيء واحد فقط، لن يكون الأمر مثلما كان.. سأواجهه..

دخلت إلى المدرسة.. كنت متأخرًا قليلًا، فكان الطابور المدرسي قد بدأ.. ويبدو أن (البغل) قد بدأ تقاليده بجعل حياة الآخرين جحيمًا..

فهأنا أراه يفتح حقيبة (حسام) المدرسية ويستخرج منها كتابًا آخر.. إن كان شجاعًا حقًّا ولا يخفي خوفًا بداخله، فلماذا لا يأخذ كل الكتب التي بداخِل الحقيبة؟ لأنه يخاف من ردة فعل.. إذن جزء بسيط بداخله ينتظر ردة فعل..

ابتسمت ابتسامة طفيفة لتمكني من الحصول على تلك المعلومة التي ربما تفيدني في شيء ما في معركتي معه.. لتكون معركة إذن عليه.

ماذا سوف أخسر؟

ظللت أبحث عن شيء، وأنا أقترب من فصلي، لكني لم أجد.. بل لدهشتي وجدت نفسي بحالة حيرة، كيف كنت أخاف منه بالسابق؟ هو مجرد طفل عملاق أحمق..

وقفت بآخر الصف بجانب (حسام) وسلمت عليه بعيني.. كنت أعلم أن (البغل) سيتركه الآن.. ويأتي ليبدأ بمحاولات مضايقتي، أنا أسبقه بخطوة إذن، وجدت أن عقلي يساندني عندما نزعت منه الخوف، وطلبت منه ذلك، ووجدت تلك الخطة البسيطة تتكون داخله، كان يتفاعل معي ويبدو أنه يستمتع بالأمر..

جاء حقًا ووقف خلفي وبدأ يفتح حقيبتي المدرسية..

انتظرت حتى تحين اللحظة المناسبة..

وبدأ هو بمحاولة الاستفزاز المعتادة، لكن بداخلي لم أكن أشعر بالقلق والخوف المعتاد..

– إيه يا قطة.. النهاردة بقى هاخد كراسة..

وبدأ يضحك وهو يستخرج الكشكول من حقيبتي.. لكن.. ها هي اللحظة المناسبة..

كان الآن الهدوء التام يعم بداخل الفناء قبل تحية العلم.. فأصدرت أقوى صوت تستطيع حنجرتي إطلاقه، حتى بدأ الجميع – طلابًا ومدرسين وعاملين داخل المدرسة – يلتفون إلى مكان الصوت، وفي لحظة التفات الجميع لي.. وفي هذه الثانية.. التفت بجسمي إلى

(البغل) وجاءت عيناي بعينيه ولمحت بها لأقل من الثانية التعجب، وبكل ما أملك من قوة وضعت ضعفي السابق وجميع ما فعله بي سابقًا في صفعة على خده كان صوتها موسيقيًا بالنسبة إليّ..

وفي الثانية الأخرى انفجر الضحك.. انفجر من الجميع، واحمر نصف وجهه الأبيض من الصفعة والنصف الآخر من الخجل، وبدأ بالهجوم عليّ لكن تدخَّلَ المُدرس وآخذنا لنعاقَبَ..

أنزلت حقيبتي عن ظهري لأغلقها، ونظرت إليه وأنا أمشي نظرة خالية من الخوف.. مفكرًا بداخلي، حسنًا أيها الضخم.. إن كنت قد أحلت كل يومَ من حياتِ جحيمًا في السابق.. فسأحيل أنا كل يوم من حياتك جحيمًا الآن، فلتكن المعركة إذن، حتى لو دامت كل يوم على مدار السنين الباقية لي في تلك المدرسة، فهذا أفضل من خوفي منك الذي كان دون داعٍ، وسأجعل الجميع يواجهونك وينقلبون ضدك، لن أستسلم.. سأبذل كل ما بوسعي لكي أهزمك.. وسأهزمك أيها الغبي؛ لأني أملك ما لا تملكه.. أملك الذكاء..

ظللت أنظر إليه، وبدأ ينظر لي بدوره، والشرر يتطاير من عينيه.. يريد أن يفترسني ويهجم عليّ.. لكن المُدرس الذي كان يمشي بجانبنا يمنعه من هذا.. أم هو خوفه وضعفه الداخلي؟

أكملت داخل عقلي:

نعم أيها الغبي.. هو خوفك وضعفك الداخلي الذي سأجعله يطفو للسطح.. وسأكون أنا جحيمك وليس العكس.

11

الألم

"مكنتش قادر أفكر.. كنت كل اللي حاسس بيه الألم ف كل جسمي.. كنت عايز أفضل كده ف مكاني.. نايم أو قاعد.. ماكنتش عايز أعمل أي حاجة.. أكل.. أشرب.. أتكلم.. أفكر.. أضحك.. أحلم.. كانت حاجات فقدت معناها".

***

اختفت تلك الأشباح وكأنها لم تكن هنا من الأصل.. لكني ظللت ثابتًا مرة أخرى على فراشي أخذًا أنفاسًا عميقة محدقًا في الهدوء الرهيب بصمت تام.. حركت يدي ببطء، فوجدت أني ما زلتُ على قيد الحياة..

لقد سمعت وقرأت من (Near OF Death (NOD قبل عن تجربة الاقتراب من الموت..

لكن كان ما سمعته وقرأته مختلفًا تمامًا عمَّا حدث لي الآن.. كان المنزل يعمه الهدوء لنوم مَنْ فيه.. كان أول شيء فعلته وأنا خارج من غرفتي هو أن تحسست الحائط بالمكان الذي اخترقه جسمي الشبحي أو جسمي الآخر الشفاف أو أيًّا كان.. لكني وجدته هو نفسه الحائط الذي أعرفه، مادة صلبة بجزيئات متماسكة.. أكملت طريقي إلى الخارج مثلما حدث منذ ثوانٍ إلى الباب، لكني وجدته موصدًا مثلما كان.. هل كان هذا حلمًا؟

مستحيل.. كان كل شيء حقيقيًّا تمامًا.. الصورة شديدة الوضوح.. لقد كنتُ أشعر بملمس الأشياء، كنتُ بجسد آخر أو بدون جسد من الأصل..

أكملت طريقي إلى حيث الشُّرفة، وفتحت أبوابها وجلست على أرضيتها.. أحدق بالقمر المقتسم إلى نصفين..أحدهما ظاهر والآخر مختف.. إلى السماء التي تلمع بها النجوم وتزينها في صمت.. صمت بداخلي وداخل عقلي.. صمت من التفكير، فقط التحديق وسماع صوت الصمت..

ما الذي حدث لي منذ قليل؟

ليس هو بالشيء الطبيعي على الإطلاق!

هل هي إحدى تجارب الاقتراب من الموت.. لكن كل من عاش هذه التجربة قال: إما أنه رأى نفقًا ونورًا أبيض بآخره.. أو أنه رأى جسده من خلال جسد آخر.. وهذا ما حدث.. لقد رأيت جسدي من خلال جسد آخر.. جسد كنت أشعر به، كنت أشعر وأنا على

الفراش إن هناك آخر، أنا آخر.. كأني انقسمت إلى اثنين، وشعرت بهما بنفس الوقت.. شعرت بإرهاق داخل عقلي.. أصعب الأشياء تفسيرًا هي الأشياء الخارقة للعادة، أو التي لا تتماشى مع المنطق أو غير مألوفة.. شعرت أني أحاول أن أحلل هذا لنفسي، كما لو أن أحد سكان القرن الحادي والعشرين يحاول أن يفسر لأحد سكان العصر الحجري أن هذا الرجل الذي يراه بالتلفاز ليس قزمًا يقف خلف الشاشة، وأنه لا يعيش داخل هذا الصندوق..

لن أستطيع النوم مرة أخرى الآن.. هل ما حدث حقيقة؟

هل حدث هذا بسبب أني أريد رؤيتها بهذه الشدة؟ لأني أدركت قبل أن أستيقظ أني ذاهبًا إليها وهذا يعني إن هذا حدث بسبب رغبتي برؤيتها..

ولكن كيف انقسمت؟ هل هذا الموت؟ أم أنه مجرد شيء غريب؟ ربما تحولت إلى هذا الظل الذي كلمته البارحة وظننت أني جننت أو ربما أني جننت حقًا.. لكن..

ماذا لو ما حدث حقيقة؟ ماذا لو أني حقًا ذهبت لرؤيتها.. رؤيتها وهي نائمة.. ماذا لو تكلمت معها أكثر.. وحكيت لها ما حدث.. ربما تحبني إن عرفت ما حدث لي.. ربما تعرف كم أحبها.. لكن ماذا لو لم تكن حقيقة وكان مجرد خيال أبله آخر.. ماذا لو كانت فقط تلك المرة ولن تتكرر مرة أخرى..

هل هذا أنا بالأساس؟ لم أكن أتحكم بنفسي التحكم التام، ولم أكن أعرف إلى أين أتجه..

عقلي سينفجر من كثرة الأسئلة، من الحيرة.. حاولت أن آخذ شهيقًا عميقًا؛ كي أهدأ.. لكني لم أستطع.. كانت دقات قلبي تزيد وحيرتي تزداد أكثر معها.

***

لم أنم منذ البارحة.. مرّ الصباح دون شيء يذكر، فقط المزيد من الأسئلة يوُجدها عقلي لي؛ ليزيد من حيرتي.. العديد منها للدرجة التي تجعلك عندما تحاول إيجاد أحدها تجد أنك نسيتها جميعًا.. بدأت أشعر بالإرهاق، فدلفت إلى غرفتي بعد أن تناولت طعام الغداء مع أمي وأخي، نظرت إلى الفراش فشعرت أني أشمُّ شيئًا ما بالهواء لا أدري ما كُنهه.. حسنًا، ربما إن نمتُ هذه المرة لن يكون هناك استيقاظ.. ربما سينتهي كل شيء وأذهب إلى حيث لا أعلم.. ربما لن يحدث أي شيء ويكون نومًا طبيعيًا..

قررت أخيرًا أن أنام، أغمضت عينيّ، وذهبت سريعًا إليه من الإرهاق..

فتحت عينيّ وأنا لا أتذكر أي شيء مما حدث الآن بالنوم.. لكن ما أعرفه أن هذا الشيء لم يحدث لي مرة أخرى، ضغطتُ على زر فتح القفل بهاتفي المحمول لأجد نفسي قد نمتّ لأكثر من ثلاث ساعات، وضعته حيث كان بجانبي.. وتقلبت على الجانب الآخر لأذهب للنوم.

لأجد أنني أغادر مرة أخرى.. إحساس بثقل رهيب فوق ظهري، وأنا أغادر نفسي، حتى أحسست ببعض الخفة والسرعة بعد أن تركتني، وجدتني تلك المرة أطير بالهواء.. كان إحساسًا جيدًا مألوفًا

نوعًا ما.. أنا أستطيع الطيران.. شعرت بالسعادة داخل جسدي الشبحي.. وبأني أريد أن أفتح عينيّ داخل جسدي الذي على الفراش.. وجدت جسدي الذي بالفراش يفكر بأن أوقع المقعد الذي بجانب الفراش حتى أتأكد من إن كان هذا حقيقة أم لا، وحقًّا فعلت، وأنا ما زلت أحوم بهواء الغرفة..

وجدت جسدي الشبحي يريد الانطلاق.. اخترقت الجدار وخرجت إلى الشارع، أحلق ناحية بيتها.. حتى قبل أن أصل وجدت نفسي لا أستطيع التحكم في شيء.. وجدت نفسي أذهب إلى الأعلى، الأعلى..

دون أن أستطيع أن أتوقف أو أن أجعل هذا الإحساس يتوقف.. إحساس أني أموت.. أنا متُّ إذن.. هذه هي نهاية كل شيء.. لكني أشعر بالحزن الشديد على الفراش.. أذهب إلى الأعلى بسرعة أكبر.. لكن على الفراش أريد الاستيقاظ ولا أستطيع.. اختفى المشهد لتظهر غرفتي.. غرفتي وأشباح تظهر من كل جانب أراها وعيني مغلقة.. أشعر بنفسي ولا أستطيع التحرك.. الخوف يتزايد.. يقتلني.. لا أستطيع التنفس.. أختنق.. ومن ثم وجدت أني أخرج من جسدي.. إحساس بثقل رهيب فوق ظهري، وأنا أغادر نفسي، حتى أحسست ببعض الخفة والسرعة بعد أن تركتني، وجدت أني بتلك المرة أحلق بالهواء إلى حيث بيتها، إلى حيث ترقد نائمة؛ كي أراها.. لكم أتمنى أن أراها! ربما آخذها تطير معي، ولكن قبل أن أصل إلى بيتها بمسافة صغيرة.. وجدت أني أرتفع بالهواء، أرتفع لأعلى، إحساس بالموت..

لأعود مرة أخرى ويتغير المشهد.. الشلل التام.. الأشباح.. الخروج من الجسد.. الاقتراب.. الموت.. العودة.. الأشباح.. الشلل التام بين النوم والاستيقاظ.. الخوف المُصفَّى من الشوائب.. الخوف خالص النقاء.

***

عيناي حمراوان مرة أخرى كمشهد ممل تكرر للمرة الألف بنفس الفيلم.. أجلس واضعًا رأسي بين يدي لا أنتظر شيئًا.. ولكن غدًا ستكون عودة الدراسة، وعودة رؤيتي لجميلة، لقد مرّ هذا الشهر كالجحيم.. لم أنم إلا مرات معدودة، ولكنها كانت كسنوات عجاف..

شعرتُ بالألم وتعذبت كما لم أعذب بحياتي؟! لقد كانت حياتي بهذا الشهر كالأتي: الألم ولا شيء غيره.. لكني لن أحكي عن الألم.. لن أحكي عن الخوف والقلق، لن أحكي عن الهلاوس والعقل المشوش والشعور بالجنون بعد الاستيقاظ من النوم.. عن الأرق وعدم الرغبة في النوم، عن التقلب والشعور بأني مستيقظ وأنا نائم، عن الأشباح والموت، لا أريد أن أحكي عن كل هذا..

عندما كنت أنام كان يبدأ السيناريو بتكرار نفسه في كل نومة أكثر من أربع أو خمس مرات، وأحيانًا أكثر بكثير.. أحبس بداخل المشهد ولا أستطيع الاستيقاظ من النوم..ليتكرر..لا أستطيع رؤيتها.. أشعر بالموت بكل مرة.. أشعر أني قد حبست بهذا للأبد بكل مرة.. مرة واحدة فقط تمكنت من الاقتراب حتى رأيت بيتها وقد كنتُ على

وشك أن أدلف إليه.. لكني سحبت بقوة لا أعرف مصدرها لأعود إلى جسدي النائم؛ لأخرج منه مرة أخرى..

لقد حطمتُ.. لقد أصبحت أشلاء ستراها متماسكة في صورة شخص.. إنسان.. ولكن هي ليست كذلك..

تمنيتُ الموت أحيانًا.. الموت الحقيقي.. فقط لو أستطيع أن أكمل تلك الرحلة.. رحلة العذاب التي يقوم بها جسدي الشفاف هذا كلما أغمضت عينيّ، ولا يستطيع الاقتراب منها.. وكلما أقترب أبتعد، ويحاول مرة أخرى وأخرى ولا يصل..

بآخر مرة وعند حدوث الشلل بجسدي وقبل أن أستيقظ رأيت شخصًا، لم أستطع أن أحدد ملامحه، لكني لا أستطيع أن أنسى عينيه السوداوين، وكان ضعف الخوف بتلك الليلة..

لا تسألني لماذا أخاف بتلك اللحظة، فأنا لا أعرف!

أنا لا أستطيع التفكير، ولا أستطيع فعل أي شيء.. أكون كمن تلقى صدمة كهربية جعلته يقع على الأرض ولا يستطيع الحراك..

أتألم حقًا وكان الحل الوحيد الذي وجدته هو تقليل عدد ساعات النوم على قدر المستطاع، حتى يقل الألم لا أكثر..

لا أعرف ما يحدث لي؟

لا أستطيع التفسير ولا التفكير السليم المنطقي.. لا أستطيع الحياة ولا الموت..

لماذا أفعل كل هذا لأجلها؟

أموت لكي أراها، أُعذب بعذاب لم يعذب به أحد كي أقترب منها وألقي نظرة عليها.. لقد فكرت سابقًا أني ربما بمرة من تلك المرات أستطيع الوصول إليها.. ربما أراها وهي نائمة.. ربما أوقظها وأكلمها .. ربما آخذها لنحلق.. ربما ستستشعر حبي وتعرف قيمتها عندي، وهذا كل ما أريده.. حتى وإن كان المقعد الذي بجانب الفراش لم يغادر مكانه بعد أن أوقعته بأول تجربة حلقت بها.. حتى وإن كان هذا يدل على أن هذه أحلام من نوع آخر، حتى لو سأكون معها داخل الحلم فقط، أريد هذا الإحساس..

حلم من نوع آخر.. ترددت الكلمة التي قالها عقلي داخله..

حلم من نوع آخر..

ماذا إذا كان ما أمرُّ به هو حقًا أحلامًا من نوع مختلف.. كيف لم أفكر بهذا من قبل.. لكني أدركت أني فيما قبل لم أفكر بالأصل.. ما حدث، حدث سريعًا، وكان كل تفكيري منحصرًا في الألم والهروب منه، ولكن هذا التفكير **Google** أعطاني بابًا من الأمل.. فتحت جهاز الحاسب الخاص بي شاعرًا ببعض الإثارة وأسرعت إلى صفحة

وبدأت أفكر ماذا أكتب؟ فكتبت:

Kind of Dreams

العديد من الصفحات ظهرت.. فتحت بعضها، لكن لم يكن هذا ما أبتغيه.. عدت إلى محرك البحث وفكرت قليلًا وكتبت:

Dream with awareness

خرج لي العديد من الصفحات ضغط على أولها بعنوان:

Lucid Dreams

وكان ما وجدته غريبًا

Lucid Dreams

أو الحلم الجلي هو الحلم شديد النقاء.. يشابه الحقيقة بصورة غاية في الوضوح.. الكثير والكثير من الكلام، ومن ثم.. يعرف الإنسان بداخله أنه يحلم .. المزيد من المعلومات ومن ثم .. بمرحلة من المراحل يستطيع الإنسان التحكم بالحلم

Control Dreams

وعند الوصول لمرحلة التحكم التام بالحلم يستطيع الحالم الذهاب إلى أي مكان.. يستطيع أن يكون أي شخص أراد.. أن يفعل أي شيء وكل شيء ما دام يستطيع تخيل هذا..

المزيد من الكلام .. العديد من الأشياء .. وأنا مسحوب داخل كل هذا..أقرأ كالملهوف.. كمن وجد تشخيصًا لحالته.. أقفز من سطر إلى آخر..ظللت أقرأ كثير جدًّا.. تساعدني لغتي الإنجليزية.. قرأتُ كل شيء بتلك الصفحة وغيرها..تعمقت في البحث والقراءة.. كان هناك المزيد من التجارب التي شعرت بها وخضتها ومررت بها حقًّا.. وكان هناك من يحاول جذب القارئ بأشياء خيالية.. وآخرون يشعلون الموضوع بالإعلانات والحبوب التي تجعلك تحصل على تجربة الأحلام الجلية..

و لكن ما أوقفني حقًا

OBE (Out OF Body Exp.)

وهي التجربة التي تحدث لي كلما ذهبت للنوم، يشعر الإنسان بخروج جسد آخر من جسده، وكأن روحه تغادر.. وهي تختلف عن الأحلام الجلية نوعًا ما..

Astral body

Astral projection

العديد من المسميات، المزيد من المعلومات عن أشياء أعرفها وأشياء لا أعرفها، من أشياء لا أعرف إن كانت حقيقية أم لا فمعظمها اجتهادات لأشخاص وتجارب آخرين..

استرحت قليلًا ناظرًا إلى شاشة الحاسب بعد كمية المعلومات التي دخلت عقلي.. كيف لا يعرف الناس كل هذه الأشياء؟! هذا خيال أو فوق الخيال.. إن لم يحدث لي ما حدث.. لم أكن لأصدق حرفًا واحدًا.. لكن معظمه حقيقة حقًا.. أكون بوعي داخل الحلم.. أشعر أني أحيانًا أتحكم بالجسم الأثيري وأحيانًا أخرى يتحكم بي، وأحيانًا أفقد السيطرة تمامًا وينهار الحلم ويبدأ تحقيق أكبر مخاوف الإنسان، وهو الموت، فأبدأ الشعور أني أذهب للأعلى لأن هذه فكرة عقلي عن الموت.. يظل العقل مستيقظًا ولكن الجسد مشلول!

كان عقلي يحلل ما قرأه.. يربطه بما حدث ويرسم خطة.. الآن أستطيع أن أكون معها، أستطيع أن أفعل أي شيء.. أذهب إلى أي مكان.. أكون مع من أريد..

أستطيع فعل كل ما استطعت تخيله..

شعرت بالبريق يمر بعيني وأنا أطفئ الجهاز شاكرًا إيّاه بعد أن علمت ما تمنيت أن أعلمه..

نظرت إلى الفراش لكن نظرة مختلفة.. نمتُ ناظرًا إلى السقف، وبدأت أغلق عينيّ لأذهب لها لأراها..

بدأت الخروج عن جسدي بثقل رهيب، أحسست كأني أزن مئات الأطنان – ألم يقل أينشتاين شيئًا عن كتلة الجسم عند الاقتراب من الوصول لسرعة الضوء – لا يهم هذا الآن .. لا يهم أي شيء الآن..

لم أستطع التحليق.. لم أستطع المشي.. وجدت جسمي الأثيري على الأرض، كأني قطعة حديد صغيرة التصقت بمغناطيس عملاق وتحاول الهرب.. ظللت أزحف وأزحف..حتى اخترقت الحائط بصعوبة.. بدأ كل شيء يتموج.. عدت إلى جسدي لأرى الظلام، لا ليس الآن.. سأراها.. سأكمل.. كل هذا أنا المتحكم به.. اليوم.. سأراها اليوم.. سأكمل رحلة العذاب هذه اليوم..

عدت إلى الشارع شديد النقاء والوضوح، بدأت أقع على الأرض بعد اختراقي للحائط، ومن ثم بدأت التحليق وزادت سرعتي شيئًا فشيئًا.. حلقت بأقصى سرعة.. شاعرًا بالحرية والطاقة، حتى وصلت إلى بيتها.. حاولت أن أحافظ على هدوئي، ظللت أعد الطوابق حتى دخلت إلى الطابق الذي تقطن به.. كان البيت هادئًا.. أنا داخل بيتها أخيرًا..

ذهبت إلى غرفتها – سريعًا – التي كأني أعلم مسبقًا أين تقع، عندما وصلت إلى باب غرفتها.. شعرت أن هذا الباب يفصلني عنها.. بدأ كل شيء يتموج.. بدأت أشعر أني سأستيقظ الآن.. لكن لا.. لن أسمح بهذا.. ليس بعد أن وصلت إلى هنا.. إنها هي داخل تلك الغرفة نائمة حالمة وسأراها.. يجب عليّ ألا أستيقظ الآن.. يجب عليّ ألا أذهب.. شعرت بشلل النوم

Sleep Paralysis

الذي يحدث لي بكل مرة، ولم أكن أعلم عنه أي شيء والذي قرأت عنه أنه شلل الجسم والاستيقاظ وأنت لا تزال نائمًا.. استيقاظ العقل فقط بسبب الاستيقاظ بطريقة خاطئة.. وأن بهذه اللحظات التي يعاود العقل سيطرته على الجسم يرى أشد مخاوفه.. وإن هذه التجربة.. التي كانت تحدث لي أكثر من مرة بالنومة الواحدة.. هي أكثر التجارب ألمًا التي قد يمر بها أي إنسان حي.

12

اللامبالاة

"قلقك هيوديك لخوفك.. هيوديك لإنك ماتستخدمش العقل".

***

كانت نائمة تحضن وسادة صغيرة، وكنتُ أشعر بنفسي أتموج بشدة.. أحسست أني أريد أن أفرح وأبكي في ذات الوقت، لكني لم أستطع فعل أي من الشيئين.. لأني ماذا الآن؟

ظللت ثابتًا بمكاني لا أستطيع التحرك بجسدي، فعلى فراشي أحسست لحظة بلحظة أنها النهاية وأنه الموت.. بينما في جسدي الأثيري ظللت ثابتًا لا أريد للمشهد أن ينتهي الآن أبدًا، أريد أن أراها أكثر، لا أريد الاستيقاظ الآن، بعد كل هذه الليالي قد جاءت اللحظة، وربما إن اقتربت منها تشعر بي.. عندها تستيقظ وتراني ويكون كل هذا حقيقة مطلقة.. كيف لكل هذا أن يكون خيالًا؟!

اقتربت منها أكثر.. وأنا أتموج بشدة.. ويتموج ما حولي – عداها – أكثر، كل شيء يحاول الانهيار لكني لن أسمح بهذا.. ليس الآن.. ليس لهذا الألم على فراشي معنى وأنا أرى وجهها الملائكي، هل اختلاط الماء بالنار يجعل النار تطفئ الماء؟ ليس لهذا معنى أيضًا!

لا أعرف حقًّا في هذه اللحظة.. هل وجهها مجرد صورة فقط استعادها عقلي من ذاكرته وصنعها أم كما تبدو حقيقية؟ كان الألم يزداد كل لحظة على الفراش كطرقات شخص ملّ الوقوف أمام باب لا توجد خلفه حياة.. ليفتح له أحد.. بدأت أشعر أني لا أستطيع التنفس، وأن رئتيّ ستنفجران من الألم كقنبلة يدوية نُزِعَ فتيلُها..

بدأت أشعر أني أرى غرفتي، وأرى العالم الخارجي، وأرى (جميلة) بنفس الوقت، ويزداد التموج بشدة أكثر..

لمست يدها بيد جسمي الأثيري، واختفى كل شيء وعدتُ إلى جسدي الفعلي.. فتحت عيني بعد أن ظننت حقًّا أنها النهاية.. بدأت آخذ الكثير من الأنفاس، نفضت الغطاء عني وخرجت من غرفتي؛ لأني حقًّا لن أستطيع النوم مرة أخرى.. أحسست للوهلة الأولى براحة غريبة، وعدم الشعور بشيء.. أنا لست فرحًا بما حدث، لكني لست حزينًا، لست متألمًا، لكني لست خاليًا من الألم، ذلك الإحساس الذي كدتُ أن أنساه، والذي أصابني عندما كنت صغيرًا، إحساس اللاإحساس واللامبالاة..

كانت الأنوار نائمة وأحسست أن تلك التجربة لم تأخذ الكثير من الوقت.. إنه ظلّ مجسم.. أنا متأكد أني رأيت هذا للتو.. هرولت

بخطوات مسرعة إلى حيث انعكاس الضوء القادم من الغرفة الخارجية، وتحسست الحائط الذي اخترقها ذلك الظل منذ قليل، لأجد أنه لا يوجد شيء، فقط الحائط بذراته الصلبة المتماسكة.. لكن حيرتي – التي لم أشعر بها – لم أهتم بهذا، رغم أني شبه متأكد أني رأيته..

تبًّا!

هذا الإحساس مرة أخرى.. لقد فقدت الشعور.. فقط اللامبالاة اللعينة!

وجدت نفسي أخرج إلى الغرفة الخارجية وأجلس لا أفعل شيئًا غير مفكر في شيء.. حتى لم أحاول أن أستعيد صورتها وهي نائمة و.. لمحته مرة أخرى بطرف عيني مجسمًا في الهواء مقتربًا من مكان جلوسي.. أدرت رأسي بكل برود لأجد أنه لا يوجد أي شيء.. لم أتحرك من مكاني، فقط ظللت ناظرًا إلى الفراغ، ناظرًا إلى اللاشيء.. حتى لاحظتُ هذا بطرف عيني الأخرى.. انعكاس صورتي بالمرآة..

قمت لأقف أمامها ولأجد أنها الحقيقة وأني لم أكن أتخيل.. أنا أتموج ولا أستطيع رؤية انعكاس صورتي، كأن المرآة تحولت إلى تلفاز لا يستطيع التقاط الإشارة جيدًا فتتموج الصورة.. هل هما عيناي؟

دعكتهما وأغلقتهما وفتحتهما.. لكن لم يتغير شيء.. فقط صورة متموجة بحيث أني لا أستطيع تحديد ملامحي ولا تمييز أي شيء حولي..

هل العيب بالمرآة؟ لكني نظرت بالمرآة الأخرى لأجد أنه لم يتغير شيء.. فقط تلك التموجات العجيبة.. لحظة!

كيف ومتى انتقلت من مكان المرآة الأولى إلى هنا؟ هل مشيت دون أن أشعر؟ هل ذلك الإحساس باللامبالاة يزداد للدرجة التي جعلتني غير مدرك لما أفعل؟ لماذا لا أستطيع التذكر؟

ذلك الظل الغبي مرة أخرى ظهر من الفراغ.. كذقنك الذي حلقته بالأمس.. ومن ثم اختفى عندما نظرت إليه كأنه لم يكن هنا.. كأنه يريد خداعي!

يبدو أني مُتعب للغاية.. أو يبدو أن شيئًا ما غريبًا فوق مستوى استيعابي يجري ها هنا.. لا أدرك ما هو؟ لكني لا أهتم.. فقط سأذهب إلى النوم وعندما أستيقظ سيكون كل شيء على خير ما يُرام..

سيختفي هذا الإحساس باللامبالاة، وسيختفي هذا الإرهاق.. وستختفي الآلام التي لا تتركني كل ليلة.. سأكون مع (جميلة) ونعيش حياة سعيدة..

سأكون حين إذن أسعد إنسان بهذا العالم وسنكون معًا للأبد عندما تعلم كم أحبها، وتعلم ما يحدث لي لأجلها.. سيكون كل شيء جيدًا، فقط يجب أن أرتاح قليلًا..

ألا يقولون إن الحب هو التضحية والشعور بمن تحب والإحساس وكل هذا الكلام الذي يرددونه.. لماذا لا يفعلونه إذن؟ لماذا انصهر مفهوم الحب داخل مفهوم الشهوة مع أن الفارق بينهم كبير.. فالجنس هو جزء من الحب وإحساس جميل يجمع بينك وبينها، وليست هذه الشهوانية الحيوانية البحتة.. الحب.. لماذا لا يعرفون معنى هذه الكلمة ويظلون يرددونها حتى فقدت معناها؟

كنت مستلقيًا على فراشي ناظرًا إلى سقف غرفتي؛ وهذا الكلام يتردد بداخلي.. كلام لن يسمعه أحد وسيضيع وسط خلايا مخي، ولن أكون قادرًا على استعادته غدًا.. لكني حقًّا لا أبالي.. ولا أشعر بشيء، ولا أفكر بشيء.. حتى ذلك الكلام الذي كان يتردد داخلي لم أحاول حتى الاستماع إليه..

لا أعرف لماذا يبدو كل شيء كماضٍ سحيق الآن..

وضعت وسادتي التي لا تفارقني على رأسي، ولأبدأ الذهاب في النوم.. لكني لم أحصل على ذلك النوم الطبيعي كما كنت أتمنى، وجدت أن طيفي يخرج مني مرة أخرى، لكنه خرج في هدوء تام.. أحسست أن هذه المرة مختلفة عن سابقتها، وحقًّا كانت!

كنت أشعر بجسدي الفعلي على الفراش وبجسدي الأثيري كما هي العادة، وغريب حقًّا كيف يعتاد الإنسان أي شيء غريب ويصبح بعد فترة من الوقت والاعتياد هو الشيء الطبيعي!

أحسست ببعض القوة والطاقة بجسدي الأثيري، وأحسست أني أستطيع التحكم التام به.. ظللتُ واقفًا ناظرًا إلى جسدي النائم، ومن ثم نظرت إلى ذلك المقعد مرة أخرى ذهبت إليه ولا أعلم لماذا كررت التجربة وأوقعته أرضًا..

حلقتُ مخترقًا الحائط إلى الخارج، فكرت بما أني أستطيع التحكم التام، وبما أن كل ما أراه الآن هو خيالي البحت، وبما أني أيا كان ما سأتخيله سيحدث.. بتغيير المشهد إلى بحر كبير لأسبح به وأنا محلق..

لكن لدهشتي لم يتغير أي شيء، ظل الشارع الذي أقطن به كما هو ظاهر لي بوضوح كبير.. أكبر من كل المرات السابقة.. ظلت المباني شامخة ثابتة.. ظللت أحلق بالهواء، ولكن ليس بسرعة عالية، وليس بناحية (جميلة) على عكس العادة.. حاولت تغيير وجهتي لأشعر أن هناك شيئًا ما يقودني إلى حيث أذهب، وأني لست الذي أتحكم التحكم المطلق كما ظننت سابقًا.. زادت سرعتي وشعرت أن ذلك الشيء يقودني إلى سطح هذا المبنى، وعندما ذهبت وهبطت على السطح، وجدت هذا الشخص المتجسد أمامي معطيًا إياي ظهره.. لم أقابل أشخاصًا بأحلامي الجلية عدا (جميلة) وجسدي النائم.. التفتَ لي عندما شعرتُ بوجوده قائلًا بصوت هادئ مريب:

– أخيرًا جيت للعالم بتاعك..

ثم اختفى، وكأنه لم يكن هنا، كنسمة صيف لا تعلم أين ذهبت؟ عندها قررتُ الاستيقاظ.. وهو شيء تستطيع فعله عندما تستطيع التحكم بأحلامك.. استيقظتُ ليعود لي الإحساس باللامبالاة.. انثنيت على فراشي لأنظر بحركة تلقائية إلى يميني.. لأجد المقعد على الأرض كما تركتُه.. داخل حلمي.

13

بلا ملامح

"ماتوقعتش إني هحبها كده وإن جوايا كمية الحب دي".

***

لم أحدق بالمقعد كثيرًا.. كأن حالة اللامبالاة تزداد.. لكني لا أبالي بها.. قررت النوم مرة أخرى.. كنت أشعر أن بهذه المرة سيحدث شيء.. شيء ما لا أعرف ما هو.. ولا أبالي به،لكن أريده أن يحدث..

ذهبت في النوم، وكالبرق يلحق بالرعد خرجت عن جسدي في هدوء وثقة.. عدلت من وضع المقعد وأنا أبتسم كظل بهلوان..

ومن ثم حلّقت خارجًا وأنا أشعر بتلك الطاقة حول جسدي قوية، كانت تقودني إلى الشيء الذي لا أدرك ما كنهه، لكني فقط تبعتها وتركت نفسي إليها.. أحسست بعد أن حلقت بعكس اتجاه منزل

(جميلة) كأني أنجذب إليها، لكن كأن تلك الطاقة التي تجذبني إلى الناحية الأخرى أقوى مني!

كنت لا أزال أشعر بنفسي وأنا على الفراش، فشعرت أني أنقسم إلى ثلاثة أشخاص، لكن هذا لم يحدث.. وجدتني أذهب إلى حيث المرة السابقة حيث رأيت هذا الشخص ذا العينين السوداوين.. كنت أعرف أني سأجده، لكني لم أكن أعلم ما الذي سيحدث!

***

وجدته واقفًا فوق سطح هذا المبنى، فوقفت أمامه كالمرة السابقة بعد أن هبطت على السطح كطيار ماهر..

– بلايس

قالها قبل أن أسأله عن اسمه

– نعم مثل اسم صديقكْ القديم.. أو العكس..

قالها عندما تذكرت (بلايس)

– أنا مالك هذا العالم..

وأجاب قبل أن أسأله، من أنت؟

– تقدر تعمل اللي انت عايزه.. تقدر تسرق.. تقدر تقتل.. تدخل لأي بيت من البيوت دي وتمارس الجنس مع أي بنت انت عايزها مهما كان جمالها مهما كانت مين.. تقدر تعمل أقوى أحلامك

خيال ف عالم الواقع.. ولما تقوم من نومك هيبقى ليها تأثير زي الكرسي اللي انت بتوقعه دايما..

قالها قبل أن أسأل، أين أنا؟

– أنا بقرا أفكارك..

قالها قبل أن أسأل، كيف تجيبني؟

– هنا كل شيء ممكن.. أي شيء ممكن.. هنا.. هتعمل الخيال وتلاقيه واقع.. تقدر تشوف المستقبل.. تقدر تروح للماضي..

قالها قبل أن أسأله، كيف هذا؟

– أنا عايز ابقى مع جميلة..

قلتها قبل أن يقرأها بعقلي، لأني قلتها دون تفكير أو قلبي هو من نطقها، وهو ليس بقارئ للقلوب..

وجدته يبتسم – بوجهه الخالي من الملامح – كطفل يعلم أن بالغد لا يوجد يوم دراسي، ثم اختفى وكأنه لم يكن هنا.. ظللت في مكاني قليلًا.. لم أفكر.. فالتفكير يحدث عندما يكون هناك شيء منطقي أو شبه منطقي.. له أبعاد.. أظن إن كان نيوتن مكاني ها هنا لجُنَّ.. لكن وجدت أني أعلم إلى أين أنا ذاهب.. عندما اختفت الطاقة التي كانت تجذبني إلى هذا المكان..أستطيع الاستيقاظ وقتما أردت..وقتما شئت.. كضغطة زر بجهاز تحكم بطارياته ممتلئة.. لكن كنت أريد أن أرى (جميلة)

وجدت نفسي أحلق ناحية منزلها كتائه بالصحراء رأى سرابًا، حتى وصلت إلى الشارع المؤدي إلى بيتها الذي كنت أحلق به كل ليلة محاولًا الوصول إليها ومن ثم الاستيقاظ بآخر لحظة..

من هذا الشخص الذي بلا ملامح ويطلق على نفسه اسم (بلايس)؟ اسم غريب كحامله.. لماذا هذا الاسم بالذات؟

حسنًا أستطيع فعل أي شيء حقًا.. أستطيع أن أحكم هذا العالم بتلك القدرة التي لدي الآن.. لكن كل ما أريده هو شيء واحد تمنيته قديمًا..سأذهب لأمسك بيد (جميلة)، وأحلق معها، أطير بها عاليًا مُحلّقًا بالسماء دون كلام، لأريها روعة هذا المشهد وجمال هذا الكون وروعة شعور التحليق ذاته.. سأجعلها تعيش إحساس الحرية، لن أحكي لها عن عذابي بتلك الليالي.. ليس اليوم على الأقل.. فقط لنحلق.. لكن هل ستتذكر هذا عندما تستيقظ، وبالمقام الأول هل سأستطيع أن أخرج جسدها الأثيري من جسدها الفعلي ليحلق معي.. تركت التفكير جانبًا لأني كنت قد وصلت لمنزلها، دخلت من الشرفة مخترقًا إياها كما فعلت بآخر مرة جئت هنا..

شعرت بتلك الرهبة داخل جسمي الأثيري والفعلي بنفس الوقت.. كل مرة حاولت رؤيتها.. كل مرة أشعر بالرهبة.. شعرت بلحظة من المرارة، لأنها لا تعلم هذا.. لا تعلم كم أحبها!

لكن ظهروا من العدم أمامي، عشرات من الظلال حولي ينظرون لي بعيون ليس لها مكان، لا أعلم كيف يبدو شكلي الآن ربما أشبههم.. لكن – بعيني اللتين كانتا لها مكان أم لا – أستطيع رؤيتهم يتزايدون..

لم أبالِ بهم وتقدمت ناحية غرفة (جميلة) وتفكيري الوحيد أني سأراها.. هل هي نائمة الآن أم مستيقظة؟

لم أشعر بكهرباء ألف فولت تمر بجسدي من قبل.. لكن قوة كهرباء ألف فولت كقرصة أخيك الصغير بالنسبة لهذا.. انتفض جسدي الأثيري لأقع أرضًا متألمًا.. بالإضافة إلى الألم مضروب باثنين بجسدي الفعلي دون القدرة على الحراك والصراخ.. لم أستطع تحديد مكان الألم وبأي جسد.. وقفت على قدميّ التي لا أعلم إن كان لهما وجود وأنا بهذا الجسد، غير محاول أن أعلم من أين أتتني تلك الصعقة.. مفكرًا بأنه يجب عليّ أن أرى (جميلة) الآن.. لكن الظلال عددها يزيد، إنها تحجب الرؤيا حتى عن باب غرفة (جميلة) المغلق.. حاولت أن أخترقه مرة أخرى وأخترقهم.. ليحدث مثلما حدث المرة السابقة لكن الألم مضاعف..قمت مرة أخرى، واخترقتهم مرة أخرى، وألم مضاعف، وبالمرة الرابعة ظللت على الأرض قليلًا شاعرًا بألم ووهن رجل تخطى التسعين من العمر ينتظر الموت.. صارخًا بلا صوت بجسدي الأثيري ليسمعه جسدي الفعلي فقط، ويرد عليه بلا صوت مفكرًا بشيء واحد (جميلة)، لكن عندما قمت هذه المرة وجدت الظلال كلها تتجمع متخذة شكلًا ما، لشخص بنفس حجمي وجهه بلا ملامح..وعيناه سوداوان..ليقول بفمه الذي ليس له وجود:

– مش بتحبك.. وبتعمل كل ده عشانها.. ليه؟

ومن ثم ابتسم ابتسامة لم ترتسم على زجهه، لكني شعرت بها..
وفي لحظة اِختفى الألم، واختفى المنظر، واختفى كل شيء، ووجدت أني أستيقظ على رنين هاتفي النقال شاعرًا بنشاط غير معتاد، ومن ثم قفزت من الفراش لألتقط الهاتف..ولأنظر إلى شاشته لأرى اسم المتصل (جميلة).

***

14

الخط الأحمر

"هسميه الخط الأحمر.. الخط اللي انت بتفضل تحارب طول القصة عشان تعرف تعديه.. عشان تعيش حياتك ف الدنيا اللي بعد الخط الأحمر".

***

غير مستوعب كرحلة تمنيت وظللت تتمنى أن تذهب بها وعندما ذهبت لم تصدق ما تراه عيناك، وأنك تقف حقًا أمام الأشياء التي رأيتها بالصور وبشاشة التلفاز وخيالك..

أمسكت هاتفي المحمول، وظللت محدقًا بالشاشة كمراهق وقعت يداه على صور لفتيات عاريات، لم أعرف ماذا عليّ أن أفعل، لكن كان أمرًا أن يأتي إلى رأسي أن أضغط هذا الزر الأخضر؛ لأجيب هي فكرة صعبة المنال..

كان اسمها (جميلة)، وداخل قوسين جانب اسمها كُتب الملاك الصغير على شاشة الهاتف.. كان يضيء ويطفئ وكأنه يطلب مني أن أجيب..

لكني لم أسأل من أين أتاني الرقم، ومَنْ سَجَّل اسمها على هاتفي، ووجدت أني أجيب أخيرًا:

– ا.. لـــ.. و..

– سنة عشان ترد يا عمرو!

لا أستطيع تمييز الأصوات – وقد سمعت الكثير منها – لكن صوتها، إنه هو.. هذا مستحيل..

– انتِ..

– ومستغرب ليه؟

– م..ك..نتا.. انتِ إزاي.. ق..صدي .. انتِ.. مي..ن.

تغيرت نبرة صوتها إلى تلك النبرة التي لا أحبها، فما فعلته كان غبيًّا.. لكني لم أكن أعرف ماذا أقول، ولم أكن أتحكم به..

– إيه يا عمرو الهزار البايخ ده.. أنا مين يعني.. إنت بتعرف بنات تاني ولا إيه؟!

– لأ.. بس.. أصل .. انتِ جميلة صح .. جميلة..

– لا توأمها الشرير

قالتها وضحكتْ، فارتجف قلبي كورقة في مهب الريح وارتجفت يدي بالهاتف بسبب زلزال أصاب جسدي..

– معلش يا جميلة.. أنا أصلي لسة قايم من النوم.. ومش متعود إني أسمع صوتك.

قلتُ الجزء الأخير بصوت متحشرج، لا أظن أنها سمعته..

– طيب يلا قوم كده وبطل كسل..

ظللت صامتًا من الصدمة.. صدمة أني حقًّا أكلمها، فقالت:

– انت مالك غريب كده النهاردة.. شكلك بتمثل عشان تخلع من الهدية..

ظل الصمت من طرفي وكأن القطة أكلت لساني.. وأصابني شلل الفكر.

– تصدق أنا زعلانة منك..

– لـــ .. يه.. بس.. أ..نا..

كنت أريد أن أقول لها لا أستطيع أن أجعلك تحزني.. متى أصبح الكلام بهذه الصعوبة؟

– عشان كنت فاكراك إنك انت اللي هتكلمني.. مش نايم حضرتك لحد بعد العصر..وماتصلتش كده تقولي كلمتين حلوين على كل سنة وأنا طيبة.. ده عيد ميلادي يا عمرو.. وأنا اللي بكلمك.. أنا كده حاسة إني مش مهمة خالص عن..

تبدل المشهد.. كتبديل قناة بالتلفاز.. اختفت غرفتي، وأصبحت هناك بعض الوجوه المألوفة، وتبدلت ملابس النوم لملابس أخرى، ووجدت أني أقف وأمسك بهدية مغلفة بحجم قبضة يدي بمكان متوسط الحجم.. هناك طاولة طويلة بمنتصفها عليها كعكة عيد الميلاد وحولها تقف الوجوه المألوفة ممسكة بعيدان مشتعلة تعطي للمكان روحًا مصدرة أشكال نارية.. ورق الزينة معلق على شكل..

Happy Birthday

وظللت أنا مُجمَّدًا بمكاني لا أعلم ماذا يحدث؟

ولكن عيني قابلت عينيها، فجاءت لي مسرعة تاركة صديقتها.. كانت (جميلة) ولكنها كانت بارعة الجمال.. كانت كنجمة تشع بليل صافٍ خالٍ من القمر.. كنسمة بليلة شديدة الحر والرطوبة.. كانت جميلة، وكان من المستحيل أن أرى شيئًا بهذه الأرض أجمل.. اقتربت فأحسست بروحي داخلي وأحسستها مضطربة – روحي لا جميلة – كانت أقصر مني بقليل – جميلة لا روحي – نظرت لي فأحسست بالدفء وهي تقف أمامي، وعندما سلمت عليها وتلاقت يدانا شعرت بالفرحة.. الفرحة التي غابت عني، وزادت تلك الفرحة عندما تكلمت هي، لم أستطع تحديد ما قالته، لأني كنت أحدق بملامحها.. أحاول أن أحفظها.. أن أرسمها بداخل عقلي.. لكنها كانت صعبة الحفظ..كرواية رائعة قرأتها عشرات المرات..كلحن تسلل إلى روحك ولكنك إن توقفت عن سماعه فلن تستطيع أن تغنيه، فتعيد سماعه.. كانت (جميلة).

- عمرو.. عــــــــمرو.. إيه رحت فين.. مش مرتحالك أنا النهاردة.. ف التليفون.. ودلوقتي.. انت مش انت ليه كده؟

لم أستطع أن أرفع عينيّ عن وجهها، ومع ذلك أريد رؤيتها ولا أعرف كيف؟ كنت أريد للحظة أن تدوم، ولم أكن أعيشها.. ربما بسبب أني لم أذق طعم الفرح كثيرًا، ولأني أذوقه الآن خائف عليه أن ينتهي.. لكني اتخذت قرارًا سريعًا بأني لن أسأل ماذا يحدث؟ أريد أن أكون معها.. وأنا معها الآن.. ما الفارق؟ في تلك اللحظة فقط ابتسمت قائلًا لها بصدق:

- انتِ بس اللي واخدة عقلي..

ابتسمت هي أيضًا.. فشعرت بالحنين لشيء لا أعرف كنهه قائلة:

- اضحك عليا اضحك بكلمتين.. وانت أصلًا جايلي متأخر يا أستاذ والمفروض تكون هنا أول واحد..

- كل سنة وانتِ طيبة..

قلتها بطريقة الشحاذين كي تجعل أفعالي الغريبة تمر.. فمسكت يدي بدلالٍ وسحبتني إلى حيث الوجوه المألوفة لبدء الاحتفال بيوم مولدها.. وأنا أقرر بداخلي أني سأندمج تمامًا بداخل هذا الموقف:

- عمرو يلا اتصور انت وجميلة وانتوا بتقطعوا التورتة..

قالتها صديقتها ومالت (جميلة) على أذني لتقول لي:

- انت جايب الهدية دي لنفسك ولا إيه؟

نظرت إلى الهدية التي بيدي والتي نسيت أني أمسكها لأضحك، وأقول وأنا أعطيها إياها:

- حبيبي الوحيد..

خطفتها مني كمزحة.. وقبلتني بعينها على خدي، ومن ثم ظللنا ننظر لبعضنا البعض للحظة.. حتى قالت صديقتها مرة أخرى وهي تمسك هاتفها وتدير ظهره لنا لتصورنا:

- يلا بقى هتبقى صورة جامدة طحن..

ومن ثم بدأت تعطينا التعليمات والأوامر..

- أيوه يا عمرو.. استغل الفرصة وامسك إيديها.. دي زي خطيبتك برضه..

خطيبتي.. أتَمَّتْ خطبتي أنا و(جميلة)؟!

- وانتِ يا جميلة تعالي كده شوية.. لا يا عمرو تعالى كده (مشاورة بيدها) أيوه بالظبط كده.. امسكوا بقى السكينة عشان تقطعوا التورتة.. يا عمرو اضحك شوية وبلاش الوش المكشر ده.. وانتِ يا جميلة هتتمني إيه يا ترى.. أنا عا..

وجدت أني أنشقُّ.. أنقسم.. وأرى الصورة من جسد آخر.. جسد يرى المشهد ولا أحد يراه.. جسد أثيري، ظل يمد يده يحاول بلا أمل العودة للجسد الذي يعيش مع (جميلة)، يراه يضحك معها وتضحك له.. و يعرف أن هذا هو.. نفسه.. أنا.. وأنا.. يمد يده كغريق يحاول أن يمسك بالهواء.. يكافح لكي يعود ليرى (جميلة)،

لكن الصورة ظلت تبتعد، وظلت كشيء لن تستطيع الوصول إليه أبدًا، كضوء كلما ظننت أنك وصلت لمصدره وجدت أنك خُدعْتَ.. فقط وجدت أني أبتعد، وجدت الدموع محتشدة بعيون جسدي الذي فارق جسدي، لكني كنت أشعر به فقط، بهذا الذي يغادر المشهد لا الذي يعيش بداخله.. أبتعد.. ظللتُ أبتعُد، وأنا أشعر بروحي تنسحب.. تنحصر.. تُقتل.. حتى اختفى كل شيء، وكان الألم مرة أخرى.. شلل النوم مرة أخرى.. أنا وأنا فقط على فراشي مرة أخرى..

لكن تخيل نفسك عاريًا بالقطب الشمالي، تموت من البرد ومن ثم وجدت بركة من المياه الساخنة، وبعدما نزلتَ بها وعرفت كيف هو الشعور بالدفء وتعودت عليه..اختفت البركة..ولتعود أنت إلى الحال السابق.. لكن الألم مُضاعَف كما هو الآن.. لقد اختفت توًّا البركة الساخنة، وكان فقط الجليد بكل جانب.. الجليد الذي لم أتوقع أن يكون أبرد مما كان عليه.. فتحت عينيّ مرة أخرى وعاد لي الإحساس بجسدي الفعلي وبحواسي.. لكن لم يكن هناك من رنين هاتف.. لم يكن هناك (جميلة)..

كان هناك أنا.. وحدي وظلام الغرفة.

15
الشروط

"طريقنا عكس التيار.. بس إحنا بنمشي مع التيار.. أو بمعنى أصح.. بنسيبه هو يمشينا".

***

جلست على الفراش لأقل من النصف دقيقة محدقًا في الظلام.. لا أفهم شيئًا.. كان إحساسي كإحساس طفل بالصف الأول يحضر محاضرة عن الفيزياء النووية.. الظلام خارج الغرفة أيضًا، وكأن الوقت قد قرر ألا يمر.. لا أعرف لماذا فجأة تخلل الخوف وإحساس اللامبالاة.. الخوف من المجهول!

وجدتني كطفل صغير أنام دافنًا رأسي بوسادتي الصغيرة، وألتفُّ بفراش الشتاء الثقيل من قمة رأسي لأخمصي قدميَّ.. ذهبت في النوم سريعًا وأسرعت بالخروج عن جسدي.. كنت أعلم ماذا أريد أن

أفعل.. كنت أريد أن أستعيد الإحساس الذي أحسست به باللحظات السابقة.. إحساس أنها معي وأنها تكلمني وتسمعني وترد عليّ.. إحساس أن أراها وأن أكون بجانبها.. كلاعب القمار الذي خسر نصف ماله عندما كان يظن أنه الفائز.. فراهن بالنصف الباقي بطريقة عمياء ليستعيد ماله، مع أنه يعلم أن ما يفعله غباء، ويعلم أنه على الأرجح سيخسر النصف الباقي أيضًا.. لكنه تغافل عن هذا الجزء حتى خسر ماله.. وجدت أني أطير إلى منزلها أسرع من أي مرة سابقة.. وكالعادة دخلت من الشرفة مخترقًا إياها ولأجد باب حجرتها مغلقًا.. أحسست بالرعشة من رهبة الموقف.. بالخوف.. وعندما تقدمت لاختراق الباب لأراها. بدأت الظلال تظهر من العدم ومن جميع الزوايا والنواحي، وتأتي ناحيتي ببطء محلقة في الهواء وماشية على الأرض.. أراها ولكني لا أنظر إليها.. كنت قد تناسيت أمرها.. يجب عليّ أن أرى (جميلة) أراها ولو لمرة واحدة فقط الآن.. فكرت أن أتحرك سريعًا، وأخترق الباب لأراها قبل أن يتمكنوا من منعي.. لكن وجدت أني لا أستطيع التحرك كجسدي الذي على الفراش.. قاومت والظلال تتجسد وتقترب من بعضها بعضًا.. قاومت أكثر حتى استطعت التحرك ببطء.. أقترب من الباب ببطء.. ببطء كأني بالتلفاز وأحدهم شاهد فتاة مثيرة فثبَّتَ الصورة ويحركها ثانية ثم يتوقف وهكذا.. أصبحت سبعة ظلال.. وقفت أمام بابها ناظرة لي بعيون ليس لها مكان.. تكلمت بأفواه ليس لها مكان.. لأسمع أنا كلامها بأذان لا أعلم إن كان لها مكان أم لا..

- المكان محرم عليك..

قالوها معًا كالكورال.. كان عقلي لا يستطيع التفكير بأي فكرة غير أنه يجب عليه أن يراها.. ظللت أقترب ببطء لكن هل سيتكرر الألم؟

- آآآآآآآه

صرخت ورجعت إلى الخلف واقعًا على الأرض من الألم، حتى زال، ومن ثم حاولت مرة أخرى.. وظللت أتحرك ببطء ليتكرر الموقف كإعادة لهدف ضائع..

لا أعرف رقم المحاولة، لكن وجدت أني أستيقظ على فراشي مرة أخرى.. ونظرت إلى الظلام مرة أخرى، والألم فقط هو كل ما أشعر به.. تقلبت إلى الناحية الأخرى وعلى جانبي الآخر.. أجزُّ على أسناني بكل ما أوتيت من قوة، حتى لا أصرخ.. حاولت تجاوز تلك الرعشة التي بجسدي، حاولت تجاهل الخوف المختلط بالألم لأنام مرة أخرى؛ ولأخرج عن جسدي مرة أخرى.. لكن تلك المرة شعرت بتلك الطاقة التي تجذبني عكس اتجاه منزل (جميلة) حاولت أن أقاومها لأذهب مرة أخرى لجميلة.. لكن وجدت أني لا أستطيع.. حلقت فوق البيوت والشوارع حتى وصلت إلى سطح هذا المنزل.. لماذا هذا المنزل بالذات؟ يبدو مألوفًا!

وجدته ينتظرني هناك.. يقف كما هو لم يتغير.. بلا ملامح وعينين سوداوين.. واضعًا يده بجيب بنطاله ينظر لي.. وقفت أمامه ومن ثم أعطيته ظهري، حاولت أن أتجاهله شاغلًا نفسي بالنظر إلى بيوت وأضواء مدينه الإسكندرية النائمة.. مَنْ هذا؟ ماذا يريد مني؟ لقد قال

بالمرة السابقة إني أستطيع فعل ما أريد وسأجد له رد الفعل على أرض الواقع، سأجد ناتجًا.. لماذا إذن لا أستطيع الذهاب إلى (جميلة)؟ ما تلك الظلال التي تصعقني؟ لقد تشكلت على شكله بالمرة الأولى.. أين أنا؟ هل هذا العالم موازٍ للعالم الذي أعيش به؟ هل تلك الظلال تحميه؟ هل هذا هو حاكمه؟ لكن من ماذا تحميه؟ أنا لا أريد أن أؤذي (جميلة)؟ هل أريد أن أؤذيها؟ صُعقت من الفكرة..لكن لا هذا مستحيل.. حاولت أن أَزِنَ الأمور بعقلي الذي لا أجده ولا أعلم إن كان بهذا الجسد أم بالجسد النائم.. لكن فعليًّا لا أتحكم بما أفعل.. لا.. لا.. بالطبع أتحكم بما أفعل.. لكن أنا هنا بلا إرادتي لرؤية هذا الذي بلا بلامح خلفي، هذا يحدث عكس رغبتي.. أن أذهب لجميلة هي رغبتي..لا أنا لا أريد أن أؤذيها..لا أستطيع.. وإن كان هذا الذي يقف خلفي هو حاكم هذا العالم يجب على كلامه أن يكون صحيحًا.. لقد قال لي أستطيع فعل ما أريد.. لقد قال لي أستطيع النوم مع الفتاة التي أريدها، لكني لا أريد هذا..كل ما أريده أن أرى (جميلة)..

- ماينفعش..

نطقها فالتفت إليه.. كان يعطيني ظهره أيضًا، وينظر إلى العالم النائم من الجانب الآخر..

- دي الحاجة الوحيدة اللي ماينفعش تعملها.. تقدر تعمل كل حاجة.. تقدر تنام مع أي بنت.. تحب أي بنت تانية.. تروح لها.. تعمل معاها اللي انت عايزه.. تقدر تعمل أكتر حاجة ف حياتك إتمنتها.. إتخيلتها.. إشتهتها..

صمت قليلًا وأكمل:

- إلا إنك تشوف جميلة أو تفكر تروح لها أو تبقى معاها.. لإنك مش هتعرف.. هتخسر.. وتضيع كل اللي قدامك ده.. تضيع العالم ده..

ومن ثم التفتَ إليّ، وأحسستُ أن هناك بريقًا بعينيه السوداوين.. هل يرى بهما؟ أخرج يده من جيب بنطاله، وبهدوء لف يديه الاثنتين على شكل دوائر بالهواء..

- بص انت عندك إيه!

وأحسسته يبتسم وهو يقول:

- انت ف الجنة..

لم أعرف بماذا أرد عليه.. أردت أن أقول له إن (جميلة) هي الجنة بالنسبة لي.. أردت أن أقول له إن بالجنة ما تتمناه يحدث..

- وهنا كمان اللي بتتمناه.. اعمله.. إيه هي أمنيتك؟

- عايز أبقى مع جميلة.. عايزها تحبني!

- ماينفعش .. جميلة هي الشجرة المحرمة عليك!

أحسسته يبتسم مرة أخرى بعد أن قال هذا.. ابتسامة تتوسع كنهر بدأ يتخذ مجرى جديدًا.. وليعطيني ظهره مرة أخرى..

- لكن..

شعرت أن هناك شيئًا ما.. لا يريد الإفصاح عنه.. شيئًا يحفظه لآخر اللعبة، وسيجعلني أتمكن من أرى (جميلة)..

- هو فعلًا في حاجة ممكن لو عملتها تبقى مع جميلة.. هنا.. ومنه هتبقى معاها في العالم بتاعك.. لما تصحى.. لإن اللي هيحصل هنا.. هيحصل هناك..

شعرت بالإثارة لأني سأكون مع (جميلة) .. سأذهب إليها وهي نائمة.. سآخذها برحلة لنطير معًا.. سأكلمها وأقول لها على كل ما حدث.. ستستغرب بأول الأمر..ربما ستتعجب وتستنكر.. لكنها ستجد أن هذا يحدث حقًا.. ستراه بعينيها، وعندها ستصدقني وتحبني؛ لأنها ستعلم كم أحبها! وسيصبح هذا سرنا الذي لا نخبر به أحدًا، ويصبح هذا عالمنا الذي نقطن به وقت الليل والنوم معًا.. ليكون مهربنا من عالم الواقع، ولنخوض معًا مغامرتنا، ونستكشف الكون الواسع.. ونصبح خارقين للعادة معًا..

- وأكتر من كده كمان .. بس عارف إزاي؟

- إزاي؟

- هما حاجتين سهلين قوي إنك تعملهم.. إعملهم.. وخد جميلة للأبد!

- إزاي؟

سكت قليلًا قبل أن يلتفت لي وعيناه السوداوان تلمعان.. قائلًا بنبرة أحسستها مختلفة:

- إقتل أي حد تختاره.. وازني مع أي واحدة تختارها..

فتحت عينيّ على زقزقة العصافير بالخارج وعلى أشعة الشمس التي تتسلل للغرفة، وقبل أن أعرف من أنا، وأين أنا؟ بدأ المنبه بهاتفي المحمول بالرنين يريدني أن أستيقظ.. التقطه من جانبي وأسكته.. وغادرت الفراش وقدماي تلامسان الأرض وعقلي ليس كذلك.

***

16

التلاعب

"عارف لما تبقى عارف إن مهما اتكلمت وحكيت.. لو حد سمعك مش هيصدقك.. ولو صدقك فهتبقى انت مجنون ف نظره.. لما تشوف الإنسان الوحيد اللي انت عايز تبقى ف الدنيا دي معاه وهو مش معاك.. لما تبقى بتعرف تحس كل حاجة.. تحس ألم وتعب الناس.. تحس الفرحة لو حوليك ناس فرحانة.. إنك تبقى بتعرف تحس كل حاجة.. وتحس إن الإنسان ده اللي انت بتحبه.. مش بيحبك".

***

كان شعوري كالشاه بلعبة الشطرنج الذي ذهبت جميع قطع جيشه إلى خارج الرقعة ولم ينجُ إلا هو،لكن الخصم ذكي، فلم يعطك رصاصة الرحمة القاتلة، لكنه كان يلعب بحيث يجعل هناك مكانًا واحدًا فقط تذهب إليه.. فتذهب إليه مرغمًا منتظرًا منه كلمة (مات الملك).

كان كشعور لاعب الكرة الذي خسر فريقه بفارق سبعة أهداف.. وبآخر دقائق ينقل الكرة مع زملائه محاولًا إضاعة الوقت، حتى لا يصبح الفارق ثمانية، متمنيًا أن ينفخ الحكم بصفارته، فتصدر الصوت الرحيم الذي يعلن النهاية..

وكإنسان آلي مبرمج على ما يفعله، وبعد ارتداء ملابسي.. قلت لأمي إني ذاهب إلى الجامعة.. وخرجت إلى حيث العالم.. اليوم هو أول يوم بالكلية بالنصف الثاني، إن لم أكن جننت بعد، على الأرجح سأرى (جميلة)، أشعر بهذا، لكن هل سأحكي لها عمَّا يحدث لي؟ هل ستقف لتسمع إن استطعت بمعجزة أن أتكلم؟ هل ستصدق؟

لم أرغب بالمشي، فأوقفت أول سيارة أجرة رأتها عيناي.. جلست صامتًا بعد أن رددت على السائق الشاعر بالملل ردًّا مقتضبًا قصيرًا حتى يصمت وحقًّا فعل.. كانت عيناي تتابعان الطريق شاردة.. كنت لا أرى شيئًا.. لكن وجدت عقلي بدأ يصفو، ووجدته يفكر بأشياء كثيرة لا ملامح لها.. فشعرت بالدوار من الأشياء التي لا أستطيع تفسيرها.. أقتل وأزني؟! كان هذا آخر ما قاله لي هذا الشيء.. أقتل وأزني؟! من المستحيل أن أفعل هذا.. ابتسمت.. والتفتُّ لأنظر أمامي لأجده ينظر لي من الخلف.. رأيته بمرآة السائق، فالتفتُّ مذعورًا لأجد المقاعد الخلفية خالية.. فنظر لي السائق قائلًا محاولًا فتح طريق للحديث مرة أخرى:

– في حاجة يا باشمهندس؟

نظرت له بطرف عيني ولم أرد، وأكملت نظرتي للخارج من النافذة شاردًا.. على الأرجح سيظن أني مجنون.. لكن ما الفارق؟ أنا أظن ذلك بنفسي..

وصلنا سريعًا لقرب الجامعة من بيتي، أعطيته أجرته ووضعت يدي بجيبي، وأكدت وضع القبعة على رأسي.. لم أكن أشعر بالخوف، هذا غريب!

لم أكن أصدق أني حقًا أريد رؤيتها، ولست خائفًا من هذا..كان الجميع قد دلف إلى داخل قاعة المحاضرات.. وعندما دلفت كان الهرج والمرج يعمُّ المكان.. لم أُقم كثيرًا من العلاقات الاجتماعية الكثيرة طلاب دفعتي.. ربما لأني أرى الكثير منهم أغبى من أن أعرفه.. ربما لأنهم يظنون أني مغرور، وهذا ناتج من التعود على الوحدة، فظنوا أني أتكبر عليهم.. كنت أعرف بعض الوجوه وأشعر ناحيتها بالأُلفة ولا أشعر بذلك الإحساس لبعض الوجوه الأخرى.. كنت أشعر أن البعض منهم يريد أن يؤذيني.. والبعض الآخر يكرهني ويفرح عندما يراني وحيدًا أو أتألم..لكن صديقي الوحيد هو (حسام)، عليَّ أن أتكلم معه.. ربما أحكي له.. ربما لا.. لا أعرف!

عليّ أن أكلمه لأعرف أين هو؟

رأيتها الآن..

(جميلة) وصديقتها وذلك الفتى الوسيم.. كانوا يضحكون دائمًا معه وعندما تكونان بصحبته.. ظللت ثابتًا بمكاني فترة أنظر إليهم.. هي لا تراني.. لكنها تتذكرني على الأرجح.. ليست ذكرى أيام

الطفولة كما هو واضح.. لكن كلمة (بحبك) لا تُنسى.. حتى لو ظنت أني مجرد أحمق.. أحمق رآها جميلة فجاءته فكرة أن يقول لها تلك الكلمة، فربما تحبه، وعلى الأرجح ستظن أني فعلت هذا مع ألف فتاة سابقة.. مجرد كلمة أذهب لألقيها.. لكنها لا تعرف ما خلف الكلمة..

– ليه لأ؟

هذا الظل مرة أخرى.

– عشان جبان.

كان هذا هو آخر من أتوقع أن يظهر أمامي.. بلا ملامح.. بعدستين سوداوين تنظران لي من قاع أسود، أغمضت عيني وفتحتهما لثانيتين.. فاختفى الظل من يميني، وذو العينين السوداوين من أمامي..

– أنا مش جبان.

نطقتها لنفسي.

– أنا مش جبان.. مش كده؟

نطقتها بصوت أعلى لأثبتها لحالي.. نظر لي بعض الطلاب باستغراب.. لكني لا أهتم.. لا أهتم ألبتة..

أخرجت يدي اليمنى من جيبي واستخدمتها لأقفز على (البنش)، ومن ثم استخدمت قدمي وقفزت من واحد إلى آخر وعيناي متجهتان ناحيتها.. لم أدرك أني – أنا كذلك – متجه ناحيتها.. ظللت أقفز من درج إلى آخر مع نظرات وكلمات استهجان حتى وصلت لها.. كانوا بعالم آخر، ولم يدركوا وجودي إلا حين وصلت لهم..

- أيوة.. أنا عيد ميلادي بكرة أصلًا..

كانت تلك صديقتها.. لكني قاطعت حديثهما:

- جميلة.. أنا عايز أتكلم معاكِ دلوقتي.. وفي موضوع مهم..

كل عيون من يجلسون قريبًا ويسمعون توجهت لي مستهجنة ومن ثم إلى (جميلة) وصديقتها والفتى.. فتكلم الأخير وكأنه يتكلم بلسانها وسمحت له هي بهذا..

- انت أكيد تقصد واحدة تانية.. لإنها ماسمهاش جميلة..

كان يتكلم بهدوء وثقة، لكنه كان يسخر مني على الأرجح.. وبداخله شخص يواجه الموت ضحكًا.. ابتسمت هي أيضًا ساخرة.. جَزَزْتُ على أسناني محاولًا ألا أنفجر..

- أنا ماوجهتش ليك كلام.. أنا عايز أتكلم معاها هي.. لو سمحت..

قلت آخر كلمة وأنا أوجه نظرة رجاء لها

- محتاج أتكلم معاكِ

- إيه البرود ده؟ مش عايزة أتكلم معاك.. انت شكلك مجنون باين..

كانت الكلمات قاسية.. لدرجة أن شعرت وجهي يحترق من الحرارة

- بس أنا لازم أتكلم.. عايز أقول لك حاجات انتِ ماتعرفهاش.. وماينفعش أقولها قدام حد..

- بس أنا ماعرفكش أصلًا عشان يبقى في حاجة بيني وبينك..

كان صوتها عاليًا إلى حد ما.. مما جعل الناس تتوقف لتشاهدني.. الكل توقف ليشاهد هذا الأبله.. بعض الوجوه مألوفة والبعض لا..

قام الفتى ووقف أمام (جميلة) وقال بنبرة غاضبة:

- لو سمحت امشي.. بدل ما هتعامل معاك بأسلوب تاني..

حولت نظري لأجد جميع الوجوه تنظر لي.. لكن ما توقفت عنده عيناي ولفت نظري.. تلك الفتاة العابسة صاحبة الوجه المألوف.. التي عندما تلاقت أعيننا ابتسمت.. بالطبع تسخر مني.. مثل الباقين.. الكلُّ يسخر مني.. يظنون أني مجنون ما.. لا أحبهم.. أنا لا أحب أحدًا.. قبضتي المضمومة بوجهه هذا كان رد فعلي.. جمعت إحساس الظلم.. وحاولت أن أتبعها باللطمات، وأن أضربه بأي منطقة أصل إليها بجسده.. لكن سمعت صرخات (جميلة) وصديقتها.. وقبل أن أدخل المعركة أو تصل إحدى لطماتي لأهدافها.. وجدت من يجذبني للخلف.. العديد من الأذرع القوية.. لم يسبني الفتى الوسيم بأية ألفاظ، فقط نظر لي نظرة غاضبة.. و(جميلة) وصديقتها كانتا بجانبه.. ناظرتين له بخوف وكأنه بطل ما.. صرخت بأعلى صوت سمحت به حنجرتي.. وأنا لا أقاوم الأيدي التي تجذبني قائلًا:

- حـــــــسي بــــــــيا..

لكنهم أبعدوني إلى خارج قاعة المحاضرات.. لم أكن أعرفهم مع أن بعض الوجوه كانت مألوفة.. تركوني بالخارج.. ونظروا لي منتظرين مني أن أتكلم.. لكن داخلي كنت بمكان آخر.. وكنت أردد كلمة واحدة لا أعرف إن كانت قد تجاوزت شفتيّ أم لا..

- أنا مش جبان..

عرضوا عليّ بعض السجائر كي أحرقها، وحاولوا أن يكلموني، ويفتحوا معي ألف موضوع، لكن كنت أنظر إليهم ولا أسمعهم وأردد:

- أنا مش جبان.. مش جبان..

حتى رأيته..كان يقف بعيدًا عند بوابة الخروج من الجامعة.. ناظرًا لي بوجهه الذي دون ملامح.. ذهبت إليه وكأني برادة حديد وكأنه مغناطيس.. تبعتني نظرات الاستهجان وبعض الضحك من الذين كنت أقف معهم.. لكني لم أبالِ.. أريد أن أتكلم معه.. لماذا يهرب مني.. لكنه ظل ثابتًا حتى وصلت إليه.. وقفت أمامه.. لكنه لم يختفِ كما فعل سابقًا.. فقلت له وأنا أدرك هذه المرة أني نطقتها بصوت مسموع:

- أنا مش جبان..

مشى بخطوات بطيئة، وقال لي بصوت مكتوم:

- ناديني بلايس..

ومن ثم أكمل:

- لو مش جبان.. يبقى قل لي سبب واحد يخليك ماتقتلش وتزني..

سكت وأكمل:

- سبب واحد ولو بسيط يخليك ماتعملش كده.. عشان تبقى مع جميلة.. إلا إنك خايف..

سكت وأكمل:

- إلا إنك جبان.. خايف تبقى معاها.. عشان انت جبان..

لم أرد.. ولم أستطع أن أفكر بشيء.. فأكمل:

- دي حاجة بسيطة.. فرصة تانية ماتضيعهاش منك.. هتخليك بطل.. وهتخلق لك العالم بتاعك.. تتمنى وتتحقق.. تبقى مع جميلة وتعيش معاها.. انت بس.. وتحبك أكتر ما انت بتحبها.. وتبقوا مع بعض في عالم بتاعكم.. وكل ده.. بحاجتين بساط قوي..

كان يتكلم معي معطيًا ظهره إيَّايَ؛ لأنه يسبقني بالمشي، لكنه التفت لي، وقرب عينيه السوداوين من عينيّ، ونظر لي وهما تلمعان، وقال بصوت يشبه فحيح أفعى:

- إنك تقتل أي واحد من البشر الأغبياء دول.. الملياين جشع وطمع وكره وقلوب حجر.. هما أصلًا مايستهلوش إنهم يعيشوا.. إنك تزني مع أي واحدة من بني جنسك.. ما كلهم بيعملوا كده في السر.. ويلعبوا في العلن دور العفة والكرامة.. الحاجات دي ماتت..

ظللت صامتًا لا أجد ردًّا.. ووجدت أني قد اقتربت من المترل..

– دي آخر فرصة ليك.. حاول تستفيد منها.. واثبت لنفسك إنك مش جبان. أنا صديق.. واسمي على اسم صاحب ليك زمان.. فاكر.. بلايس..

قالها وتبخر، وتبخرت لدي القدرة على السمع والكلام.. فتحت باب البيت لأجد أمي تناديني:

– إيه يا عمرو.. عملت إيه في الكلية؟

لم أرد أن أجعلها تشعر بأن هنالك شيئًا غريبًا أو غير طبيعي.. فدلفت إلى غرفة إعداد الطعام حيث كانت قائلًا:

– الحمد لله.

قلتها بصوت حاولت أن أجعله طبيعيًّا قدر المستطاع، لكن لا أدرك من أين علمت بأني لست كذلك، لتقول لي:

– مالك يا عمرو؟ بقالك فترة كده مش مظبوط؟!

حاولت أن أبعد عينيّ عن عينيها.. حاولت أن أبتسم.. نظرت إلى الأرض، وقلت:

– لا مفيش.. بس ضغط الدراسة وكده..

كانت إجابة غير منطقية لم أفكر بها.. لأن الدراسة بدأت اليوم.. وعلى الأرجح أدركت هذا.. لكني وجدتها تقول:

– ربنا معاك يا ضنايا.. أبوك جي بكرة.. إتكلم من شوية وقال هيركب طيارة النهاردة الساعة 12.. وهيوصل بكرة الصبح على الساعة..

كنت أسمعها بعدم تركيز، وأهز رأسي مصدرًا همهمة من حين لآخر، وبعد برهة قلت لها:

– أنا هروح أنام شوية عشان تعبان..

– طيب يا ضنايا برحتك.. هصحيك لما أخلص الأكل..

تركتها وذهبت إلى غرفتي، ونظرت إلى الفراش، لم أجد الرغبة بالنوم.. ذهبت إلى حيث التلفاز واستلقيت على الكنبة العتيقة، وبجهاز التحكم عن بعد فتحته، وظللت أضغط الزر مغيرًا القنوات العديدة، حتى استوقفتني إحدى برامج الحوادث

ذبح طفل لديه من العمر 9 سنوات بعد اغتصابه والجاني أحد أقربائه.. حدثت الحادثة المروعة بحي ال..

غيرت القناة.. لأجد فتاتين بفيلم عربي يتكلمان عن الجنس بكلام يخدش حياء أي إنسان لديه ذرة من الخجل..

غيرت.. لأجد قناة الأخبار تتكلم عن حرب جديدة على وشك البدء.. وذهاب الآلاف من الضحايا..

أطفأت التلفاز.. ودلفت لغرفتي ودمعة محبوسة بداخل عيني..

نمت وأنا أقرر أني أريد التكلم مع (بلايس) بعالمه.. خرجت عن جسدي.. لكن لم أشعر بتلك الطاقة التي تجعلني أشعر بمكان (بلايس) فوق هذا المنزل..

كان الوقت نهارًا.. وكانت تلك المرة الأولى التي أخرج عن جسدي بالنهار، ولكني قررت شيئًا.. بما أني لا أستطيع الكلام مع (بلايس)؛ سأذهب لأرى (جميلة) إذن..فإن ظهرت تلك الظلال لتمنعني من المرور سأصل منها لطريق (بلايس).. حلقت فوق البيوت والعالم النابض بالحياة.. فوق البشر والسيارات، لكن لم ينظر لي أحد بالسماء ليشير إليّ كما كان يحدث بالأفلام مع الأبطال الخارقين.. لكن ربما ليس لي وجود أو أنهم لا يرونني.. ربما أنا لست ببطل خارق وأني مجرد جبان خائف آخر، كما قال (بلايس)..عندما وصلت منزل (جميلة) شعرت بأن هناك شيئًا مختلفًا.. وعندما دخلت من الشرفة دون اختراقها؛ لأنها كانت مفتوحة على مصراعيها.. كان هناك صخب ما وصوت قادم من غرفتها.. اقتربت بخطوات بطيئة لأجد أن الظلال لم تظهر.. ظللت منتظرًا لكن لا شيء.. إنها غير موجودة.. وقفت أمام باب غرفتها أبيض اللون قليلًا منتظرًا أن أتخذ قرارًا باختراقه.. لم تطرف لي عين، ربما لأن ليس لي أحدهما بهذا الجسم الأثيري.. لكن أحسست أن هناك حياة خلف هذا الباب.. وبدأت أميز الصخب.. كان صوتًا أغنية قادمة من الداخل.. تقدمت خطوة لأجد أن قدميّ تخللتا الباب دون أن أصعق.. هل حل الأمر؟ هل سأراها وأكون معها دون الحاجة إلى القتل والزنا؟ هل كل ما حدث حدث حقًا أم كانت مجرد خيالات؟ أغمضت عينيّ اللتين ليست لهما مكان على الأرجح.. وتقدمت خطوة أخرى.. وبجسمي الأثيري اخترقت الباب.. كسكين يخترق قطعة من الجبن.

17

الزيارة

" كل واحد فينا.. عنده جزء جواه مخبيه.. جزء أسود"

***

كوردة تتفتح بالربيع كانت.. وكطفل يراقب المنظر مأخوذًا كنت.. كانت ترقص، وكنت أقف أمام الباب من الداخل.. انتظرتها تلتفت وهي تدور حول نفسها مع أنغام تلك الموسيقى.. لكنها لم ترنِ.. اقتربت منها أكثر لأعرف أنها لن تراني.. كنتُ أمامها.. عيناي اللتان لا مكان لهما ترياها.. وعيناها الموجودتان بمكانهما عمياوان.. للحظة ظننت أنها نظرت لي، لكنها كانت تنظر إلى المسجل الذي تصدر منه الموسيقى خلفي.. يبدو أني أحوم بالهواء، وأتحرك دون أن أدرك.. ولكنها لا تراني، وكأني ليس لي وجود.. ومن ثم تخللتني.. مرت من خلالي ذاهبة للمسجل، لتثبت أني غير موجود بالمرة.. لكني

رأيتها بانعكاس صورتها بالمرآة.. تنظر خلفها بعد أن تخللَتني.. وكأنها شعرت أني هنا.. لكن كان هذا لثانية، قبل أن تعبث بالمسجل قليلًا، وأثبت أنا بمكاني أشاهدها.. لم يكن لي وجود بالمرآة أيضًا.. كان كل شيء بالغرفة واضحًا داخل الانعكاس إلا أنا.. كنت أبحث عن الدموع، ولكن حتى وإن وجدتها.. من أين سيكون طريقها للخارج؟ انبعثت موسيقى هادئة بعد أن أنهت العبث بالجهاز.. وارتسمت على وجهها ابتسامة مألوفة، ومن ثم بدأت ترقص مع الهواء، بدأت تحضنه، وتتحرك بخطوات انسيابية مغمضة عينيها، متحركة بخفة ودلالٍ، وكأنها ترقص مع حبيب ليس له وجود.. ولكني هنا!

اتخذت دور الهواء سريعًا، مسكت يدها اليسرى باليمنى واليمنى باليسرى، ورقصت معها غير مغمض عينيّ ناظرًا إلى وجهها، محاولًا رسم صورتها داخلي، وظللت مع خطواتها أنسابُ.. تمنيت لو أن تلك الأغنية لا تنتهي.. ولكنها كانت أفضل أربع دقائق بحياتي وأسوأها أيضًا.. أنا معها ولكني لست هنا.. معها وأنا على فراشي أو وأنا على فراشي معها.. كان الوقت لا يزال صباحًا وكانت غرفتها ليست بالواسعة ولا الضيقة، كانت متوسطة الحجم.. بها نافذة يتسلل منها ضوء النهار لينساب على فراشها وتعكسه المرآة الكبيرة إلى الحجرة بأكملها، مسلطة بعضه على ذلك المسجل ودولاب ومكتب تراصت عليه الأوراق والكتب بلمسة سحرية.. كانت هذه المرة الثانية التي استطعت بها الدخول إلى تلك الغرفة.. المرة الأولى كانت بعد رحلة العذاب التي دامت أيامًا وكأنها بلايين السنين، وكانت مجرد لحظة، وهذه المرة، التي تحاول أن تلقي الضوء على أشياء كثيرة لا أعرفها..

الشيء المشترك بين المرتين هو الظن بأني ميت.. لا أظن أني سأعود لهذا الذي يرقد بالفراش ساكنًا.. كانت تحضنني ولا تعلم، فتحت عينيها ونظرت إلى عينيّ دون أن تعلم.. كنت معها بأفضل لحظة بحياتي ولا تعلم.. هي لا تعلم حتى من أنا.. رن هاتفها المحمول ورن جرس فكرة ما بعقلي.. وكأنها تعلم مَنْ ذهبت سريعًا للمسجل وأخذته لتجيب.. وبدأت أنا بتنفيذ الفكرة.. سأكلمها..

(جميلة).. الكلام لا يخرج.. هي لا تسمعني..

– ألو.. ماجد.. انت فين؟

هل هو فتى الصاروخ الورقي؟ (جميلة اسمعيني).. بدأتُ أتموج، أحوم بالهواء مقتربًا منها بعد أن جلست هي على فراشها..

– لا أنا جاهزة خلاص.. عايزها تبقى مفأجاة كبيرة ليمنى..

(جمييلة) لن تسمعني، (جميييييييييلة) لن أفقد الأمل، (جمييييييييييييييلة) أصرخ أكثر بلا صوت ألبتة، متموجًا أكثر، وبدأت أشعر بالألم على فراشي

– خلاص أوكيه.. باي..

بفرحة عارمة بعد أن نظرت للمرآة الكبيرة وعدلتْ من خصلات شعرها هرولت للخارج، وشعرت أنا بأني محطم للعديد من الأجزاء كقطعة بازل لن يستطيع أحد تجميع أجزائها معًا، ليس لصعوبة اللعبة، لكن لعدم ملائمة الأجزاء لبعضها البعض، واستحالة هذا..

من ثم استيقظت..

من أنا؟

أنا غريب عن هذا العالم!

من أنا؟!

أنا!

رأسي سينفجر..

سينفجر..

لم أستيقظ بالمعنى الحرفي للكلمة، فكنت أرى الغرفة، وأتألم، ليس شلل النوم هذه المرة، فالغرفة كانت خالية من الأشباح.. والألم كان جسديًّا.. كانت كل ذرة بجسدي تصرخ من الألم، ومن ثم أعتقد أني فقدت الوعي.. بعد أن رأت عيناي العديد من الألوان.. كان أخرها اللون الأسود!

ومن ثم ظهرت الألوان مرة أخرى، ألوان كثيرة متداخلة لترسم ذلك المشهد.. كنتُ محلقًا بجسدي الأثيري.. بجانب تلك السيارة الأجرة المسرعة بالطريق الخالي.. كان الوقت لا يزال نهارًا، وأنا أحلق بجانبها أطاردها، وألاحقها مسرعًا.. تركت نفسي داخل الموقف، وزدت من سرعتي، وحولت وجهتي إلى الجانب الآخر؛ لألمح من يجلس بداخلها.. كانت (جميلة)، لهذا ألاحقها إذن.. ألم أستيقظ من الأصل؟ هل ظل جسدي الأثيري مع (جميلة) يلاحقها للآن ليعرف إلى أين هي ذاهبة؟ ظللتُ محلقًا بجانب الأجرة، حتى توقفت السيارة، ونزلت هي كشروق الشمس، ونزلت أنا لأتبعها وأمشي جانبها

متموجًا.. كنت كظلٍّ فقد صاحبه ولا يراه أحد.. كشبح يرى البشر من حيث لا يرونه.. تبعتها لداخل ذلك المطعم، لأجده بالداخل ينتظرها جالسًا، ناظرًا إلى البوابة.. دخلت هي فابتسم وابتسمتْ له.. سبقتها إلى حيث مكانه.. أتموج بانعكاس صورتي داخل زجاج المطعم.. حاولت أن أخبط أي شيء.. أن أوقع أي شيء، لكني لم أستطع، وكل ما استطعت فعله هو المراقبة.. مراقبة سلامهما الصامت وجلوسهما غير تارك يدها..

- وحشاني.. ينفع كل الفترة دي؟

كان يبدو كممثل فاشل..

- بس إحنا كنا مع بعض إمبارح يا ماجد..

- أنتِ وأنتِ معايا وحشاني أصلًا..

أحستْ بالخجل وسحبتْ يدها من يده، وأنا أستشيط غضبًا والتموج يزداد.. ظلتْ تعبث بقائمة الطعام.. وأنا أصرخ بداخلي.. ألا يبدو كممثل فاشل؟ ألا ترى هذا؟ أم أنا فقط من أراه!

- النهاردة.. لازم أوريكِ شقتي اللي أنا خدتها جديد!

- إمتى ده؟

- كنت سايبها لك مفأجاة..

بدأ التموج يزداد، وبدأت أسمع اسمي.. لا أعلم من أين..

- عمرو..

شعرت بغرفتي وبشارعي وبالعديد من الأشياء التي لا أحصيها بنفس الوقت، ومن ثم اختفى كل شيء مرة أخرى.. والظلام و..

كان يفتح باب الشقة ماسكًا يدها وكانت مبتسمة.. ابتسامتها التي تنير الكون..

- عمرو.. يا عمرو..

دخلا.. الكثير من الكلام دار بينهما.. لكن لا أستطيع تمييزه!

- عـــــمرو

الغرفة مرة أخرى.. ظلال.. شلل النوم.. لا أستطيع الحراك.. الظلال بكل جانب تحوطني.. تنظر لي.. أموت.. إحساس الموت.. الخوف.. لا أريد الاستيقاظ.. الخوف.. الألم.. لا.. لا.. الظلام مرة أخرى..

كانا على الفراش ويقبلها..

- عـــــــــــمرو

كانت نائمة وهو نائم بجانبه العلوي - العاري - مائل عليها..

- عم...

بدأ ينزع عنها ملابسها.. ولا يزال يقبلها.. لكن هي.. تبادله القبلة..

ظللتُ أصرخ محركًا نفسي، محاولًا أن أفعل أي شيء.. لكني لستُ هنا.. بدأ الأمر يزداد سخونة.. ولم أكن أستطيع إكمال

المشاهدة، لكن وجدت أني لا أستطيع الحراك، وكأن أحدهم حولني إلى تمثال..

- عــــــــــمرو

وعندما بدأ بترع بنطاله.. تركت نفسي أستجيب للنداء..

الغرفة.. الألم.. الموت.. ظلال.. الرعشة بجسدي.. (بلايس) ينظر لي بعينيه.. يمد يده لي.. يريد أن يساعدني.. مددت يدي له، وهنا استيقظت، وأنا أبحث عن الدموع التي لم تكن لها أي وجود..

كانت أمي بجانبي مذعورة، ويبدو أنها هي من كانت تنادي باسمي..

- إيه يا عمرو انت كويس.. كنت بصحيك عشان الأكل.. بس انت كنت زي ما تكون مش عارف تصحى.. مالك يا حبيبي.. انت عينيك كانت نص مفتوحة وكانت بيضا.. كان زي ما تكون لا قدر الله بتم.. بتعاني من حاجة.. في إيه يا عمرو انت مخبيه عليا؟

كانت تبدو مذعورة مما رأته ولكني لم أسمع.. كل ما فعلته هو الصراخ بعد أن استعدت صورة (جميلة) وذلك الحقير يقبلها ويترع عنها ملابسها.. الصراخ بأعلى صوت تسمح به أحبالي الصوتية، ومن ثم الكلام والصراخ بآن واحد..

- ابعدي عني.. كلكوا ابعدوا عني.. سيبوني ف حالي.. عايزين مني إيه؟

لم أعرف من أكلم تحديدًا، لكني تابعت:

- امشي دلوقتي.. امشي..

الصراخ مرة أخرى.. ومن ثم مسك أي شيء تجده يدي وقذفه، وكأن لسان حالي يقول إن لي وجودًا ماديًا.. تركتني أمي مذعورة، والدموع بعينيها، وظللتُ أنا أتخبط وأقذف أي شيء، حتى ذلك اللوح الزجاجي الذي رأيت به انعكاس صورتي.. مسكته وخلعته من مكانه وقذفته على الحائط.. ليتناثر الزجاج بكل مكان.. ولأنزل بركبتي راكعًا على الأرض بعد أن تناثرت الشظايا بالغرفة كلها وأصابني بعضها.. وظللت أرتعش على الأرض وأبكي.. صارخًا بصوت مكتوم تلك المرة:

- ليه؟

واضعًا يدي على وجهي لتختلط الدموع بالدماء.

***

18

الإتباع

"عارف.. انت اللي شايف الطرق اللي قدامك.. وانت اللي عارف كل طريق بيودي فين"

***

جالسًا بمكاني تاركًا الدماء تسيل والوقت ينزف.. وَجدتُ أمي عادتْ بعد قليل، نظرتْ لي من عند مدخل غرفتي، وعندما وجدتني هدأت تركتني منصرفة في حزن.. كنتُ مصدومًا، وكانت صورها لا تفارق خيالي وواقعي.. نظرت إلى الفراش العديد من المرات.. لا أعرف ماذا سوف أفعل؟ أريد أحدًا ما بجانبي ويعلم ماذا يحدث لي.. ولا يوجد أحد بهذه المواصفات الآن عدا (بلايس).. هو وحده من أستطيع التحدث إليه الآن.. وهو من يستطيع أن يجاوبني.. ويشرح لي.. كيف أراه؟ هذا الفراش هو الطريق إليه.. وقفت بمكاني أخيرًا..

ضغط على الزجاج المتناثر بجميع أنحاء الغرفة بقدمي، واتبعت خطواتي إلى خارج الغرفة حيث أمي، وقفت بجانبها وقلت آسفًا:

- ماعرفش عملت كده ليه.. أنا ماكنتش ف وعيي!

كانت تضع طعام الغداء ورأيت دمعة بعينيها، لكنها قالت وهي تعطني ظهرها:

- مش أول مرة يا عمرو.. عادي يا حبيبي.. أقعد كُل..

ومن ثم خرجتْ - على ما أظن - لتنظف فوضى الغرفة.. جلست أمام الطعام وشردت.. لا أستطيع التفكير، وهذا أكثر ما يضايقني أني لا أفهم ماذا يحدث.. أشعر بالإرهاق الشديد والأرق مع أني أنام كثيرًا مؤخرًا.. جاء أخي بعد قليل.. سمعت دقات جرس الباب.. وسمعت خطوات أمي لتفتح له.. جلسنا أمام الطعام جميعًا.. بدآ هما بتناول الطعام وبدأت أنا التمثيل بتناوله.. كانا يتكلمان عن وصول أبي بالغد، لكن عقلي كان بعيدًا.. كان يحاول أن يدرك شيئًا.. أو أن يمسك خيطًا.. وينفض الشلل عنه وعني.. مَرَّ الوقت بطيئًا أو هكذا ظننت.. حتى نظرت إلى ساعة الحائط.. وبعدها قضيت وقتًا قليلًا بالشرفة محاولًا التفكير.. كان تفكيري يدور بدائرة حول نقطة واحدة فقط إلا وهي النوم.. الخروج من الجسد.. مقابلة (بلايس) .. (جميلة) وذلك المشهد وتلك الصورة.. التي أحاول جاهدًا إبعادها عن عقلي.. وذلك الفتى الكريه.. ذلك الفتى.. أحسست بدقات قلبي تزداد، وبالدماء تزداد سرعتها داخل عروقي، وبدأ الغضب يتملكني.. كان الحل الوحيد أمامي هو النوم.. كانت

الشمس قد قررت الذهاب، وكان الليل لا يزال وليدًا، واتخذت قراري.. كانت أمي حزينة لحالي.. ولكنها سعيدة أن أبي سيعود غدًا، وكانت تجلس مع أخي يشاهدان التلفاز، وعندما دلفت من الشرفة، قالت لي:

– تعالى إتفرج على المسرحية دي حلوة قوي..

لكني رددت محاولًا الابتسام:

– تعبان شوية.. وعايز أنام..

وبغرفتي أغلقت الأنوار، ونظرت إلى الفراش، واتخذت وضع الموتى داخل التابوت.. عالمًا أنه ربما تكون هذه المرة الأخيرة التي أغلق بها عيني عن هذا العالم..

ظللت أنظر إلى نفسي قليلًا بعد أن خرجت عن جسدي، أنا نائم ولكني أشعر بي.. غريب هو هذا الوضع.. كنت أسمع صوت التلفاز من الخارج، لكني لم أخرج لأرى أمي وأخي، فقط انطلقت بأقصى سرعة تلك المرة.. عندما شعرت بطاقة (بلايس)، ذاهبًا إليه لأعلم..

حلقت فوق الناس والسيارات إلى حيث طاقته.. ربما تلك هي المرة الوحيدة التي لا أحاول أن أذهب بها إلى (جميلة) أو أحاول الذهاب.. ربما لأني على علم أنها مع هذا الفتى، ولأني لا أستطيع أن أراها معه وأريد لكل هذا أن ينتهي.. أريد أن أضع نهاية..

كان يقف معطيًا ظهره إياي، واضعًا يده بجيب بنطاله، متأملًا العالم بعينيه السوداوين.. وقفت خلفه وتكلم هو أول ما لامست سطح المنزل:

- مارحتش ليه لجميلة.. مع إني ماحاولتش أمنعك المرة اللي فاتت.

فكرت في رد، لكن لم يكن لدي الإجابة..

- عشان تعرف أنا كنت ليه بمنعك إنك تشوفها!

شعرت أنه يبتسم وهو يكمل:

- بس قلت أسيبك مرة تجرب.. أنا عايز الأحسن ليك!

التفت لي مكملًا وأنا أسمع كلامه دون أن ينطقه.. من فمه الذي ليس له وجود:

- أنا ماوضحتش لك بالظبط أنا ليه طلبت منك.. إنك تقتل وتزني عشان تبقى مع جميلة

التفت لي وبدأ الاقتراب مني بخطوات بطيئة، وأنا أتموج، ويكمل:

- العالم اللي انت فيه دلوقتي ده.. هو هو العالم اللي انت فيه أول ما هتفتح عينيك.. لكن.. زي ما شوفت مع جميلة.. إحنا مالناش وجود.. عشان يبقى ليك وجود مادي هنا.. وتقدر توقع الكرسي زي ما وقعته قبل كده..

صمت قليلًا وثبت قليلًا ومن ثم اتخذ خطوة أخرى ناحيتي مكملًا:

- لازم تولد طاقة.. عشان كل حاجة هنا طاقة.. وساعتها هيبقى ليك وجود.. لكن طاقة كافية إنك تقدر تخترق السبع أبعاد عشان

توصل للبعد المادي.. وعشان تولد أكبر طاقة هنا.. لازم تقتل وتزني ف العالم التاني.. ساعتها الطاقة هتتجمع حواليك..

خطوة أخرى..

– بس انت هربت المرة اللي كلمتك.. وبسرعة قبل ما أكملك..

خطوة أخرى..

– والمرة اللي فاتت أديك كنت مع جميلة.. بس عاجز.. وواحد تاني بياخدها منك..

خطوة أخرى..

– كل الناس دي ماتستهلش إنها تعيش.. وأديك شوفت.. كل تفكيرهم الجنس.. الفلوس.. أذية الناس.. شهواتهم بس.. هي اللي بتتحكم فيهم.. حيوانات..

خطوة أخرى..

– وأديك شوفت بعينيك إزاي الولد ده.. ضحك على جميلة وأخد عذريتها.. أو يمكن دي مش أول مرة!

أتموج أكثر.. ويتقدم هو خطوة أخرى..

– وأديك شوفت الناس دي.. قد إيه قذرة ماتستهلش إنها تعيش..

صمت قليلًا.. نظر إلى الأعلى وأكمل:

- ممكن أسيبك تشوف أكتر.. بس ضريبة العالم اللي انت دخلته.. كل ما تشوف أكتر.. طاقتك هتقل.. وتقل.. ولما تخلص.. تموت..

خطوة أخرى..

- لو ماوافقتش إنك تعمل كده.. غيرك هيوافق.. وهيعمل كده معاك..

خطوات سريعة ليقترب مني أكثر فأكثر..

- بس أنا مش هقدر أعمل كده عشان انت صاحبي الوحيد.. وأنا عايز أساعدك.. ولازم أساعدك.. انت عايز جميلة.. وعشان تبقى معاها لازم تولد طاقة.. وعشان تولد طاقة.. لازم تقتل وتزني.. بشر.. انت عارف إنهم قتلوا وزنوا.. قتلوا كرامة ناس تانية.. وزنوا بمشاعرهم.. قتلوا بعض وبقو عايشين وهما ميتين.. كل البشر دول هيزنوا مع أول فرصة تجيلهم يعملوا كده.. بشر قذرة.. وانت الوحيد اللي هتبقى نضيف.. يرضيك تموت نفسك.. عشان مش عايز تقتل حد.. قذر..

خطوات وخطوات.. حتى صار أمامي.. وأنا أتموج أكثر.. ينظر لي بعينيه السوداوين اللتين.. لا يوجد بوجهه غيرهما، فقط وجه بلا ملامح تمامًا، وكأني أول مرة أراه، وكأنها صفحة خالية بها عينان فقط.. العينان تتخللانني تجعلانني أتموج أكثر.. ليكمل هو بصوته الذي بدا هذه المرة غريبًا:

- أنا معاك.. مش هسيبك لوحدك.. ابدأ.. هديك القدرة وطاقة إنك تفصل جسمك الأثيري وانت صاحي عشان تقتل بيه.. ده كل اللي أقدر أعمله معاك.. ودي مساعدة كبيرة.. وطاقة كبيرة.. بس عشان أعمل كده.. لازم انت كمان تولد طاقة كبيرة.. وكل ما كان القتل بعنف ولحد صغير ف السن.. عشان تنقذه قبل ما يكبر ويتحول زيهم.. كل ما هتكون الطاقة أكبر ونقية.. وكل ما كان الزنا بوحشية أكتر.. لبنت عذراء.. طاقة أكبر.. وافتكر.. جميلة ف الأخر..

ومن ثم أخرج يده من جيبه ووضعهما على كتفي، وتخللني.

***

فتحتُ عينيّ دون المرور بشلل النوم ونور الصباح يدخل من النافذة وزقزقة الطيور بالعالم الخارجي.. العالم القاسي المضاد للرحمة.. سريعًا كنت بالخارج.. أمشي، أنظر للوجوه أحيانًا، ولا أرى بالأحيان الأخرى.. أمشي.. فقط أمشي.. وإلى أين لا أعلم.. كنت أضع يدي بجيب بنطالي شاعرًا باللامبالاة.. أرتدي القبعة التي أحبها وينسدل شعري الطويل من أسفلها على عيني اليسرى مخبئًا إياها.. ظللت أمشي من شارع إلى آخر.. وتتبدل الوجوه إلى أخرى.. أطفال ونساء وشيوخ وشباب.. عليّ أن أقتل أحدهم.. لا أعلم من أين علمت أنه يجب عليّ حتى أحصل على مزيد من الطاقة أن أقتل إنسان بريئًا.. إنسانًا نقيًّا.. لأن الأشرار بتلك الدنيا ليست لديهم تلك الطاقة.. لا أعلم من أين علمت هذا، ربما أخبرني (بلايس)..

لقد أخبرني (بلايس) أشياء عديدة.. لا أتذكرها.. ولكنني أعلم ما يجب أن أفعله حتى أحصل على الجائزة (جميلة).. لقد أخبرني (بلايس) أنه سيساعدني، ولكني لا أتذكر كيف؟ الوقت يمر سريعًا كالضوء وعقلي مشوش.. والصداع برأسي يقتلني.. وقدماي لا تملان من المشي.. والوجوه لا تتوقف.. وجوه بكل مكان أنظر.. وتلك الظلال أشعر أنها تتبعني.. أشعر أنها خلفي.. بجانبي.. فوق مني.. وأسفلي.. لكني لا أستطيع النظر إليها.. كل ما يسيطر على عقلي الآن هو القتل.. سأقتل أحدهم الآن.. سأحصد روحًا لأحصل على تلك الطاقة.. لأثبت له أني لست بجبان.. أنا لست جبانًا..

الليل.. حل الليل سريعًا وما زلت أمشي، لم أعد أعلم أين أنا، لكن الوجوه قلت، وتشوُّش عقلي ازداد..

شارع ضيق مظلم.. المصباح الوحيد يلقي إضاءة خافتة بمنتصفه.. دلفت إليه.. ودلف من الجانب الآخر شخص ما.. شعرت برجفة.. وخطواته تتزايد.. تذكرت – عندما رأيت أنه صبي – أنا أستطيع فصل جسدي الأثيري.. (بلايس) قال لي هذا.. أنا أستطيع فصله.. توتر الصبي أكثر بخطواته يقترب ناحيتي.. اختفيت أنا عن نظره.. أختبأتُ خلف السيارة النائمة.. الرجفة تزداد.. أصوات خطواته المتوترة.. خرج جسدي الأثيري عن جسدي الفعلي وأنا مستيقظ وفاتح عينيّ.. لأراه لأول مرة وليس العكس..

ظل مجسم بالهواء.. تركني ومشى بخطوات بطيئة ناحيته.. نظرت له من خلف السيارة.. كنت أعلم ما سوف أفعل.. لأني كنت أفعله..

كان الصبي لا يرى الظل.. اقتربت منه بجسمي الأثيري.. كان سعيدًا.. وخطواته لم تكن المتوترة كما ظننت بل مفعمة بالحياة.. كنت أستطيع التحرك بجسمي الحقيقي أيضًا.. لكني ظللت أراقب فقط من خلف السيارة.. توقفت وتركته هو يقترب.. خطوة تلو الأخرى حتى أصبح أمامي.. هل لي من وجود مادي؟ مددت يدي لأمسك رقبته.. لأجده يتوقف والألم يرتسم على وجهه..

جحظت عيناه وهما تحاولان النظر يمينًا ويسارًا.. ولكنه لا يعرف ماذا يحدث له.. كان يريد أن يصرخ.. لكنه لم يستطع.. شعرت أني أتحكم بهذا أيضًا..وكأننا صرنا نفس الشخص..شعرت بقوة شديدة..قذفته إلى الخلف ليقع عند مصدر الإضاءة الوحيد بالشارع.. ومن ثم طرت إليه مسرعًا.. لتتضح ملامحه المألوفة.. وأجده ينظر لي بعينيه العسليتين الصافيتين العاكستين للإضاءة.. مسكته من رقبته.. وارتفعت عن الأرض محلقًا به إلى الأعلى.. وبجسدي الفعلي وقفت على قدمي..وأعطيت المشهد ظهري.. وظللت أحلق بجسمي الأثيري للأعلى ممسكًا إياه.. وأنا أخطو إلى خارج هذا الشارع بجسدي الفعلي.. وعندما وصلت إلى نهايته وخرجت منه.. أفلت الصبي تاركًا إيّاه بالهواء.. لأسمع صوت صراخه الذي لم أستطع منعه.. ومن ثم صوت ارتطام مكتوم بالأرض.. ولأحلق بجسدي الأثيري سعيدًا مع جسدي الفعلي.. لقد قتلت.. أنا لست جبانًا.. سأكون مع (جميلة) لقد حصلت على الطاقة.. حلقت ومشيت.. رأيت الناس من الأعلى ومن الأسفل.. كنت متجهًا إلى منزلي.. كنت أشعر بالقوة الشديدة.. جعلت جسدي الأثيري يحلق بجانبي.. يمرح بين الحين والآخر بأن له

وجودًا ماديًّا.. كنت لا أشعر أني قتلت منذ ثوانٍ.. كنت أمرح بجعل جسدي الأثيري يخطف أشياء من الناس ويحلق بها ومن ثم يتركها تقع.. وصلت إلى المترل سريعًا وأمام المرآة توقفت.. أنظر إلى نفسي وأنا أتموج وبجانبي جسدي الأثيري.. نقف جنبًا إلى جنب.. ولكني أتموج بالمرآة.. وليس بالواقع.. وعندما رفعت شعري عن عيني اليسرى وجدت أنها سوداء.. سوداء تمامًا.. حتى قاعها الأبيض أسود.. وما زلت أتموج.. هل هذا دليل على القوة؟ (بلايس) قوي.. وربما سواد العين هذا دليل على هذه القوة.. لكن تلك اللامبالاة التامة.. أنا لا أبالي.. دخلت إلى الفراش وارتميت عليه باعثًا جسدي الأثيري إلى العالم الخارجي.. قبل أن أغلق عينيّ لأنام.

19

اللعبة

"ذكرياااات.. مالهاش وجود".

***

الضجيج بالخارج يؤرق نومي.. أصوات غير محددة مشوشة بعقلي.. على الأرجح هي أصوات أمي وأخي.. فتحت عينيّ وأنا أدرك ما فعلته البارحة وعقلي يعيد لي التفاصيل دون قدرة مني على إيقافه.. جلست على الفراش تائهًا، والعديد من الأحاسيس داخلي.. العديد من الأفكار المشوشة التي تأتي لعقلي لا أعلم من أين؟ وعندما أحاول أن أعلم بماذا كنت أفكر.. تذهب الفكرة دون أن أعلم.. ماذا كنت أعلم؟ أحسست كالمجنون الذي يدرك أنه مجنون.. العاقل الذي يدرك أن عقله يذهب.. إحساس كريه كئيب، لكني لا أستطيع السيطرة عليه.

مرّ الوقت ولا يزال الضجيج بالخارج، كلام لا أستطيع تمييزه.. وهلاوس بداخلي لا أستطيع منعها.. كان شعورا غامضًا كالموت.. وكنت تائهًا به كفأر تجارب بالمتاهة.. لقد قتلت.. أحسست رعشة بجسدي.. لا أصدق.. مستحيل أن أفعل شيئًا كهذا.. أحقًّا فعلت.. هل قتلتُ طفلًا؟

هل يعود الزمان للخلف؟

لكني سأكون مع (جميلة) الآن.. لن أتراجع الآن.. لقد تبقت خطوة.. خطوة أسهل..ولدي القوة..أحسست بالطاقة تحيط بجسدي..طاقة جسدي الأثيري الذي أستطيع فصله..بدأ عقلي يصفو.. وبدأت أميز الأصوات.. إنه حقًّا صوت أمي وأخي.. وأبي أيضًا.. لقد نسيت ميعاد رجوعه من السفر.. نفضت الغطاء عني.. ودلفت إلى دورة المياه؛ لأضع رأسي تحت الصنبور تاركًا المياه الباردة تغرقني.. ومن ثم بدأ إحساس غريب يتملكني.. إحساس بأني أريد العودة للماضي لتغيير ما فعلته.. وأريد الذهاب للمستقبل للعيش مع (جميلة).. لكني حقًا لا أتذكر البارحة بتفاصيلها، أتذكر أني قتلت هذا الطفل.. فصل جسدي الأثيري.. وأشعر أني لم أكن أتحكم بنفسي.. هل زارني جنون مؤقت جعلني أفعل هذا.. إحساس بالألم.. ألم بلا موضع.. ألم يجعلني لا أرغب بالحياة.. فقط أريد أن أذهب لأستلقي على الفراش.. أغلقت الصنبور ونظرت لنفسي بالمرآة.. عيناي مليئتان بخطوط حمراء.. وهناك سواد أسفل عيني غريب.. وجهي يبدو

عليه الألم والإرهاق إلى أقصى درجة ممكنة.. لكن عيني ليست سوداء مثلما كانت البارحة.. لماذا تبدو أحداث البارحة مشوشة لهذه الدرجة؟ هل كانت البارحة حقًّا سوداء؟ أم أن ازدياد الطاقة جعلني أتخيل أشياء..رأسي على وشك الانفجار..اتبعت خطواتي التي أخذتني إلى حيث الأصوات بالخارج.. حاولت الابتسام عندما صمتوا أول ما رأوني لكني لم أستطع.. سلمت على أبي بوجه خالٍ من المشاعر.. وجلست معهم شارد الذهن.. كانت جميع إجاباتي روتينية.. وكانت أسئلته كذلك.. لكني نظرت إلى ساعة الحائط المعلقة.. وقلت لهم إن عليّ الذهاب إلى الجامعة لأحضر محاضرة مهمة.. ومن ثم ارتديت ملابسي سريعًا بغرفتي.. وسلمت عليهم مرة أخرى.. وذهبت بطريقي لاصطياد الضحية.. التي ستجعلني أكون مع (جميلة).

لم أفكر في فصل جسدي الأثيري.. لم أفكر في شيء.. كان عقلي يعيد لي مشهد البارحة مرارًا وتكرارًا.. لم أفكر إلى أين أنا ذاهب.. لو كان اليوم طبيعيًّا مثل باقي الأيام لكنت ذهبت إلى الجامعة لأرى (جميلة).. لكن لا أريد أن أراها الآن.. أريد أن أكون معها.. واليوم سأعمل ما عليّ أن أفعله حتى أحقق هذا.. سأترك قدمي تقودني مثل البارحة لأنهي اليوم بضحية.. ضحية أخرى.. جريمة أخرى.. أنا مرتكبها.. لكني سأنسى هذا عندما أحصل على (جميلة).. بدأ عقلي يعيد لي مشهد البارحة مرة أخرى وأنا أخرج إلى نور الشمس.. وكأن العالم أصبح خاليًا من الذكور.. كان معظم ما رأيته بطريقي

إناثًا.. فتيات سأختار واحدة منهن كي أحصل على (جميلة) .. جاء بعقلي أنه لو كان أحد آخر بمكاني كان على الأرجح سيختار السفر عبر القارات بجسمه الأثيري وممارسة الجنس مع إحدى شهيرات هوليوود.. لكني سأفعل هذا فقط لأحصل على الطاقة كما قال (بلايس) وبالتبعية أحصل على (جميلة).. هي من أحب.. وهي الوحيدة من أريد..

لكن.. هل سأفعل هذا بجسدي الفعلي أم الأثيري؟!

رن هاتفي المحمول غير المحمل بالعديد من الأسماء.. أخرجته من جيب بنطالي الأيمن لأجد اسم (حسام) وصورة لوجهه وهو يتبسم.. كنت قد نسيت العالم أجمع بتلك الأيام السابقة.. وكانت آخر مرة رأيت بها (حسام) منذ فترة ليست بالقليلة.. شعرت بواحد من الألف بالمائة من السعادة وأنا أسمع صوته وهو يقول بعد أن ضغط زر استقبال المكالمة:

– عموور واحشني قوي..

– وانت كمان والله.

تزايدت النسبة إلى اثنين من الألف بالمائة.. وكانت هذه أقصى نسبة للشعور بالسعادة أستطيع الإحساس بها الآن.

– أنا ف الكلية.. تعالى لي دلوقتي..

لم أجب، وجدت نفسي أشرد بعيدًا لسبب أجهله.

– إيه يا عمور.. روحت فين.. أنا مستنيك ها.. عشان عايز أشوفك.. لازم..

شعرت أن صوته تغير قليلًا، وأكمل ببحة:

- في موضوع كده عايزك فيه!

عدت من شرودي..

- ماشي.. وانت كمان واحشني وعايز أشوفك.. مسافة السكة وهبقى عندك

سأذهب للجامعة إذن، لاختيار الضحية، ربما هو القدر أن يكلمني (حسام) الآن.. بينما كنت تاركًا قدمي تقودني.. وجدت أني بطريق الجامعة.. فأكملت شاردًا.. كان حولي من كل حدب وصوب.. بناطيل ضيقة وبناطيل واسعة.. فساتين تتطاير.. وشعور تنسدل على الظهر والوجه.. لا يبدو كل هذا مغريًا بالنسبة لي.. أستطيع فصل جسدي الأثيري.. جاءت الكلمة بعقلي دون مقدمات.. فاستعدت ذكرى البارحة وبكاء الطفل بعد أن أسقطته من يدي وتركته بالهواء ليواجه الأرض.. لقد قتلتُ طفلًا.. وخطفتُ منه حياته.. لقد فعلت الأسوأ.. سأختار أي فتاة وأفترسها.. سيكون هذا سهلًا.. وصلت الجامعة سريعًا.. وعندما دلفت من البوابة وأمام مبنى الكلية القائم داخل الجامعة وجدت (حسام) يقف على الدرج مع بعض الوجوه المألوفة.. لمحني فتركهم وجاء لي مسرعًا.

- عموورر.

قالها بصوته الودود وهو يحضنني ويطبطب على ظهري:

- واحشني قووي.

كنت أحاول الابتسام.. ولكني لم أعرف.. كنت أحاول الكلام.. لم أستطع.. وكأن عقلي أصبح عاجزًا عن الحياة وعن لعب دوره.. عن أن يفكر في أي شيء.. وكأن جسمي أنساق معه وأطاعه..

– انت كمان..

قلتها بصوت متحشرج.. ولو كان من أسلم عليه هو شخص لا أعرفه.. وكانت هذه أول مرة يراني بها.. كان سيعلم أن هناك خطبًا ما.. فما بالك (بحسام) صديق الطفولة.

نظر لي، وقال وهو يعدل من وضع نظارته:

– مالك يا عمرو؟ صوتك ف التليفون ماكنش طبيعي.. ودلوقتي بص لنفسك عامل إزاي!

– مفيش.

الكذب آلة النجاة اللحظية.

– أبويا بس رجع من السفر تعبان شوية فقلقان عليه.

تغير وجهه، وقال:

– سلامته.. إن شاء الله مفيش حاجة.. وهيبقى كويس.. ده تلاقي بس التعب من الرحلة وكده..

– ممكن..

كان يبدو على (حسام) أنه يعاني أيضًا شيئًا ما.. لكن عندما رآني حزينًا لم يقل ما أراد أن يقوله..

- إيه الموضوع اللي قلت لي عليه ف التليفون؟

تغير وجهه مرة أخرى.. وسكت قليلًا.. لكن عندما وجدني لن أكرر السؤال وشردت بعيدًا.. أجاب:

- أنا وقعت ف الحب.

نظرت له بعيني المرهقتين.. قلت محاولًا أن أبدو مستغربًا:

- الحب!

كان يبدو أنه يريد الكلام والحكي.. لكن حالتي لا تساعده على هذا.. فوجدته يتكلم عندما علم أني لن أوقفه:

- مش من فترة كبيرة.. الموضوع الأول كان إعجاب بس.. اسمها أمنية.. قعدت مرة جنبها ف محاضرة وقت الأيام اللي انت كنت بتيجي فيها ومش بتحضر..بقى بينا سلام كده كل أما أشوفها.. لكن الصراحة أنا ماذودتش عن كده.. أنا عارف إني غبي.. بس ماكنتش بعرف أتكلم معاها ف إيه.. كان بعد الكلام عن الكلية وكده بلاقي إني واقف ساكت.. ببص ف عينيها بس..

كان يبدو كلامه قريبًا لبداية حكاية شخص أعرفه..وجدته صمت قليلًا، ومن ثم أكمل في ألم:

- أنا غبي يا عمرو.. بس هي برضه ماكنتش بتديني فرصة.. إمبارح لما شوفتها ورحت سلمت عليها.. بصيت في الأرض.. ولقيت نفسي مرة واحدة..

هذا الكلام يؤلمني لا تقل لي أنك قلت لها تلك الكلمة الكئيبة.. لا تقل هذا أرجوك..

- لقيت نفسي بقول لها.. بحبك..

كان تأثير الكلمة عليّ كمرور تيارات من الألم أرجعتني للماضي.. فلم أسمع باق الكلام.. (حسام) لماذا يجرحوننا دائمًا.. لماذا؟ لماذا الألم؟ لماذا؟. لماذا؟ شعرت بالغضب.. بالقوة.. برعشة بجسدي.. جسدي الأثيري يريد الخروج.. يريد الانتقام والعبث واللعب معهم وتعليم قلوب البشر المتحجرة درسًا لن ينسوه بتفتيتها.. عاد لي سمعي بعد برهة من الوقت.. لأسمع ختام كلام (حسام):

- أنا كنت عارف إن هي ماحبتنيش.. بس ماقدرتش ماقلهاش..

عيناي لا تطرفان.. أشعر بالغضب الشديد.. كبركان يريد أن يلفظ جمراته.. أريد أن أدمر كل شيء من حولي..

- بس مش عارف أعمل إيه دلوقتي.. عايز أكون معاها.. نفسي أكون معاها.. بس ماينفعش.. دلوقتي حتى ماينفعش أروح أسلم عليها زي زمان.. ولا ينفع أكلمها.. هو ينفع أكلمها عشان ردها كان خلينا صحاب وإخوات أحسن.. بس قصة الارتباط مش بتفكر فيها.. بس أنا كل ما أقرب منها..

كفى كلامًا.. كفى ألمًا..

- كل ما أقرب منها بحس بوجع جوايا.. بحس بحاجة بتمنعني إني أقرب لها تاني.. وكإنها خلاص بقت متحرمة عليا..

(متحرمة عليا.. متحرمة عليا.. متحرمة عليا..)

ابتسمت.. ومن ثم ضحكت بهستيريا..

(متحرمة.. متحرمة..)

لم أنظر إلى (حسام) الصامت بعد أن انتهيت من الضحك.. أعرف كيف سيبدو وجهه.. ولا أحب هذا التعبير عليه.. ولا أعرف لماذا ضحكت من الأصل لأبرر له!

– هو انت بتضحك ليه؟

وجدت نفسي أشرد بعيدًا مرة أخرى.. والرعشة تزداد بجسدي..

– صدقني والله يا حسام.. مش عارف.. هي فين البنت دي؟

عاد صوت (حسام) إلى طبيعته نوعًا ما، وهو يقول:

– مش عارف هي لسه ماجت..

وجدته صمت قليلًا، لم أنظر إليه لكني شعرت أنه يراقب هذه الفتاة التي تمر أمامنا الآن.. أشعر بذلك في الهواء.. أشعر أنه يراقبها.. هذه هي..

– هي دي..

قالها بصوت منخفض حتى لا تسمعنا.. مع أنها ابتعدت.. كانت الفتاة جميلة لن أنكر هذا.. ينسدل شعرها الناعم على ظهرها وهناك ضفيرتان رفيعتان تتخللانه، كانت تبدو كفتاة صغيرة بطريقة مشيها ببطء مع صديقتها، ضامة كتبها بكلتا يديها إلى صدرها.. نظرت إلى

(حسام)، كان يراقبها مأخوذًا.. فراقبته أنا بمأخوذ والرعشة حول جسدي تزداد.. تركته ونظرات التعجب بعينيه وأنا أبتعد.. مفكرًا في أنه قد حان وقت اللعب، وكمن يفتح أبواب القفص للأسد.. تركت جسدي الأثيري ينفصل عني.. ألم.. ألم برأسي.. كانت المهمة التي وكلتها له بسيطة.. لكن ذلك الألم جعلها أصبحت صعبة إلى حد ما.. لكني جعلته يحلق سريعًا ويدفعها دفعة خفيفة من الخلف لتقع، ولأشعر أنا بازدياد الألم برأسي وكأن فرقة روك تعزف بداخله.. لكن عاد جسدي الأثيري لي وتداركت نفسي سريعًا.. واختفى الألم تدريجيًّا وأنا أهرول نحوها.. كانت الوقعة مؤلمة وكانت صديقتها تحاول أن تسندها لكي تقف، وكان (حسام) ثابتًا بمكانه.. أصبحت أنا أمامها.. واقفًا أمامها مادًّا يدي لها.. ولا أعرف لماذا قلت تلك الكلمة:

– ما يقع إلا الشاطر.

احتلت الفرحة عينيها وهي تقول لي:

– عمرو.

أليست تلك هي ذاتها الفتاة المألوفة التي كانت تنظر لي بشماتة عندما كنت أريد أن أتكلم مع (جميلة)، وقت ما كنت سأعارك ذلك الفتى البغيض؟! هل قال لها (حسام) اسمي؟

– انتِ كويسة؟

وضعت يدها داخل يدي، ولم أسمع ردها، أحسست بالألم.. لا أعرف هل خرج صوت صراخي إلى العالم الحقيقي، ولكنه كان مرتفعًا إلى درجة الصمم داخلي.. أحسست أن عقلي يتفتت إلى أجزاء

صغيرة.. أحسست أني تائه.. لا أعلم من أنا ولا لماذا جئتُ هنا.. وماذا أفعل؟ لا أعلم هل أنا موجود بهذا الوجود أم لا؟ شعرت أني أتلاشى وأرى صورًا ومشاهد كثيرة متداخلة، لا أستطيع تحديدها، وذهب كل شيء سريعًا..كأن لم يكن له وجود.. وفتحت عينيّ لأجد أني على الأرض و(حسام) بجانبي يسألني إن كنت بخير ويسألها كذلك.. ما اسمها؟ لقد قاله لي (حسام)..

(أمنية) واضعة يدها على فمها وكأنها مصدومة، ونظرة الخوف في عينها، أنا أكره هذه الفتاة.. أكرهها..

– مفيش حاجة!

وقفت على قدميّ غير ملتفت إلى أي أحد.. سمعت (حسام) يقول لأمنية:

– عاملة إيه؟

ردت عليه بعد أن أزاحت يدها عن فمها:

– هو ماله؟

شردت مجددًا.. واللامبالاة مجددًا.. والرعشة مجددًا.. لقد مللتُ كل هذا.

– أنا كويس..

قلتها وأنا أوجه نظري إلى البوابة.

- بس لازم أمشي.. عشان أبويا تعبان يا حسام.. ما انت عارف..

الكذب آلة النجاة المؤقتة الفعالة.. سلمت على (حسام) بنظرة، قائلًا له:

- هكلمك..

ومن ثم نظرت لها، وابتسمت ابتسامة صغيرة، ووضعت يدي بجيبي، وغادرت بخطوات بطيئة.. لا أعلم إلى أين؟!

لكني كنت مرهقًا من كل شيء يحدث.. إرهاق يحتل كل ذرة من ذرات جسدي مكونًا خلايا من الألم.. وكان كل ما أريد.. أن أنهي كل هذا.

***

20

الطفل

"مش مهم نظرة الناس ليك.. مش مهم رأيهم.. وجحا وحماره أكبر مثال.. لو حاولت ترضي الناس مش هترضي حد.. المهم إنك انت تبقى راضي.. المهم انت شايف نفسك إزاي.. وزى ما انت هتشوف نفسك هما كمان هيشوفك".

***

"أأأأأخ"

كان هذا تثاؤبًا بعد أن ابتلعت قرصًا من أصل اثنين آخذهما يوميًّا لعلاج الربو، أخذت بنطالي وقميصي وذهبت إلى غرفتي لأبدل ملابسي.. رأيت أخي النائم فحسدته على النوم وتمنيت أن أكون مكانه.. زاد الأمر صعوبة عندما لامست غطاء الشتاء ذي الشعر الناعم وأحسست بدفء فراشي.. كان النوم يخدرني.. يتسلل بجسدي

ببطء ويثقل جفوني.. أنا لا أحب النوم؛ لأنني أظن أني معظم الوقت أحلم أحلامًا مزعجة لا أتذكرها، وأحيانًا أخرى أظن أني لا أحلم على الإطلاق.. مع علمي أن هذا غير صحيح، لكني أستيقظ في كلتا الحالتين إما شاعرًا بالحزن من شيء لا أدري كنهه أو مرهقًا وأريد النوم مرة أخرى، ولكني لا أستطيع النوم ولا الاستيقاظ..

أنا لا أحب الحياة أيضًا.. أكره مدرستي.. لا أحب هؤلاء الأطفال الأغبياء.. لا أحب الحياة ومؤخرًا سرت أكرهها.. أشعر أني مريض، لكني لا أعرف ما الداء.. أحيانًا أشعر طيلة اليوم بهلوسة داخل عقلي.. أفكر بأشياء لا أريد أن أفكر بها.. حتى يأتي الصداع البغيض ليقطن بجمجمتي.. أحيانًا أشعر أني أفقد عقلي..

كنتُ قد انتهيت من ارتداء ملابسي بعد أن حاربت النوم.. وكانت أمي نائمة لم أرد أن أزعجها.. فأنا أذهب وحدي للمدرسة القريبة من المنزل على أية حال.. ولا أريد أن أوقظها حتى لا تعد لي السندوتشات، لا أشعر برغبة في الأكل ومع ذلك وزني يزيد، وهذا الموضوع يضايقني.. فصرت لا آكل إلا عندما تجبرني أمي.. لكن هذا العلاج الغبي يزيد من وزني.. تلك الحبة الصغيرة البيضاء التي تعطي طعمًا كريهًا بفمي قبل أن يغرقها الفيضان الصادر من كوب المياه لتغرق بمعدتي..

تبًا.. هذا البنطال الذي أحبه أصبح ضيقًا.. وغير مريح مع المشي.. لكم أكره هذا كانت تمطر.. اكتشفت هذا عندما أصبحت

بالشارع متخذًا الطريق اليومي إلى حيث مدرستي.. كانت الأمطار خفيفة.. لكني لم أمشِ على جانب الطريق.. مشيت بمنتصف الشارع.. تاركًا النقط تلامس شعري ووجهي.. فأنا أحب المطر وأحب رائحته.. فازداد وكأنه سمعني.. فأبطأت من مشيتي محاولًا الاستمتاع بالموقف.. كان بعض الناس يهرولون على الرصيف.. وبعضهم يمشي بخطوات سريعة رافعًا مظلة.. والبعض اختار نقطة لا تصل إليها الأمطار وتوقف.. لكني ظللت أمشي..

المدرسة الإعدادية.. عالم كريه.. إحساس بالاشمئزاز كلما دخلت إليه.. لكم أتمنى أن تنتهي تلك المرحلة! فقط أريد أن أغمض عينيّ وأفتحهما لأجد كل شيء لا أحبه انتهى وزال..

الشيء الوحيد الذي أحبه هو (هي).. و(هي) لا أعرف اسمها ولا أعرف من هي؟! فأطلقت عليها اسم (جميلة) ولا أعرف لماذا اخترت هذا الاسم من وسط ملايين الأسماء الخيالية التي أستطيع أن أطلقها عليها..

(هي) أو (جميلة) كما سميتها.. ترتاد المدرسة المجاورة لمدرستي وميعاد خروجنا وانتهاء الحصص الدراسية هو نفسه.. وأحيانًا أنتظرها قليلًا.. أراها كل يوم عدا الإجازات.. أمشي خلفها كل يوم حتى تذهب إلى هذا الشارع الذي يبعدني كثيرًا عن بيتي فأستعيد طريقي بعد أن تصل هي لبيتها.. أفعل هذا كل يوم..

(هي) لا تعرفني.. لا تعرف أني أذهب خلفها؛ لأكون بجانبها وقريبًا منها.. حتى البارحة فقط كنت لا أعلم لماذا أفعل هذا؟ لماذا

أمشي خلف فتاة لا تعرفني بل وأعطيها اسمًا وهميًا؟! لكني عرفت الإجابة البارحة ليلًا.. حيث إن السؤال لم يغادر عقلي ومنع عنه النوم، حتى أعطاه عقلي الإجابة ليستريح.. فعرف أنه صادق ورحل..

لأني وحيدا!

لأنه ما من أحد يعطيني الحب والشعور بالحنان والأمان.. أنا بلا أصدقاء تقريبًا.. أمي لا تظهر لي حبها إطلاقًا.. أخي بعالم آخر.. أبي خارج البلاد.. اكتشفتُ أني وحدي بعالمي هذا.. فاحتجت هذا الشعور.. فأعطيته نفسي من خلالها.. هكذا كانت إجابة عقلي..

أنا أحب معظم الناس.. حتى من لا أحبهم لا أكرههم.. لكن كل الناس يكرهونني ويريدون أذيتي.. وعندما أتذكر هذا الإحساس.. أشعر بموجة تمر بجسدي من الوحدة، وأفتقد كل شيء شعرت ناحيته بالحب وبادلني الشعور ولو لثانية..أتذكر (بلايس)..وسادتي الصغيرة.. أصدقاء حارتي القديمة.. (حسام).. أصدقائي بالابتدائي.. (أمنية) وقلمها الأصفر.. بعضهم لا يزال معي كوسادتي الصغيرة و(حسام) وقلم (أمنية)، والباقي سرقه الزمن كلص محترف.

ستبدأ الحصة الأولى الآن.. كنت قد وقفت بالطابور المدرسي وصعدنا إلى فصولنا لكني اكتشفت هذا الآن فقط.. ربما بسبب انشغالي مع نفسي للهروب من هذا العالم كعادتي، وربما بسبب روتينية الأمر؛ لأني أفعله كل يوم كإعادة لهدف ضائع لن تدخل به الكرة وتلامس الشباك بالإعادة أبدًا..

(جميلة) لن تحبني، أنا أعلم هذا، ولأن قلبي انتقى أجمل فتاة بالمدرسة المجاورة كي يوهم نفسه بالإحساس.. لكنه أصبح شيئًا روتينيًا أفعله.. لم أخبر به أحدًا.. حتى (حسام) المتغيب اليوم.. (البغل) أيضًا متغيب أتمنى فقط ألا يكون متأخرًا ويأتي..

بمجرد تذكره وجدت الباب يفتح ويدلف للفصل بعد أن مزح مع مدرس الحصة الأولى مزحة لم أسمعها.. هذا الفتى كريه كتلك المدرسة.. حاولت ألا أنظر ناحيته.. حاولت أن أكمل الحديث مع روحي أو أركز فيما يقوله مدرس الحصة.. لكن وجدتني أدفن رأسي وسط يدي.. وعيناي هما الظاهرتان كالحلزون.. وبسن قلمي أحفر في خشب الطاولة الجالس عليها.. أو أرسم رسومات غير جيدة وليس لها معنى، وبداخلي أمنية واحدة.

***

انتهى يومًا طويلًا ككابوس لا تستطيع الاستيقاظ منه وتتمنى فقط أن تفتح عينيك، حاولت أن أتأخر حتى يخرج جميع الطلاب..كان يومًا طويلًا ليس لمضايقات (البغل) فلحيرتي لم يضايقني على الإطلاق اليوم، وكأنني صرت خفيًا بالنسبة له.. سيكون شيئًا جيدًا لو حدث بالمناسبة.. لكنه كان طويلًا لأني كنت وحدي، وهذا جعلني أفكر في الغد.. هل ستكون كل أيامي طويلة بالغد مملة كذبابة تعود إليك كلما أبعدتها؟ هل سأموت وحيدًا؟ ربما لن أرى (حسام) مرة أخرى بعد انتهاء المدرسة الإعدادية، وستبلى وسادتي مع الوقت، وستكون الحياة مملة أكثر مما هي عليه الآن.. لكن يجب عليّ أن أمنع هذا

التفكير الذي يتملكني طوال الوقت.. فالآن سأرى (جميلة) وسأحصل على هذا الإحساس.. عندما أراها أتخيل أننا بفيلم سينمائي، هي أيضًا تحبني مثلما أحبها، لكنها لا تظهر هذا لأني لا أظهره.. لكن سيأتي اليوم عندما أصارحها وتصارحني و..

كان هناك من يجذبني من حقيبتي بالخلف.. جذبة قوية أوقعتني وقعة مؤلمة نفسيًّا على ظهري أرضًا.. ونظر لي (البغل) وهو يضحك.. ضحكًا هستيريًّا.. قمت واقفًا، وحاولت ألا أنظر إليه، واتخذت الطريق المعاكس لطريق عودتي إلى البيت ورؤيتي (لجميلة)؛ لأتفاده حاولت ألا أنظر إلى أحد..كنت أسمع بعض الكلام من الخلف لم أستطع تمييزه..وضحكه الذي ميزته..لكني أكملت بالطريق المعاكس.. أحسستُ بشكة داخل قلبي – لا أعرف مصدرها – جعلتني ألتفتُ إلى الخلف وأراها.. ميزتها من وسط الكثير من بنات مدرستها.. ولكني رأيته أيضًا.. كان لا يزال واقفًا منشغلًا مع أصدقائه بالضحك، لكني التفتُّ وتمنيت بداخلي ألا يراني وأن أصبح خفيًّا مرة أخرى.. لكن كأن كل أمنية أتمناها يحدث عكسها وجدته يلتفت لي ويراني..بل ويلاحظ نظرتي (لجميلة)، لا أعلم من أين علمت هذا.. ربما بسبب نظرته لي، من ثم نظره إليها وتتبع عيني كرادار..

هل ميزها؟

هل يعلم أني ذاهب خلفها؟

لكني أكملت طريقي محاولًا ألا أنظر إليه مرة أخرى.. ولم أعلم أنه كان يتبعني إلا بعد شارعين.. عندما تخطاني.. كانت (جميلة) بطريقها

لا تشعر بأني خلفها، كما لم أشعر بأهم خلفي، وجدهم يتخطوني ويمشون خلفها.. وحصل ما أخشاه..

بدؤوا يضايقوها بالكلام، فحاولت أن أمثل دور الأبله الذي لا يدري ماذا يحدث؟

لكن (البغل) كان مع كل كلمة يقولها ينظر لي.. و(جميلة) بدأت تسرع في مشيتها.. كان الشارع خاليًا إلا من مدرسة أخرى بأوله بدأت بالخروج.. وتطور الأمر سريعًا.. وجدته يمد يده ويضعها على حقيبتها.. وهنا صدرت مني ردة الفعل..

- يا بــــــ

لم أكملها ولم تنظر خلفها.. بل نظر هو.. وكأني أعطيته ما أراد.. اقترب مني فحاولت أن أهرب بنظري، لكن وجدت قدميّ لا تتحركان ولا تنفذان ما يقوله عقلي.. وكسقوط مطرقة على الحديد وقعت قبضته المضمومة على فكي.. لأشعر أن الدنيا تدور.. مع العلم أن قبضته كانت كالمطرقة.. لكن فكي لم يكن حديديًا.. توالت اللكمات واللطمات والضربات، وأنا واقع على الأرض وهو وشلته يضحكون..كنت أسمع الضحك وأراها تبتعد، وأشعر بالألم وأشم رائحة دمي، ويصدر من فمي أهات مكتومة..استمرَّ هذا لدقائق، لكنها كانت كساعات طويلة، حتى أتى رجل من أصحاب المحلات بالمنطقة حاملًا قطعة من الخشب، ليبعدوا عني ضاحكين.. مهرولين هربًا مع سبة لحقتهم من الرجل سمعت ردهم عليها وهم يبتعدون..

قمت بعد أن مد الرجل لي يده.. ومشيت بعد أن عرض عليّ بعض المياه التي رفضتها شاكرًا، حتى ألحق (جميلة) ليبتعد وهو يقول:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

كانت خطواتي واسعة واستطعت اللحاق بجميلة.. ميزتها لاختلاف زيها مع زي تلك المدرسة التي يخرج طلابها الآن.. عندما لمحتها هرولت ناحيتها بخطوات تؤلم حتى أدركتها ووقفت أمامها.. كنت لا أعرف ماذا أفعل؟ وماذا سأفعل؟ وماذا سأقول؟ لكن وجدتني أنطق بـ:

- جميلة انتِ كويسة؟!

لأدرك بعد أن قلتها أن اسمها ليس (جميلة) وأن خيالي قد طغى على واقعي.. ماذا أفعل؟ لماذا فعلت هذا؟ لأجدها تبتعد عني وكأني عفريت قائلة بصوت ضعيف باكٍ:

- يا مامي..

ثبت بمكاني.. لم أتبعها.. هل حدث ما حدث حقًا منذ قليل؟ طغى ألم نفسي على ألمي الجسماني، وحبست الدموع بعينيّ وعجز عقلي عن أن يكلمني أية كلمة..

أحسست بهالة من الألم تحوطني.. ولكن هذا لم يكن كل شيء.. فبعدها حدث آخر شيء أتوقعه.. شيء تمنيته منذ فترة، لكن لم أكن أتصور أو أتخيل أن تتحقق الأمنية بهذا الشكل.. كانت (أمنية) ثابتة مثلي تنظر لي، وبعينيها شاهدت الصدمة.. زاغت عينيّ لازدياد الدموع بداخلها.. لماذا؟

لماذا رأتني الآن؟

لماذا يحدث هذا لي؟

جريت.. وظللت أجري.. لم أكن أعرف إلى أين، لكن وجدت نفسي أمام المترل.. ووجدتني بالمفتاح الصغير بجيب بنطالي أفتح الباب وأدخل.. لم يكن هناك من أحد..لم أبالِ..أكملت جري.. حتى وقفت أمام المرآة.. لأرى الشكل الذي رأتني عليه (جميلة)، كان فمي ملطخًا بآثار اللكمات.. وتحول لون قميصي إلى لون الطين المختلط بالدماء.. بالإضافة لبقع كبيرة سوداء على جبهتي.. كان شكلي مرعبًا.. كنت عفريتًا.. وهكذا رأتني (أمنية).. كانت خائفة مني بالطبع..كما خافت (جميلة)..ولقد تعرفت عليّ بالطبع وإلا لم توقفت؟ زاغت صورتي بالمرآة بسبب اقتراب تجمع الدموع بعينيّ..لكني خلعت حقيبتي ورميتها على المرآة وكسرت صورتي، وحطمت ما تبقى منها بيدي، لأصاب بجروح ونزيف.. لكن لم يمنعني هذا من أن أحطم ما تبقى منها بقدمي.. لا أريد أن أرى أي شيء يعكس صورتي..

بدأت أدفع كل شيء تدركه يداي بالغرفة، وأصيب أي شيء تدركه قدماي، كنت أبكي بهستيريا بدموع اختلطت بالدماء.. ومن ثم أحسست بتريف آخر.. نزيف روحي.. لكن بعد انتهاء كل هذا..

وجدت أني أبتسم..أضحك.. وكما أنا وبجروحي جميعًا.. والدماء تترف والروح تترف معها.. وجدت أن ضحكي يزيد وأنا أنظر إلى الفراش..وأنا أضع رأسي وجسمي عليه بكل هدوء..حضنت وسادتي وأغلقت عينيّ ونمت.. لكن ليس كأي نوم، كنت لا أعلم ماذا سوف أفعل؟ لكني كنت سأفعل شيئًا ما.

21
النائمة

"غريب الإحساس ده صح.. إنك تندم على أفعالك اللي انت عملتها.. مع إن انت عارف إن لو عملتها هتندم عليها.. وكان ليك حرية الاختيار التام".

***

كقطع من الثلج وضعتها للتو في كوب مياه ساخن كان عقلي مشوشًا..الليل.. بعد أن خرجت من الجامعة ذهبت إلى البيت.. أغلقت باب غرفتي ولم أنم..ظللت أحدق بالجدران وكأنها رائعة من روائع فان جوخ.. الليل.. دق عقلي مرة أخرى بالكلمة.. الليل ساعة الصفر لتنفيذ المهمة الأخيرة..

لقد اخترت الفتاة، تلك الفتاة البغيضة التي جرحت (حسام) ونظرت لي باشمئزاز عندما كنت أحاول التكلم مع (جميلة).. لكن

بعيدًا عن فكرة أين أجدها.. تذكرت الآن ذلك الألم البغيض الذي لا أعلم ما سببه عندما كنت أساعدها لتقف..ستكون أي فتاة تقع عيناي عليها الآن إذن.. فتحت باب غرفتي.. كان أبي وأمي يتكلمان بغرفة إعداد الطعام فقلت لهما دون انتظار الإجابة:

– أنا نازل..

وفتحت باب المترل وغادرت لأتم المهمة.. كنت ما أزال بملابس الصباح، ربما بملابس البارحة، لم أكن أدري حقًا.. كان لا يزال الشعور بالإرهاق مسيطرًا.. غادرت المترل وبدأت المشي.. وقعت عيناي على فتاة وحيدة تمشي بطريقة رقيعة عكس وجهتي، ورمتني بنظرة دامت لعدة ثوانٍ قبل أن تكمل طريقها.. ليكن إذن.. التفت لأمشي خلفها لأسمع صوت رنين هاتفي المحمول آتيًا من جيب بنطالي يريدني أن أجيب.. أهملته بالمرة الأولى.. ولكن ظل الرنين يلح.. أخرجته وأجبت دون أن أنظر لاسم المتصل..

– بحاول أكلمك من الصبح ومش عارف أوصلك يا عمرو.

يبدو أنها الشبكة وإرسالها الرديء، كان يبدو على صوت (حسام) صوت المتلهف لمعرفة شيء ما..

– أنا موجود أهو..

– هو انت تعرف أمنية؟

عادت عيناي إلى الفتاة التي تمشي بطريقة رقعية.. فوجدت أنها تدخل إلى هذا البيت القريب

- لأ.. دي تاني مرة أشوفها..

برهة من الصمت، ومن ث..م

- إزاي يا عمرو؟ إذا كان هي عارفاك وسألتني عليك وكمان قا..

أفقد التركيز مع (حسام).. إضاءة تأتي من الطابق الخامس.. حان الوقت..

- سألتني إن كنت أعرفك ولا لأ.. وقلت لها إن انت صاحبي من زمان.. قالت لي إن هي كمان تعرفك من زمان..

مغادرًا جسمي الحقيقي لإتمام المهمة..ألم رأسي..التحليق.. التحليق بسرعة بطيئة.. لماذا هذا البطء.. لا أستطيع سماع (حسام) من الألم.. السرعة تزداد شيئًا فشيئًا والألم كذلك.. اخترقت الجدران لأراها.. كانت غرفتها على ما يبدو من كل شيء أراه.. وكانت تنظر للمرآة بملابسها الداخلية.. تحدق بنفسها.. وكأنه القدر.. وكأنها تنتظرني.. لا تراني.. الألم..

- عمرو انت مش بترد عليا ليه؟ ليه خبيت عليا إنك تعرفها؟ ليه ماقلتليش؟ انت بقيت غريب الأيام دي.. غريب قوي!

ثم أنهى المكالمة.. لقد كان غاضبًا.. صديقي الوحيد.. بسبب تلك الفتاة البغيضة.. لتكن هي إذن.. ليكن انتقامي منها.. غادرت منزل تلك الفتاة وهي تنزع ملابسها الداخلية.. لأعود إلى جسدي.. ليختفي الألم نوعا ما ولتبدأ قدماي تقودانني.. لم أكن أعلم إلى أين

أذهب.. في حين كنت أريد الذهاب إلى حيث (أمنية) ولا أعرف أين تقطن؟ لكن يبدو أن قدميّ تعلمان.

كالموتى الأحياء أمشي من شارع إلى آخر متبعًا تعليمات عقلي، تاركًا لذلك الصوت الغامض الذي يأتي من جزء من أعماق خلايا عقلي يقودني، حتى وجدت نفسي توقفت أمام بناية عالية مكونة من العديد من الطوابق، ولكن نظري اتجه إلى الطابق السادس وكذلك جسمي الأثيري..

ألم بجسدي الحقيقي..

لكني نقلت تفكيري بطريقة ما إلى جسمي الأثيري، فقل الإحساس بالألم لحد ما، لكن كانت سرعتي بطيئة مثل المرة السابقة، لم أنظر لنفسي وأنا أحلق إلى الطابق السادس، ولكن يبدو أن الألم يزداد وأني أضع يدي على رأسي ضاغطًا عليها من الألم..

اخترقت الجدران لأصبح في غرفة خالية.. كان الوقت متأخرًا، ولكني لا أعلم كم الساعة بالضبط.. بدأت بالمشي باحثًا عن فريستي محاولًا على قدر استطاعتي إهمال الألم الذي ينتقل الآن إلى جسدي – الفعلي– بالكامل.. كانت الغرفة تؤدي إلى صالة صغيرة تخللتُها ومشيت بها ببطء.. كانت هناك غرفتان.. غرفة مصابيحها مضاءة وهذه بالخارج وغرفة أخرى إضاءتها نائمة..

تخللت الحائط فرأيت أحدهم نائمًا، لكن كما كان يبدو هذه هي والدتها.. تخللت الجدران مرة أخرى لأصبح بالغرفة المضاءة، وكانت (أمنية) تجلس تشاهد فيلمًا ما حاضنة تلك الوسادة الصغيرة.. متأثرة بالمشهد الذي يحدث بالتلفاز.. ولا تراني..

صراخ داخلي.. الألم يزداد.. رأسي سينفجر تمامًا بجسدي الفعلي.

تلك الفتاة البغيضة حطمت قلب (حسام)، وجعلته يكرهني.. لتأخذ جزاءها إذن.. لكن لماذا لا نلعب لعبة صغيرة أولًا.. ذهبت إلى مفتاح الإضاءة سريعًا وضغط عليه.. لا يزال لدي الوجود المادي إذن

– هاا..

قامت هي مفزوعة، لأضغط أنا على المفتاح مرة أخرى لتعود الإضاءة.. أخرجها هذا من داخل الفيلم الذي تشاهده.. وظلت واقفة تنظر يمينًا ويسارًا وهي تبحث عن سبب هذا أو عني، وكأن شيئًا ما داخلها قال لها إن هذا ليس بطبيعي، تفحصتْ مفتاح الإضاءة وأنا أقف بجانبها.. فكَبشتُ مؤخرتها بيدي، فانتفضت ونظرت إلى الخلف..إلى عينيّ مباشرة..عينيي اللتين ليس لهما من وجود.. وعيناها اللتان زاغتا واتخذهما القلق مسكنًا.. ظلتْ لدقيقتين ثابتة مكانها لا تتحرك.. ولم أتحرك.. هناك شيء ما بعينيها، شيء أعرفه ولا أدركه..

لقد لامست الأرض الآن بجسدي الفعلي واضعًا يدي على رأسي ضامًا قدميّ لصدري متألمًا بجميع خلايا جسدي..

ثبتت عيناها على عينيّ لبضع ثوان وكأنها تراني؛ فانتقلتُ من أمامها سريعًا، ولتجلس هي مرة أخرى.. على الأرجح قائلة لنفسها إن كل هذا يهيأ لها لا أكثر.. وأنه لا يوجد شيء؛ لتعود بتركيزها داخل التلفاز حزينة.. أشعر بحزنها يملأ المكان، لكن هذا لن يمنعني.. تلك الفتاة الجميلة المغرورة يجب أن ألقنها درسًا.. أغلقتُ باب الغرفة فقامتْ مرة أخرى مذعورة شاهقة غير عالمة ماذا يحدث؟ وماذا يجب

أن تفعل؟ لكني لن أعطيها الفرصة لتفعل أي شيء..كنتُ هادئًا بجسمي الأثيري.. أراها وأشعر بقلقها وخوفها، ولا تراني، بحركتين سريعتين أغلقت قفل الباب من الداخل وأطفأت الأنوار مرة أخرى، فصرخت:

– ماماااااا

ولكني تحركت، وقفت أمامها في الظلام، فقط إضاءة التلفاز تزيد وتنقص حسب مشاهد الفيلم..

وضعت يدي على فمها سريعا حتى لا تصرخ مرة أخرى؛ ليخرج صوتها مكتومًا.. دفعتها إلى الحائط وثبتها تمامًا بحيث لا تستطيع الحركة وأفعل ما يحلو لي – كنتُ قويًا حقًا – وباليد الأخرى بدأت أفتح أزرار قميصها سريعًا.. كانت جميلة حقًا حتى بالظلمة، وكان جسمها أسفل ذلك القميص أشهى مما كان يبدو.. تركتُ فمها.. وتركتها تصرخ كما تريد، لن يشكل هذا فارقًا.. ربما كان عذابًا أكثر لها:

– اااااااااااااه

كانت تبكي وتصرخ، وكنتُ أبكي وأصرخ بجسدي الفعلي.. حاولت أن أتجاهله.. لكن يبدو أني أبكي دمًا بالأسفل.. يجب أن أنهي هذا سريعًا بأشد عذاب ممكن؛ لأحصل على الطاقة..

– أمنية.. أمنييية.. في إيه افتحي!

إضاءة التلفاز تقل لأقصاها لنهاية الفيلم ونزول التترات السوداء المحملة بالأسماء.. أمها مذعورة على الباب الذي أغلقته من الداخل.. وهي.. تبكي بهستريا.. تصرخ بأعلى صوت أتاحته لها حنجرتها..

لم أخلع عنها باقي ملابسها ليس لدي وقت، قطعت القميص الذي لم تكن ترتدي أسفله شيئًا، وقطعت بنطالها باليد الأخرى.. وكانت لا تزال تصرخ وتبكي، ولا تستطيع الحركة.. حملتها بالهواء ورميتها على هذه الكنبة التي كانت تجلس عليها.. كانت لا تزال تصرخ وتحاول التملص من شيء لا تراه، كانت بارعة الجمال اتضح هذا الآن، كانت لتثير أي ذكر..

لكني كنت مجرد دخان، ظل، ولكن أستطيع التشكل كما أريد، تشكلتُ كما يجب، وبدأت بتنفيذ مطلب (بلايس) الثاني

كانت ضربات أمها على الباب هستيرية الآن..

و(أمنية) أسفل مني تتأوه، بدأت أشعر بالتموج ولكني فعلت كل شيء كما يجب حتى أحصل على الطاقة اللعينة..

كنت أفكر في (جميلة).. حتى وأنا أمارس الجنس مع أخرى – إن كان من الممكن أن يسمى هذا كذلك – أخيرًا سأكون معها..كانت (أمنية) تتألم أو تتمتع لا أعرف، لكن لم يوقفني آهاتها، لم يوقفني بكاؤها، حتى فقدتْ الوعي.. ومع ذلك ظللت أكمل بقسوة ووحشية لأحصل على الطاقة.. لم أتوقف حتى انتهى كل شيء وقذفت شهوتي بجسدي الأثيري فشعرت بها في الفعلي.. كسرت أمها الباب أخيرًا.. وأضاءت الأنوار سريعًا، لكن كنت قد انتهيت.. ورأتْ هي هذا المنظر.. بنتها فاقدة الوعي عارية.. فصرخت.. وقبل أن

أحلق عائدًا إلى جسدي الفعلي جاءت لي فكرة.. لألقنها درسًا آخر.. لتعلم كيف ستعيش وهي.. وأحسست أني أخرج طاقة من جسدي الأثيري.. انتقلت إلى وجهها فتشوه.. تشوه بالكامل في أقل من الثانية.. ولتسقط أمها فاقدة الوعي أيضًا.. ولأعلم أني قد أتممت المهمة..

لترى الآن من سيحبها وهي بهذا القبح.. كنت أشوه كل جسمها.. لكني لا أعرف كيف فعلت هذا.. بالإضافة إلى أني أموت بالأسفل.. وعندما تذكرت جسدي الفعلي.. عاد الوعي له.. وكان الألم به يشبه الصاعقات التي صعقتني إياها تلك الظلال عندما كنت أريد أن أرى (جميلة)..

عدت إلى جسدي، ولاحظت أني على الأرض داخل مدخل المبنى المقابل للمبنى الذي تقطن به (أمنية)، وتذكرت هذا الآن.. أني قد زحفت على الأرض إلى الداخل..رأيتُ من مكاني بعض الناس متجمعة أسفل المبنى الآخر..في الغالب بسبب الصراخ الذي كان منذ قليل، ويبدو أني فعلت هذا حتى أبتعد عنه قدر الإمكان.. الغريب بالأمر أني كنت لا أتذكر.. وكأني كنت أحدًا ما غيري.. حاولت أن أقف على قدميّ لكن لم أستطع.. كنت أشعر أني أحتضر.. مرت فترة حتى تمالكت نفسي نوعًا ما واستطعت الوقوف.. مشيت ببطء.. شعرت بالعرق.. فمسحت وجهي لأجد الدماء.. كنت أبكي دمًا.. وكانت يدي ذاتها تنزف من دون جرح.. لا أعلم لماذا.. مشيت باذلًا مجهودًا خرافيًا بطريق العودة.. ووصلت بعد فترة كبيرة حيًا لا أعرف كيف، لكن عندما رأيت الفراش.. لا أتذكر شيئًا بعد ذلك.

***

لا أعلم إن كان هذا بعد نومي مباشرة أم بعد فترة من النوم لكني شعرت بجسمي الأثيري يُبعث إلى الحياة.. نظرت إلى جسدي النائم.. كانت الدماء تجلطت على رقبتي ووجهي وملابسي.. كان يبدو عليّ الإرهاق التام.. لكن المهمة انتهت.. أستطيع أن أرتاح الآن.. وأن أكون مع (جميلة)..نومًا هنيئًا.. قلتها لجسدي الفعلي..ومن ثم اخترقت الجدران.. وحلقت سريعًا بلهفة وشوق.. ذاهبًا إليها.. وفي أقل من ثوانٍ كنت هناك..في منزل (جميلة).. وقفت أمام الباب قليلًا.. واخترقته دون أن تظهر الظلال اللعينة.. كنت أقف أمام (جميلة) النائمة تحلم الآن.. ظللت أحدق بها لثوانٍ جعلتني أشعر بالهدوء داخل نفسي المضطربة.. ومن ثم انحنيت جانبها.. وفكرت أن أحضن يدها.. لأرى إن كان لي من وجودٍ مادي.. وسريعًا نفذت تفكيري لأشعر بملمس بيدها حقًا فقلت:

- آه لو تعرفي أنا عملت إيه عشانك!

لا أعلم إن كانت تسمعني أم لا.. لا أعلم إن كان الصوت ماديًّا أيضًا أم لا.. ولكني أكملت:

- آه لو تعرفي أنا بحبك قد إيه!

شعرت أني أبتسم بسخرية، وأنا أقول:

- يمكن كنتِ وقتها تكرهيني أكتر.. بس يمكن كنتِ تحسي قيمتك عندي!

حضنت يدها أكثر، وشعرت بالذبذبات حول جسمها تتفاعل معي.. جسمها الأثيري..كل البشر لديهم الجسم الأثيري.. ماذا لو..

سحبت أثيرها من خلال تلك الذبذبات التي شعرت بها بيدها.. ولا أعلم حقًّا كيف فعلت هذا ولكني فعلتها.. وبدأ جسمها الأثيري يتشكل أمامي..حتى انتهيت من سحبها بهدوء.. نظرت لجسدها النائم كانت عيناها مغلقتين، ولكنها ترتجف.. نظرت لي داخل عينيّ اللتين ليس لهما وجود بعينيها اللتين ليس لهما وجود.. فبدأت بالتموج فقلت لها

- إهدي..

سمعتني.. شعرتُ بهذا من ردة فعلها.. كنتُ مجرد ظل وهي كانتْ كذلك.. ظلين متجسدين بالهواء.. ولكنها تراني وتسمعني وتشعر بي.. لا أستطيع تصديق هذا.. لم أتكلم مرة أخرى.. وأخذتها من يدها فوجدت أنها لا تمانع، بل أحسست أنها تريد هذا.. وفعلت كما تمنيت كثيرًا..حلقت بها للخارج.. حلقت متحركًا ببطء حتى تستمتع ولا تستيقظ.. كانت ترتجف متموجة بين الحين والآخر وتنظر إلى كل شيء في ذهول تام.. فكرت أن أخفف عنها هذا قليلًا فحلقت إلى الأعلى حتى رأينا كل شيء مثيرًا صغيرًا.

- حاسة براحة صح.. حرية.. وعايزة تطيري بسرعة أكبر..

نظرت لي فشعرت أنا بالراحة والحرية، وقالتْ:

- أنا مت؟

- لأ.

- أنا بحلم؟

- آه ولأ.. هو حلم.. بس حلم حقيقي!

لن يكون هناك فرح يعادل هذا الفرح الذي أشعر به الآن.. شعرت أني أبتسم على الفراش بجسدي الفعلي.. وأن هناك نسمة قد مرت على روحي وأنا نائم.. وبأن طاقة من السعادة أحاطت بي.. جعلتني أتقلب إلى جانبي الآخر فرحًا وأنا أقول لها:

- كل ده حقيقة.. إحنا شايفين ومحدش يقدر يشوفنا..

شعرت أن توترها يزداد، فضغط على يدها أكثر؛ لأدخل إليها الثقة، وزدتُ من سرعتي..

- أنا اتحملت كتير قوي عشان اليوم ده..

قلت لها وأنا لا أستطيع أن أبعد عينيّ عنها ولا ترك يدها:

- أنا مش قادرة أفهم حاجة.. انت مين؟

- أنا.. عمرو حسن..

الظلال.. الظلال الكريهة اللعينة.. ما الذي أتى بها.. لماذا الآن؟

من كل جانب عدد ظلال أضعاف المرات السابقة تحوطني وتحلق حولنا من جميع النواحي والجوانب.

- افتكري ده لما تقومي يا جميلة..

تركتها لتعود إلى جسدها.. وتستيقظ.. وكان آخر ما سمعته منها:

- بس أنا مش اسمي جميلة!

الظلال تحوطني بدائرة.. و(هي) تبتعد أكثر.. حاولت ألا أنظر للظلال اللعينة وأنا أتساءل.. ماذا تفعل هنا؟ لقد أنهيت المهمة.. ماذا يريدون بعد ما فعلت؟

لكن حتى هذا لم يأخذ الجزء الأكبر من تفكيري.. فعلى فراشي كانت الابتسامة قد ذهبت.. وبجسمي الأثيري كنت بقمة الحيرة.. كنت لا أعلم.. هل قالت (جميلة) حقًا ما سمعته الآن؟

***

22

الضحية

"القوة بتعمي كويس قوي.. وياريتها بتعمي بس.. دي بتخليك تشوف الحاجة على عكس صورتها.. بتخليك تفتكر إن هما الضحايا.. مع إن انت هو الضحية".

***

محلقًا بالهواء كالبطل الخارق أو كطائر ضعيف، كفراشة تحارب الرياح بجناحيها الضعيفين، أو كطائر جارح..كانوا حولي، لكني لم أكن أنظر إليهم، يحوطونني وكأني أصبح لي مئات الظلال..كان العدد يزداد بطريقة عجيبة، وبدأت الرؤية تذهب شيئًا فشيئًا، لكن قبل تمام ذهاب الرؤية لاحظتُ بعض الظلال تلحق بجميلة، واختفى كل شيء أراه.

الظلام مرة أخرى

وكان أول ما رأته عيناي عيني (بلايس) السوداوين يحدقان داخل عينيّ على مسافة السنتيمتر، ابتعد قليلًا ومن ثم أعطني ظهره، وأدار نفسه مرة أخرى مخرجًا يده من جيبه قائلًا وهو يصفق لي:

– أثرت إعجابي..

كانت علامة الاستفهام يرسمها أحد هؤلاء الذين يسكنون داخلي، ولأني أعرف أنه يستطيع قراءة ذلك الكلام ما قبل علامة الاستفهام.. وعلامة الاستفهام ذاتها.. ويستطيع الإجابة عنه دون أن أسأل.. لم أسأل، فأجاب:

– انت اغتصبتها بجسمك الأثيري.. بجد..دي ماتخيلتهاش.. ده إبداع!

– ممكن أعرف إيه اللي بيحصل؟ وليه الظلال دي ظهرت تاني وأنا مع جميلة؟

صمت قليلا محدقًا داخلي بعينيه السوداوين:

– بجسمك الأثيري!

أحسست أنه يبتسم بوجهه الذي يشبه الدمية الذي نزع أحدهم أنفها وأذنيها وفمها ولون عينيها بالسواد، وهو يقول:

– وحكاية تشويه وشها ده.. إبداااع!

هو يقرأ السؤال الغبي داخلي، لماذا لا يجاوب؟

– أنا فخور بيك فعلًا.

يخترقني بعينيه السوداوين والسؤال الغبي يتردد:

– الظلال.. ها.. هممم..

– أنا شوفتهم راحوا ورا جميلة.. ومرة واحدة كل حاجة اتحولت أسود.. ولقيت نفسي هنا.. أنا عايز أعرف إيه اللي بيحصل؟

– الظلال.. الظلال..

أحسست بالغضب.. بالتموج.. ولكن الإجابة! أين الإجابة؟!

– أصل الظلال دي أتباعي.. بس هما بيموتوا في حاجة اسمها طاقة.. وأنا لازم أوفر ليهم الطاقة دي.. هكون صريح معاك.. أنا أديتك طاقتي.. عشان تعرف تعمل اللي انت عملته.. عشان أنا صاحبك.. وعشان.. أشوفك مبسوط وفرحان مع جميلة..

صمتُ قليلًا وأعطني ظهره مرة أخرى ونظر إلى الأفق وأكمل:

– بس أنا دلوقتي مش قادر أتحكم فيهم.. هما عايزين الطاقة.. الطاقة.. الطاقة.. الطاقة دي أنا أديتهالك.. لازم انت دلوقتي توفرلهم الطاقة..

الطاقة.. الظلال.. ما كل هذا الهراء والألغاز؟!

– أنا عايز أبقى مع جميلة.. وانت قلت لي اقت..

– أنا عارف أنا قلت لك إيه.. وعارف اللي انت عملته.. بس أقنعهم بده.. هما عايزين الطاقة اللي أنا بديهالهم..اللي أنا أديتهالك.. اللي انت دلوقتي لازم.. لازم.. تديهالهم!

كان التموج يزداد كفيضان غاضب..

- لازم تقتل تاني.. تزني تاني.. بس المرة دي من غير جسم أثيري.. المرة دي انت مالكش الاختيار.. عشان لو ماعملتش كده.. هما بطريقتهم هياخدوا طاقتك.. وطاقة جميلة اللي محبوسة عندهم دلوقتي..

التموج إلى أقصى درجة.. للدرجة التي جعلتني أستيقظ.. شلل النوم مرة أخرى.. طفل يحدق لي بعينين فارغتين وبرأسه دماء وفتاة شُوِّهَ وجهها عارية.. التنفس.. لا أستطيع التنفس.. الموت.. يقترب.. يقترب أكثر.. فأكثر.. لا أستطيع التحكم بجسدي.. واعي لما حولي.. لكني ثابت كأني داخل قطعة من الجليد.. الخوف.. الخوف المنقى من الشوائب

- ها

فتحت عينيّ لأواجه الحقيقة.. أنا وحدي.. أشعر بالوحدة حقًا الآن.. كما لم أشعر بها بحياتي.. أحتاج (جميلة) بجانبي تحضنني وتقول لي إن كل شيء سيكون على ما يرام.. وأني لست وحيدًا.. شعرت بأني أريد البكاء لكني لا أستطيع.. تحجرت الدموع داخل مجراها لا تستطيع الوصول.. لا أستطيع البكاء.. أريد البكاء.. سندت ظهري على الحائط الذي بجانب فراشي وظللتُ أخبط بيدي عليه.. أريد أن أبكي.. أبكي.. الآن.. بغزارة.. أبكي كصنبور مفتوح.. أبكي وأبكي وأبكي و..

توقفت عندما علمت أني لن أبكي.. نور الصباح.. يوم آخر.. لقد مللت هذه الحياة الكريهة.. لقد قتلت مرة وأستطيع أن أفعلها مرة أخرى.. ولكن دون جسم أثيري.. دون مساعدة.. هل سأستطيع فعل هذا حقًا؟

ملابسي التي لم أبدلها.. الخروج والطريق تائهًا داخل الأفكار.. وصول الجامعة ودخول المحاضرة وكأني صرت إنسانًا آليًا.. لا يوجد (حسام) لم يأتِ.. كذلك (أمنية) بالطبع.. ولا توجد (جميلة) أيضًا.. ظلت عيناي تبحثان عن أحد ما وسط الحشود، حتى رأيته، ذلك الوسيم الغبي..يجلس مع (يمنى)..صديقة (جميلة)..نسيت الحشد وامتنعت أذناي عن السمع فجأة، وحدقت بهما.. لماذا يتكلمان هكذا؟ لماذا يميل عليها ويهمس لها هكذا؟ لماذا تضحك؟ ولماذا يبدو سعيدًا؟ الكثير من الكلام والصمت ونزيف الوقت!

الضجيج.. يبدو أنها الاستراحة، وقد مرت نصف المحاضرة دون أن ألحظ هذا.. لماذا ينظر لها بعينيه بهذه الطريقة.. لماذا تتشابك يدهما؟ هل يخون (جميلة)؟ أين (جميلة)؟ لماذا؟ ومع صديقتها.. هذا الفتى الغبي.. هذا الفتى..شعرت بالغضب الشديد، قمت متجهًا للبيت، وبداخلي فكرة أني سأقتل، ولكن سيكون هذا الفتى هو ضحيتي.. سأقتل هذا الفتى.. سأغتصب هذه الفتاة.. سأنتقم لجميلة وأعيدها من أسرها.. (جميلة)..

***

وصلت البيت متأخرًا بعد أن ظللتُ أمشي بالشارع، تائهًا كفأر تجارب يحاول الوصول إلى نهاية المتاهة، لكن يبدو أن تلك المتاهة لا تؤدي إلى شيء أبدًا.. فقط أبواب، العديد منها، وجميعها تؤدي إلى دوائر، لأجد أبوابًا تؤدي إلى دوائر أخرى، حتى أجد الباب الذي أظنه سيعيدني إلى الحياة، لأجدها مجرد دائرة سابقة..

كان أبي وأمي نائمين بغرفتهما، وكان أخي نائمًا أيضًا.. كنت لا أشعر بالإرهاق الجسدي من شدة الإرهاق النفسي، وكان أكثر ما أريده حقًا هو النوم.. ليس للنوم.. لكن لما بعده.. لقد صار مبدأ أن النوم هو للراحة هذا هو شيء خيالي بعيد المنال.. أريد أن أرى (بلايس) وأقول له إني سأفعلها.. سأقتل هذا الفتى (ماجد) وصديقتها (يمنى) سأنقذ (جميلة) من الأسر.. لكن أريده أن يتركني معها لليلة، فمعني أني سأفعلها دون الجسد الأثيري، هذا يعرضني للخطر.. أريده أن يتركني مع (جميلة)، دخلت حيث صنبور المياه لأشرب بعضها.. لا أتذكر المرة الأخيرة التي زار بها فمي طعام أو شراب.. شربت وأنا أحدق إلى طقم السكاكين.. ربما تكون هذه هي أداتي.. ربما تكون أيها السكين جسمي الأثيري.. لما لا؟

انتقيت واحدة.. ولمحت انعكاس صورتي عليها.. لم أعرفني .. بتلك الهالات، لم أعرفني، لطالما كنت أظن نفسي أوسم من هذا الذي أراه بانعكاس صورتي.. مَنْ الذي أراه بالمرآة وداخل الصور؟ ربما لذلك لم أكن أحب المرآة كثيرًا.. ظللتُ أقلبها أمام عينيّ، ومن ثم رفعت (التي شيرت) الذي أرتديه ووضعت السكين داخل البنطال..

وصورة ذلك الفتى أمامي.. ذلك الكريه.. سأقتله أشر قتلة.. وربما اغتصب (يمنى) أمام عينيه كما فعلها مع (جميلة) أمام عينيّ.. خرجت إلى الشرفة.. ناظرًا إلى الأفق.. والألم أصبح صديقًا من شدته..

كيف كانت الفرحة؟ كيف كان هذا الشعور؟ كيف؟ ما هو؟ هل شعرت بالفرحة من قبل؟ أتذكر أني فعلت.. أتذكر أني كنت فرحًا.. وأنا ألعب مع أصدقاء الشارع.. فرحًا عندما كنتُ أذهب لجميلة وأنا صغير وأتكلم معها وألعب معها، ولكن الشعور كيف كان؟ كنت كمن لا يستطيع تذكر كيف كان الحر بعد توغل الشتاء!

سَرَت رعشة من الألم بداخلي.. بداخل قلبي.. رجفة لا أستطيع وصفها.. لقد مللت الألم ومللت هذا الشعور.. مللت الوحدة ومللت الحياة.. لقد مللتني.. نظرت إلى تلك النجمة اللامعة المتأججة وكأنها حائرة متألمة مثلي.. هل لها من حبيب؟ ظللتُ ناظرًا لها فترة كبيرة، حتى زاغت عيناي وبدأت أرى بعض النجوم حولها.. نجومًا صغيرة للغاية أو هكذا أراها.. تلمستُ السكين وأنا ذاهب إلى النوم.. ومن ثم استلقيت على الفراش وأنا أغلق عينيّ ولتكن النهاية إذن.. أو هذا ما أرجوه.

***

23

المبادلة

"ساعات بندمج الواقع بالخيال عشان نخلي الواقع أحلى.. لكن ساعات الخيال بيدمج نفسه بالواقع.. وساعات الخيال بيبقى واقع.. وساعات الواقع بيبقى خيال"

***

والابتسامة على وجهي وبشعور الفرح بعد أن اكتشفت هذا الاكتشاف الممتع.. بإحساس بالنجاح هرولت داخل المنزل.. وقفت عند مدخل باب غرفتي..ضغط بيدي وبقدمي على الأخشاب الجانبية..وبدأت التسلق..وبكل خطوة آخذها للأعلى تزداد ابتسامتي.. بالمرة السابقة لم أصل إلى هذا الارتفاع.. لكن هأنا الآن رأسي يلامس سقف الباب.

– واوووو

قلتها بصوت منخفض نوعًا ما.. وأنا أنظر للأسفل.. هل هذا هو إحساس الطيور المحلقة بالسماء؟ هل سأحلق مثلها يومًا؟ لكم أتمنى هذا! كانت عضلات يدي.. ترهقني الآن من التعلق.. لكني كنت لا أريد النزول وملامسة الأرض.. لكن عليّ أن أفعل.. بدأت النزول.. ومن ثم تركت يدي لأهبط..

* * *

تك.. تك.. تك.. تك.. تك.. تك.. تك.. تك..

دقات الساعة الرتيبة.. لا أستطيع النوم.. لا أحب هذا المنزل الجديد.. لقد بدأت الاشتياق لأصدقائي.. وها نحن بأول يوم لنا.. ذلك الصوت الكريه أيضًا داخل صدري.. وكأن أحدهم نائم بالداخل.. نفضت عني الغطاء.. أريد أن أفعل أي شيء.. لا أستطيع النوم.. تسحبت بهدوء حتى لا أوقظ أبي وأمي.. ومن ثم فتحت الشرفة بصوت هادئ ناظرًا خلفي عندما صدرت تلك التكة المفاجئة.. وثبت مكاني قليلًا منصتًا لأرى نتيجة ذلك.. لكن يبدو أنهما ما زالا نائمين.. خرجت إلى الشرفة وظللت أجري بها.. ومن ثم توقفت ناظرًا إلى السماء، وإلى تلك النجوم اللامعة أخذًا شهيقًا عميقًا محاولًا التغلب على ضيق التنفس الذي أشعر به.. لا أعرف ما الذي جعلني أتساءل..

كيف نضيء الظلام؟

هل للظلام مصدر؟! فالضوء يأتي من الشمس.. والنجوم التي هي شموس بعيدة.. هكذا قال كتاب العلوم خاصتي.. لكن لا يوجد شمس

تصدر الظلام..لا توجد نجمة بها أشعة من الظلام.. هذا يبدو مضحكًا وغير منطقي.. إذن الظلام ينتشر فقط عندما لا يوجد الضوء.. ولكن الضوء يبدد الظلام.. ولا أظن أن العكس صحيح.. فلا يوجد ظلام يطمس النور..

***

ثالث يوم بذلك المنزل القبيح.. حاولت أن أذهب إلى الشارع لأقابل أصدقاء جددًا ولكن أمي منعتني.. وهذا الطبيب ذو النظارة الذي لا أحبه لا يتردد في كتابة الدواء لي.. الكثير والكثير منه.. لقد بدأت أصاب بالملل.. كان الوقت ليلًا وغدًا الجمعة يوم إجازتي من المدرسة التي أظل بها وحيدا أيضًا..دخلت من الشرفة إلى حيث يجلس أبي وأمي يشاهدان التلفاز ويتكلمان..أخرجت ألعابي، أتيت بالرجل الآلي ذي اليد الواحدة والمكعبات وذلك البطل الجديد الذي انضم للمجموعة.. ذلك الآلي الصغير المعبأ بالأسلحة وينير ذراعه ويتكلم.. لقد حاولت أمي أن تلقي بالرجل الآلي ذي اليد الواحدة بالقمامة.. خاصة بعد أن فقد قدمًا وأصبح دون يد أو قدم.. وبعد أن أتى هذا الآلي الجديد وتلك الدمية الجميلة التي جعلتها الأميرة.. لكني جذبته بعيدًا عن يد أمي، وأنقذته كما أنقذني هو من الملل كثيرًا، وأنقذ الأميرة التي أصبح لها وجود مادي الآن..

كانت المكعبات خبيثة، خاصة المكعب الأحمر.. فقد خطف الأميرة مرة أخرى مهددًا الرجل الآلي، بعد أن وضعها أمام القطار.. إن لم يأت لينقذها سيقتلها دون رحمة أو شفقة.. وهذا هو حال المكعب الأحمر.. ولكن الرجل الآلي ليس غبيًّا هو يعلم تلك المرة أن هذا فخٌّ

عُدَّ له بإتقان.. لكن بالطبع لا خيار لديه.. هو لن يترك الأميرة تُقتل، حتى لو كان الثمن حياته.. سيضع نفسه بالفخ وهو على علم بأنه فخ لينقذها.. لكنه كان خائفًا لأول مرة بحياته.. ليس خائفًا من الموت.. ولكن خائفًا أنه لن يستطيع إنقاذها هذه المرة.. بعد المعركة الأخيرة التي فقد بها قدمه، لقد أصبح ضعيفًا الآن..

المكعب الأحمر لديه أعوان جدد وهو وحده.. يجب عليه أن يبحث عن المساعدة.. عندما فكر في هذا وجد آليًّا آخر لديه العديد من الأسلحة المتطورة يبيد بعض الأشرار بمعركة حامية.. دخل الآلي ذو اليد الواحدة معه المعركة يساعده مع أن الآخر لم يكن بحاجة إلى المساعدة، ولكنهما قضيا عليها سريعًا.. شكره الآلي الآخر.. فحكى له ذو اليد الواحدة عن موقفه وعن الأميرة وأنها ستموت.. فوافق ذو اليدين على مساعدته بإنقاذها..

ولأول مرة بحياة ذي اليد الواحدة كانت المعركة أمام عينيّ الأميرة النائمة على قضيب القطار القاتل.. قاتَلَ من أجلها كما لم يفعل من قبل، محاولًا تجاوز فقدان قدمه التي تعوقه، لكن ذا اليدين كان ذا نفع كبير..وكان ذلك مفاجأة ليست سارة للمكعب الأحمر..تراجعت أمامهما.. تراجعت للخلفِ بعد أن دمر المكعب الأخضر.. كان ذا اليدين مدمرًا قويًّا بأسلحته المتطورة.. وبالنهاية فرت المكعبات هاربة.. وأنقذا الأميرة..

جرى عليها ذو اليد الواحدة وحلق إليها ذو اليدين.. كانت تبدو جميلة حقًّا وكان هو يبدو بشعًا.. بعد أن فقد قدمه.. وكان لا يستطيع التحليق..

كان ذو اليدين هو الأسبق لها وكانت تبتسم معه وتضحك.. كان هو المناسب لها.. هذا ما خطر بشرائحه الإلكترونية وهو ينظر لهما من الخلف.. هي جميلة وهو كامل..ولكنه يحبها.. هي تعلم أنه يحبها.. ولقد قاتل بحياته من أجلها.. هي لم تصارحه يومًا.. وهو لم يصارحها يومًا.. كان هناك تفكيران داخله.. أيمشي ويذهب لها عرجًا بمنظره هذا أم يذهب ويتراجع ويختفي عالمًا أنها بمأمن مع هذا الآلي؟

لكنه ذهب إليها..هو لا يستسلم بسهولة..لا يستسلم أبدًا.. ذهب وقال إنه يحبها.. لكنها أمسكت ذراع ذلك الآلي الآخر قائلة وهي تنظر إلى شاشته الآلية.. إنها لا تحبه.. وأنها تقدره فقط كونه صديقًا..

لقد شعر بالحسرة.. وبالتيار السلبي يمر بجميع سلوكه.. شعر بتشوش الرؤية داخل شاشته الآلية.. خاصة بعد أن قالت له أنها كانت تنتظر آليًا مثل ذي اليدين.. قال لها إنه فقد يده وقدمه من أجلها.. قال.. وقال.. ولم يستسلم.. لكنه أدار ظهره لها بالنهاية عالمًا أنها لا تحبه.. لقد عاش بالوهم التام.. وضحى بالكثير.. ولكنه كان غير نادم.. ومشى رافعًا رأسه الآلي ذاهبًا للقضاء على باقي الأشرار.. هي الآن مع هذا الآلي القوي.. لا داعي للخوف عليها.. وهو تعلم الدرس الصعب القاسي.. ولكنه لم يتوقف لحظة.. كان الطريق أصعب الآن.. أصعب بمراحل..

ولكن رغم تكون برنامج داخله دون إرادته ليجعله يبكي.. أكمل بقدم واحدة ويد واحدة وشرائح مجروحة وقلب ليس له وجود

وبطارية شعر داخلها بالحسرة مكملًا حلمه بالتخلص من الأشرار.. مطاردًا المكعب الأحمر عدوه اللدود.

كانت القصة اليوم مؤثرة، ولقد شعرت بالحزن على الرجل الآلي، ولكن يا له من قوي! لقد أكمل، ولم يتوقف لحظة مع أنه فقد كل شيء، ظل يطارد حلمه.. إنه قوي حقًا، ربما أجعل أبي يأتي لي بدمية أجمل من هذه وأجعلها تحبه.. كما لم يحبه أحد.

***

– أمنية..

استدارت ونظرت لي بعينيها الطفوليتين.. كانت تضع أدواتها وكتبها داخل حقيبتها.. ولكني لا أريد قضاء الوقت وحدي ها هنا.. جميعهم سيذهبون للأسفل الآن.. ليلعبوا..

– أنا عايز أرجع أحلم تاني.. هو انتِ لما بتحلمي بتحلمي بإيه؟

شعرت أنها لم تفهمني.. وتأكدت عندما قالت:

– يعني إيه ترجع تحلم تاني؟

مشيت حيث أصبحت أمامها..وأنا أنظر إلى الطلاب محاولًا استنفاد الوقت حتى يذهب الجميع..

– يعني أصل أنا مش بحب الأحلام.. الحاجة الوحيدة اللي كنت بعملها فيها إني كنت بطير.. لكن دلوقتي مفيش حاجة بتسليني زى زمان.. عشان كده فكرت تاني ف الأحلام..

– بطير ف أحلامك!

– أه إحساسها حلو.. عمرك ما جربتيها قبل كده؟

– لا هجرب إزاي يعني؟!

نظرت في عينيها لأرى علامات عدم الفهم.. وكان جميع الطلاب قد ذهبوا..

– عادي تجربي تطيري.. زي ما تقدري تجربي أي حاجة.. أنا زمان لما كنت بحلم.. كنت دايمًا بطير.. أو بلعب كرة.. بتمرن عشان أغلب صحابي على الحقيقة.. بس بطلت أحلم..

كان وجهها الطفولي عليه أعتى علامات الاستغراب وعدم الفهم الآن:

– إزاي يا عمرو؟ أنا مش فاهمة حاجة..

كان رائعًا ذلك الإحساس بعد أن فقدته لعدة أيام دون أنيس بهذا الفصل الخالي.. أن أتكلم وأن يرد عليّ أحدهم مهتمًا.. وليس بأي إنسان.. بل (أمنية)

– مش فاهمة إيه بالظبط؟

قامت، وظلت تمشي مثلما أفعل

– مش فاهمة إزاي بطلت تحلم.. وإزاي بتطير.. وتقريبًا مش فاهمة كل كلامك.

حاولت أن أبحث عن طريقة مبسطة داخل عقلي؛ لتجعلها تفهم.. ما لا أفهم كيف لا تفهمه؟

– انتِ بتعملي إيه في أحلامك؟

ضيَّقت حدقتها، وابتسمت ابتسامة ساحرة متمكنة من سحرها..

– بلعب كورة..

ابتسمت وقلتُ لها وأنا أجري داخل الفصل الواسع باحثًا عن أي شيء يصلح ككرة حتى وجدت هذه العلبة الفارغة.. فدفعتها بقدمي ناحيتها.. ودفعتها هي ناحيتي مبتسمة.. قائلة:

– أنا مش بحلم كتير.

وظلت الكرة – العلبة الفارغة – تأتي من قدمي إلى قدمها والعكس.. وأكملتْ:

– بس أنا فاكره كام حلم.. كنت عبارة عن عصفورة.. وكان في واحد بعيد..أنا كنت لوحدي وكنت عايزة اروحله وماسبوش لوحده.. لكن هو فضل مكانه.. مع إنه كان يقدر يطير وعنده جناحات..

تعجبت أنا تلك المرة، وأنا أرفع تلك العلبة بقدمي بمهارة..

– طيب إيه اللي خلاكي واقفة؟ ليه مارحتيش انتِ؟

– مش عارفة.. بس أنا قمت من النوم فرحانة.. لإني مش فاكره باقي الحلم.. تقريبًا كان له باقي!

وسكتتْ قليلًا، ثم قالت:

- مث عارفة بقى..

قالتها مقلدة فتاة صغيرة، وكأنها فتاة كبيرة!

- بسِ أوحش حلم حلمته..كنت واقفة في حتة زي الجنة.. بس مرة واحدة بدأت أبعد..وكل حاجة بتروح وبتضيع.. وحاجات غريبة بتطلع من الأرض.. وقمت خايفة قوي!

ثبتُّ تلك العلبة الفارغة تحت قدمي، وأنا أنظر إليها قائلًا تلك المرة باستغراب حقيقي:

- إزاي يبقى حلم وحش.. إزاي يبقى حاجة انتِ بتختاريها وحشة.. طيب ليه اخترتيها؟

شعرت هي بالتعجب أيضًا، فشعرت أنها لا تفهم ما أتكلم عنه.. وأنها تتكلم عن شيء آخر، أليست تتكلم عن الأحلام؟!

هل الأحلام تختلف من شخص لآخر؟ ولكن أكد لي هذا جملتها التالية..

- لا إزاي بختارها.. دي حاجة غصب عني!

حاولت أن أفهم منها أكثر..

- هو انتِ بتحلمي إزاي لما بتنامي.. مش بتلاقي نفسك مرة واحدة في أودة ضلمة.. وانتِ اللي بتختاري تعملي إيه.. وترسمي أي حاجة وتعملي مشهد.. أو أي حاجة تتخيليها تحصل ومايتفعش يـــ..

ولكن هذا التعبير على وجهها.. جعلني أمثل ضحكة وأنا أعطيها العلبة التي تلعب دور الكرة، قائلًا:

– ماتخافيش كده يا أمنية.. بهزر معاك.

ابتسمتْ.. أعطتني العلبة مرة أخرى بمكان بعيد عن مكان وقوفي.. فأعطيتُها ظهري ولعبتها بظهر قدمي وأنا أفكر..

أحلامي تختلف عن أحلام (أمنية).. هل لكل البشر نوعٌ مختلف من الأحلام، أم أنا فقط المختلف؟!

***

حضنت وسادتي ونظرت إلى السقف، أنا لا أحب الأحلام.. كنت مندمجًا بالواقع محققًا به كل ما أريد.. عندما كنت أحلم كان فقط بعض التحليق السريع الذي لا يضر.. لكن ماذا لو ذهبت مرة أخرى داخل ذلك العالم.. عالم الأحلام.. حيث أستطيع التحكم بها وفعل ما أريد.. فكرت قليلًا.. ولكني كنت أشعر بالملل.. الملل من ذلك الإحساس.. ربما بعض التحليق سيكون جيدًا..

ذهبت للنوم، وعندما بدأت أشعر مرة أخرى بالأشياء.. كنت داخل تلك الغرفة المظلمة داخل عقلي.. وداخل حلمي.. بدأت بتغيير المشهد، وبالتحليق فوق هذا العالم.. هل يكون شعور الطائر مثل ذلك بالعالم الحقيقي؟ ماذا أريد أن أفعل؟! لا أعرف لماذا أشعر بذلك الإحساس؟

إحساس أنه لا فائدة من أي شيء سأفعله هنا.. هنا داخل عقلي حيث كل هذا خيال.. كل هذا هو خيالي البحت.. بماذا شعرت (أمنية)؟ وكيف كان إحساسها عندما حلمت ذلك الحلم البغيض؟

إحساس حلم بغيض.. هذا غريب.. ربما أجرب هذا يومًا ما.. أرسم حلميها داخل عقلي وأرى كيف كان إحساسها!

***

كنت مندمجًا تمامًا داخل الخيال، جالسًا داخل عقلي ألعب برجُلي الآلي أو بصورة رجلي الآلي التي رسمتها داخل عقلي.. وأمامي كانت جميع الألعاب التي رأيتها داخل محل الألعاب، ورفضت أمي أن تشتري لي إحداها لارتفاع ثمنها.. لقد جربت إحساس (أمنية)، لقد كان إحساس ذلك الحلم كريهًا بغيضًا، ولكن من وقتها وكلما مللت من الأحلام أجرب حلميها، أقف أمام الجنة ليخرج الظلام ليكتم على أنفاسي.. أحيانًا أجعل نفسي العصفور، وأحيانًا أخرى الفتى الذي لا يتحرك.. ذا الأجنحة الذي لا يطير.. محاولًا استدعاء إحساسها..

لقد علمت أن ما لدي هبةٌ لم يحصل عليها أحد.. فبعد أن تكلمت مع أصدقائي وكيف يحلمون.. كانت جميع أحلامهم مثل أحلام (أمنية).. لا أعرف لماذا تحديدًا أكرر أحلام (أمنية)، ربما لأني أحبها، وأريد أن أعرف كيف كان شعورها كلما نسيته.. ربما لأني أريد أن أحلم في بعض الأوقات أحلامًا طبيعية حتى لا أبدو غريبًا تمامًا.. لا أعرف حقًا لماذا تحديدًا؟

نظرت لرجلي الآلي قائلا إني أستطيع رسم يد وقدم جديدتين له، أستطيع أن أمده بالأميرة الجميلة الآن.. أستطيع أن أمده بجميع الأشياء التي يريدها، لكنها ستظل خيالًا يا صديقي.. كانت الأميرة الجميلة التي أحبها الآلي قديمًا اختطفت مرة أخرى من قبل الدببة الشريرة بعد أن تعاونت مع المكعب الأحمر الخبيث، وكان هو ذاهبًا لينقذها..

لقد اندمجت تمامًا داخل الخيال.. أصبحت أصنع أحلامًا مختلفة بكل يوم..بعد أن أصبحت سمينًا، وبعد أن أصبحت وحيدًا، أصبحت أحلامي هي واقعي.. وواقعي هو مكان الحلم، لقد علم ذو اليد الواحدة باختطاف الأميرة وعلم أيضًا أن ذا اليدين بمعركة الآن مع المكعب الخبيث والدب الأكبر، ولقد قرر الذهاب لتدمير المكعب الأحمر الخبيث عدوه اللدود..

ذهب وبدأت الحرب، كانت المعركة عنيفة.. ولكنه استطاع وهو يقاتل جنبًا إلى جنب مع ذي اليدين أن يدمر المكعب الخبيث، ولكن الدب الأكبر استطاع أن يمسك بالأميرة التي حاولت الهرب مهددًا ألا يقترب أحد منه، ومن ثم ودون سابق إنذار وقبل أن يتحرك أيٌّ من الآليين من مكانه.. قطع للأميرة يدها.. وبدأ الهرب نظرًا لأنه لم يجد أعوانه بجانبه..ولكن قبل أن يستطيع الهرب تدخل ذو اليد الواحدة ودمر الدب بسلاح جديد – تخيلته له – من ضربة واحدة..

جرى ذو اليدين.. لكن عندما رأى الأميرة بيد واحدة قال لذي اليد الواحدة إن منظرها أصبح قبيحًا الآن.. وتركه وتركها وحلق بعيدًا..

عندما أفاقت.. وجدتْ ذا اليد الواحدة بجانبها.. كانتْ تبكي لأنها علمت أن ذا اليدين تخلى عنها وذهب دون رجعة.. فقال لها ذو اليد الواحدة.. أصبحت مثلي الآن.. عندما اخترته لم تختاريه بسبب الحب..الحب هو حب الروح.. وأنتِ أحببت شكله فقط.. وعندما أحببتك أحببت شكلك وروحك.. وكل ما تفعلينه ولا تفعلينه.. كل تصرفاتك وحركاتك.. كل ما بك.. فإن ذهب شكلك مثلما ذهب الآن.. فسأظلُّ أحبك، بل أكثر من السابق.. لكن هو أيضًا كان مثلك.. أحب شكلك.. وشكلك فقط..

من ثم تركها، وبدأ يعرج ذاهبًا إلى حيث لا أعلم.. فتخيلتُ له قدمًا ويدًا، كانت الأميرة تبكي ماسكة إياه من يده المسلحة قائلة لا تتركني.. ولكن تحول المشهد واختفت الألعاب..

كان كل شيء واضحًا تمام الوضوح..

كنت تعبًا مرهقًا في كل جزء من أجزاء جسمي..

وكان المطر يهطل بشدة..

وأنا أنظر إلى نفسي..

أطير في الهواء.. لكني أسقط..

أسقط!

***

هذا السقوط على رأسي.. لماذا من وقتها أشعر أن جميع الأشياء أمامي تتحرك ببطء؟ أشعر بالإرهاق.. نظرت إلى لعبي ومن ثم نظرت إلى فراشي ووسادتي..

دخلت أسفل أغطية الفراش.. غالبًا ستتعجب أمي من ذهابي للفراش مبكرًا اليوم.. لكني لا أستطيع اللعب.. أريد النوم الخالي من الأحلام.. أغلقت عينيّ وعلى الأرجح ذهبت إلى نوم عميق.. لكن وجدت أني داخل الغرفة المظلمة وهناك شيء مختلف هذه المرة.. كانت هناك نافذة فضية اللون لامعة.. ذهبت إليها وكأنها تجذبني مُتعجِّبًا.. فتحتها لأجد أنها تطل على شارعنا.. ولأجد نفسي – هذا أنا – ذاهبًا إلى المدرسة حاملًا حقيبتي.. حلقتُ بالهواء لأهبط بجانبي.. كنت لا أراني.. وعلى عكس العادة.. لا أتحكم بالحلم.. لا أستطيع تغيير شيء.. هل هذا من ذاكرتي؟ ظللت أمشي خلفي كان شعورًا مريبًا.. ولكني كنتُ لا أدرك أني خلفي وأراقبني.. وصلت إلى المدرسة وبدأت الحصص..هذا يومي..أحداث البارحة..ظللتُ أراقبني مستمتعًا بذلك التغيير في أحلامي وتلك القدرة الجديدة.. كانت (أمنية) موجودة بالفصل..كانت لا تشعر بوجودي أيضًا.. ظللت أقفز على الطاولات والمُدرس يشرح الدرس..انتهت الحصة تلو الحصة حتى جاءت الاستراحة.. شعرت بالغضب فتوقف المشهد تمامًا..كل شيء ثبت بمكانه..شعرت بالتعجب.. ونظرت لنفسي حيث لم أكن أنظر إليّ..تحسستُني فوجدتني أدخل بداخلي.. وأتلبسني.. وبدأ المشهد يستكمل من حيث توقف.. بدأ جميع الطلاب بالنزول والذهاب إلى الأسفل حيث الفناء.. تمنيت أن تنتظر (أمنية) معي مثلما فعلنا سابقًا منذ سنتين حين تكلمنا عن الأحلام.. فوجدت أنها توقفت.. وجدتها تلتفت لي وتقول بصوتها الطفولي وهي تخرج كرة صغيرة من حقيبتها:

– تعالي نلعب كُرة.. زي المرة اللي لعبنا فيها قبل كده.. أنا جبت كرة بجد.. مش هسيبك لوحدك..

ظللنا نلعب ونلعب، حتى استيقظت من النوم شاعرًا ببعض الراحة.. بعد أن قضيت نومًا دون أحلام.. دون أحلام تمامًا كما تمنيتُ.. وربما اليوم سيكون رائعًا مثل البارحة.. ربما تأتي (أمنية) بالكرة الصغيرة ونظل نلعب..

تمامًا مثلما فعلنا البارحة، وكما قالت لي إنها لا تريد أن تتركني وحيدًا.

***

دق جرس نهاية الحصة معلنًا بدء الاستراحة، وبدأ الجميع بالذهاب إلى الفناء تاركين إياي كالعادة، لكني ذهبت إلى (أمنية) سريعًا قائلًا لها بكل فرحة:

– جيبتي الكُرة بتاعة إمبارح؟

نظرت لي في صمت، وأعتى علامات عدم الفهم على وجهها:

– كُرة إيه؟!

– الكرة الصغيرة بتاعتك اللي قعدنا نلعب بيها..

زادت علامات عدم الفهم، وزادت عندي أيضًا وأنا أقول لها:

– الكُرة بتاعتك.. إمبارح.. لعبنا.. خلاص مش مهم.. أنا جبت الكُرة بتاعتي..

استدرتُ وذهبتُ إلى حيث حقيبتي، وظللت أبحث حتى وجدت كُرتي الصغيرة مختبئة خلف أحد الكتب، فأخذتها فرحًا مستديرًا إلى حيث كانت تقف (أمنية) منذ قليل، لأجدها ذهبت ناظرة لي من عند مدخل باب الفصل بأعتى علامات التعجب على وجهها.. ذهبت وتركتني وحيدًا كالعادة.. لماذا؟

أمسكت كُرتي الصغيرة بيدي، وجلستِ على الأرض – غير مهتمٍّ بنظافة ملابسي – حزينًا.. غير مستوعب لماذا فعلت هذا؟

لماذا تركتني وحيدًا وقد قالت لي إنها لن تفعل؟

ظللتُ أرمي الكرة على الحائط لتصطدم به ولأستعيد استقبالها بيدي مفكرًا، لماذا فعلت (أمنية) هذا؟ وصوت الكرة الرتيب هو كل ما أسمع.

***

أشعر بالإرهاق.. نظرت إلى لعبي ومن ثم نظرت إلى فراشي ووسادتي..

دخلت أسفل أغطية الفراش.. غالبًا ستتعجب أمي من ذهابي للفراش مبكرًا اليوم.. لكني لا أستطيع اللعب.. أريد النوم الخالي من الأحلام.. أغلقت عينيّ وعلى الأرجح ذهبت إلى نوم عميق.. لكن وجدت أني داخل الغرفة المظلمة.. وهذه النافذة الفضية التي تطل على ذكرياتي..

***

اليوم السابع عشر منذ أن بدأت ألعب مع (أمنية) الكُرة كل يوم، ولم أعد وحدي عندما يتركني جميع أصدقائي بعد الآن.. اليوم السابع عشر وأنا بقمة سعادتي.. كل يوم أذهب لها عندما يحين وقت الاستراحة، وكل مرة لا تمانع ونظل نلعب معًا بكرتي أو بكرتها وأحيانًا بالكرتين معًا.. اليوم أتيت بكرتي الكبيرة بعد أن خبأتها من أمي داخل حقيبتي وظللتُ منتظرًا انتهاء الحصص.. أُحصي الوقت حتى تأتي الاستراحة، وعندما سمعت الجرس أخيرًا وبدأ الجميع بالذهاب إلى الفناء بالأسفل.. جريتُ عليها، وقلت لها:

- النهاردة جايب لك مفأجاة..

نظرت لي وبتعبير لا أحب أن أراه على وجهها قالت:

- انت غريب.. انت بجد غريب..

وهرولت لتتركني.. لا أعرف لماذا فعلت هذا، لكني لم أهرول خلفها، لقد كنتُ أريد أن أرى تعبير الفرحة على وجهها عندما أظهر لها الكُرة الكبيرة من حقيبتي، لكني شعرت بالإحباط الرهيب الآن.. يبدو أن الجميع بهذا العالم بدأ يكرهني.. جلستْ على طاولتها، ووضعت رأسي بين يدي غير عالم لماذا لم تظل معي؟ لماذا تركتني أشعر بهذا الإحساس البغيض؟ لماذا تركتني هنا وحيدًا؟!

***

أشعر بالإرهاق..نظرت إلى لعبي ومن ثم نظرت إلى فراشي ووسادتي..

دخلت أسفل أغطية الفراش..غالبًا ستتعجب أمي من ذهابي للفراش مبكرًا اليوم.. لكني لا أستطيع اللعب.. أريد النوم الخالي من الأحلام.. أغلقت عينيّ وعلى الأرجح ذهبت إلى نوم عميق.. لكن وجدت أني داخل الغرفة المظلمة.. وهذه النافذة الفضية التي تطل على ذكرياتي.. كنت غاضبًا داخل الحلم، وبدأت بتبديل أحداث يومي مثلما أفعل كل يوم.. ولكن (أمنية)، لقد قالت لي إني غريب، وعلى الأرجح سأحاول معها هذا بالغد مجددًا.. هل أنا غريب؟ لماذا لدي هذه القدرات العجيبة؟ لماذا أستطيع محو أحداث يومي وتبديلها بهذا الشكل الذي يريحني.. لكن عندما أستيقظ أظن أن هذا قد حدث البارحة حقًا..الخيال..نظرت لنفسي وأنا ذاهب إلى المدرسة سعيدًا..كنت أفكر وقتها في فرحة (أمنية) عندما سترى الكرة الكبيرة التي ظللتُ طول البارحة أخطط كيف سأهربها من البيت.. كنت أظن وقتها أنها ظلت معي بالفصل سبع عشرة مرة ولم تتركني وحيدًا.. لم أعرف إن كل هذا كان بسبب عبثي بذكرياتي وأحداث يومي.. كنت حتى لا أعلم أن الكرة الصغيرة لم نلعب بها ولو لمرة واحدة..

يجب عليّ أن أتوقف، سأترك اليوم دون أن أغير به شيئًا.. سأتحمل الألم، أنا أستطيع هذا.. لا أريد أن أكون غريبًا.. لا أريد هذا.. عدت إلى غرفتي المظلمة حيث وجدت ألعابي الخيالية.. واختفت النافذة بناء على رغبتي.. كنت أبكي.. أبكي دموعًا ليست حقيقية.

***

لا أعرف لماذا ضحكت، ولا أعرف لماذا كنت شديد الفرحة وأنا ذاهب إلى النوم والدماء تسيل مني، بعد أن حطمت تلك المرآة، بعد إصابتي بحالة لا أعرف مسمى لها.. بعد أن رأتني (أمنية) على هذا النحو، وبعد أن ضربني (البغل) وأصدقاؤه عندما تتبعني وأنا ذاهب خلف (جميلة).. ولكن عندما أغلقت عينيّ وعندما وقفت داخل تلك الحجرة المظلمة.. ظهرت هذه النافذة الفضية فعلمت كل شيء، علمت أني لن أحذف ما حدث اليوم فقط..سألغي الكثير من الأشياء.. سأبدل (جميلة) مكان (أمنية) بذكرياتي.. حتى أتوقف عن جرحها.. وعندما أستيقظ بالغد.. لن تكون هناك (أمنية).. وعلى الأرجح لن أعرفها.. لن أكون غريبًا بعد الآن كما كنت قديمًا.. سأبدل حلميها اللذين كررتهما كثيرًا ليصبحا حلميَّ الطبيعيين، وسأتذكر هذا أني أحلم مثل جميع البشر الآخرين.. سأبدل كل شيء، وآخر ما سأفعله أني سأتنازل عن هذه القدرة، لا أريدها مرة أخرى.. فتحت النافذة الفضية ورأيت أيامي.. آلاف الأيام.. وملايين النسخ مني.. ملايين المواقف والأحداث.. وجدت أنها تطل علي حياتي.

***

24

الصديق

"أو يمكن عشان أنا وانت واحد.. أنا انت.. وانت أنا.. انت محتاج تكلمني وأنا محتاج أسمعك وأرد عليك لو سمح الأمر.. عشان كده أنا عايزك تكلمني وتقولي وتجاوبني علي سؤالي.. مالك؟!"

***

كنت أنا.. هل أحلم؟!

داخل شارع ضيق والضباب حولي.. أين أنا؟ لا أستطيع التذكر، عقلي يشعر بالصفاء للغاية،ولكنه يشعر بالتشوُّش أيضًا لعدم استطاعتي استعادة آخر شيء من الذاكرة.. العقل وألاعيبه..

ظهر هذا الظل من الفراغ، لأعرف الآن أين أنا.. أنا.. بجسدي الفعلي وليس بجسمي الأثيري أو على الأقل هذا ما شعرتُ به.. ظلَّ

متموج بلا ملامح وقف أمامي حائرًا.. ولا أعرف ماذا يريد؟ لكن يبدو عليه أنه يريد شيئًا ما.. كنت أضع يدي بجيبي وأعطيته ظهري.. ناظرًا إلى الضباب..

– ليه عملت كده فيا؟ ليه مش بتحبني؟!

ظللت ناظرًا إلى الضباب غير متكلم.

– لــ .. ــيــ .. ــه؟

قالها بالضغط على كل حرف.. ليترك عقلي فكرة آخر ما يتذكره ولأجد أني أقول كلامًا أعلمه:

– متخيل لما تحب حد تحبه قوي.. تحبه فعلًا.. وتبقى مستعد تموت عشانه ف أي لحظة لو لزم الأمر.. تموت بجد.. عارف لما الشخص ده مايحبكش.. تبقى انت نفسك تكون معاه وهو مايعرفش انت مين.. مش فاكرك.. انت مش بتنام بالليالي..وهو نايم ومايعرفش..إنك تبقى لوحدك..كنت لوحدي..دايمًا لوحدي في كل حاجة وأي حاجة.. حتى وأنا وسط الناس برضه كنت ببقى لوحدي.. لحد ما حبيتها وكل حاجة اتغيرت.. كل حاجة.. ماعرفتش أرجع لوحدي.. بقيت بحس إني لوحدي.. بقيت لوحدي بس نفسي هي تبقى معايا.. بقيت واحشاني ف كل ثانية أنا فيها لوحدي.. وأنا لوحدي ف كل الثواني

لم يتكلم لم يرد عليّ.. لم أكن أنتظر الرد.. كان ظهري له.. ناظرًا إلى الضباب.. لم أكن أعلم إن كان لا يزال هنا أم لا..

– عارف لما تبقى عارف إن مهما اتكلمت وحكيت.. لو حد سمعك مش هيصدقك.. ولو صدقك فهتبقى انت مجنون ف نظره.. لما

تشوف الإنسان الوحيد اللي انت عايز تبقى ف الدنيا دي معاه وهو مش معاك.. لما تبقى بتعرف تحس كل حاجة.. تحس ألم وتعب الناس.. تحس الفرحة لو حوليك ناس فرحانة.. إنك تبقى بتعرف تحس كل حاجة.. وتحس إن الإنسان ده اللي انت بتحبه.. مش بيحبك

الصمت التام والهدوء المفزع.. الهدوء الصاخب.. أكملت ولا أعرف لماذا:

– أنا مش فاكر إني عشت.. ولما ببص على الماضي كل اللي بلاقيه الألم..أنا كنت غريب والطبيعي بيتمنى يكون غريب.. والغريب.. بيحسد الطبيعي صدقني انت ماتعرفش الإحساس ده.. انت ماتعرفش أبدًا.. انت ماتعرفش قد ايه الألم.. انت ماتعرفش حاجة.. محدش عارف حاجة.. محدش هيحس باللي أنا مريت بيه.. محدش في الدنيا دي كلها.

شعرت بالتوتر المختلط بالغضب، وأنا أكمل:

– عارف.. أنا ماعرفتش معنى كلمة الحب دي ف أي يوم وأنا صغير.. الكلمة اللي كل الناس بتتكلم عنها واللي صنعوا منها الأفلام والموسيقي.. الكلمة السحرية.. اللي غيرت ناس للأحسن وضيعت ناس تانية.. كنت بسمع عنه.. الحب.. الحب.. ف كل مكان رحتوا وكل مكان مارحتوش.. بسمع الكلمة دي من غير ما أعرف معناها.. ماعرفتش الحب مع إني كنت بحب معظم الناس.. حرمني الزمن من الحب وحكم عليا بالوحدة الممزوجة بالألم.. مع إني فكرت إن عمري ما هحب.. وفكرت إن لو حبيت حياتي هتتغير وهتبقى أسعد حياة

على وجه الأرض.. ولما حبيتها ماتوقعتش لحظة إن كل ده يحصل.. ماتوقعتش إني هحبها كده وإن جوايا كمية الحب دي.. لا.. لا.. أنا ماحبتهاش..ف العالم اللي إحنا فيه ده..الكلمة دي بقت سهلة قوي..بقى كل الناس بيقولوها من غير ما يعرفوا معناها.. أنا فعلا ماعرفش شعوري ناحيتها ده إيه..إلا إنه حاجة أكبر من الحب.. عارف قبل ما أشوفها.. ف أول مرة شوفتها بعد ما فرقنا الزمن وجمعنا تاني كان جوايا إحساس بالفرحة.. لكنك مش عارف الفرحة دي جاية منين.. كنت فرحان وبس.. عارف لما دخلت القاعة دي وقبل ما أشوف وشها أو أعرف إنها هي حسيت الإحساس ده اللي علطول وصفه كان الأصعب لكن وبكل بساطة حسيت إن نسمة مرت جوايا لمست روحي خلتني أحس بالرعشة اللي علطول نفسي أعرف مصدرها.. لكن صدقني...

سكتُّ قليلًا من الألم الذي يعتصرني:

– صدقني مش أي حاجة عايز تعرفها هتعرفها.. ل..لكن لما تبكي من الألم ومحدش يمسح دمعك.. ت..تصرخ ومحدش يسمعك.. تسأل ومحدش يجا..وبك.. إن..إنك ماتعرفش إيه اللي بيحصلك وبيح..صل ليه.. أنا.. دلوقتي.. أنا مين جاوبني؟

استدرت إليه، كان لا يزال بمكانه، ظِلٌّ بلا ملامح يتموج ولكنه تكلم:

– انت عمرو حسن.

- عمرو حسن.. هنا.. اسم غريب عني.. عمرو كان طفل الناس بتحبه.. كان ذكي وأنا غبي.. عمرو شجاع وأنا جبان.. عمرو..

- انت.. عمرو.. انت اللي جواك الذكاء بس بتحب تستخدم الغباء.. جواك الشجاعة وبتستخدم ضعفك.. جواك كل حاجة كنت هتتكلم وتقلها بس انت بتستخدم النص اللي مش المفروض تستخدمه..كل واحد فينا بيتولد.. بيتولد جواه حرب بينه وبين نفسه حرب بتكبر معاه وعمرها ما بتنتهي..حرب جواك والنص اللي يكسب هو اللي بيحكم.. هو اللي بيسيطر ويبدأ يقلل من النص التاني لحد ما يمحيه.. وتخيل مش مهم إنك تكسب الحرب دي على قد ما المهم إنك تفضل تحارب.. لإنك لو أستسلمت كإنك بتسلم البلد من غير حرب.. بتمحي فرص الفوز عشان تبقى الخسارة.. عشان كل واحد فينا العدو المثالي لنفسه.

ظلّ غبي متموج.. كنت أشعر بالغضب والضعف..لكني قلت له:

- دايمًا بنحب نعرف إيه اللي ورا الباب المقفول.. إيه اللي جوا الأوضة دي.. وتبقى هتتجن لو ماعرفتش ولو صعب ومستحيل إننا نفتح الباب بيتحول ده لإنه يبقى هدفنا ف الحياة.. بس ف موقفي أنا.. مكنتش عايز أعرف إيه اللي ورا الباب.. لأ.. أنا اللي كنت ورا الباب.. كنت فاكر إن الأوضة الصغيرة والأربع حيطان دول هما الدنيا وكنت راضي بكده.. ومكنتش عايز أطلع من العالم الصغير.. لكن هما اللي كانوا عايزين يعرفوا اللي ورا الباب.. واتحولت بقيت قصة.. صدقني انت ماتتصورش إنك تكون قصة.. قصة اغرب من

القصص اللي كانت بتتحكي لك.. قصة انت بطلها ومابتلعبش دور البطل ولو كانت إتحكتلك كنت هتسمع من غير تركيز لإنك مش مصدقها.. قصة انت اللي فيها بس مافيهاش أحداث.. قصة انت محورها.. مكنتش قادر أفكر.. كنت كل اللي حاسس بيه الألم ف كل جسمي.. كنت عايز أفضل كده ف مكاني.. نايم أو قاعد.. ماكنتش عايز أعمل أي حاجة.. أكل.. أشرب.. أتكلم.. أفكر.. أضحك.. أحلم..كانت حاجات فقدت معناها..أنا مش عمرو حسن..أنا ماعرفش أنا مين..أنا قتلت عمرو.. زي ما قتلت الطفل ده.. خسرت كل حاجة.. تعرف انت الإحساس ده.. إنك تفقد كل حاجة.. ويكون هدفك ولا حاجة حياتك ولا حاجة.. نجاحك ولا حاجة بكرة ولا حاجة.. إنك تكون ولا حاجة.. وبتفكر في ولا حاجة.. وبكرة مستنيك الولا حاجة.. تقدر تعيش مع كده؟

ناظرًا لي بعينين ليس لهما مكان، وجدت أني أكمل:

- وإنك ماتقدرش تحكي أي حاجة.. اللي سكن جوا منك بيمنعك من ده لسبب مجهول فيزيد ألمك أكتر وأكتر.. تعرف انت معنى الألم، معنى الدموع، الضياع، معنى إنك تشوف الموت كل يوم وكل ليلة بعينيك وبعدين تنجى منه..الجهل لحاجة انت مش عارفها.. كنت بواجه المجهول وكان لازم غصب عني أواجه.. إن كنت عايز تعرفني.. إن كنت عايز تعرف اسمي.. ها.. أنا ماليش اسم.. أنا غامض.. غامض حتى بيني وبين نفسي

- لو كده ليه بتبكي؟ ليه الدمعة دي نزلت منك؟

أحسست بتلك الدمعة على خدي عندما قال هذا، فأخرجت يدي من جيبي ومسحتها؛ لأجدها دمعة سوداء كالليل الحالك.. حدقت بها، ولم أنظر إليه، وأنا أقول:

- يمكن ندمان!

قال لي وأنا أشعر بتموجه:

- غريب الإحساس ده صح.. إنك تندم على أفعالك اللي انت عملتها.. مع إن انت عارف إن لو عملتها هتندم عليها.. وكان ليك حرية الاختيار التام..انت اللي كدبت وصدقت نفسك.. انت اللي اخترت طريقك.. وانت اللي ف إيديك تصلح وتغير كل حاجة.. أو على الأقل تحاول.. انت كنت بتستسلم من قبل ما تحاول.. جرب تحاول..

- كنت بخاف أخسر!

- ما انت خسرت..وهمت نفسك بالشكل.. وقارنت نفسك مع واحد تاني.. مع إن انت أحلى منه وأحسن منه.. بس انت ماشفتش نفسك كده.. مش مهم إنك تخسر.. بس المهم إنك تحاول.. لإنك لو ماحاولتش هتخسر.. ولو حاولت هتكسب حتى لو خسرت

- متخيل لما تبقى مع الشخص الوحيد اللي انت عايز تبقى معاه ف الدنيا دي.. أتخيل إنكوا عايشين مع بعض في أجمل لحظة ما بينكوا.. كلها حب ومشاعر.. ومع إن اللحظة دي مش حقيقة.. هي مجرد حلم.. وانت عارف إنها حلم لكنك بتنكر ده جوا نفسك.. ومصدق إنها حقيقة ومصدق إنها فعلا معاك.. لكن تخيل اللحظة دي

ماتكملش ومرة واحدة تلاقي المشهد بيختفي.. تلاقي الصورة بتبهت زي كتاب أصفر بفعل الزمن.. وتلاقي نفسك كل اللي شايفه حاجة واحدة.. الضلمة.. هي الحاجة الوحيدة اللي انت قادر تشوفها.. ووقتها لازم تصارح نفسك إنك كنت فعلًا بتحلم.. وإن اللحظة اللي ما بينكوا كانت مجرد خيال.. هي ذات نفسها كانت خيال.. فيخاف عقلك يصحى.. لإنه مش عايز لسه يصدق ده.. ولإنك عايز تجرب الإحساس اللي كنت بتحس بيه وقتها.. وماتبقاش قادر تقوم حتى من نومك.. مش قادر تقوم للواقع بتاعك..

صمتُ قليلًا، زاغت الرؤيا قليلًا، وأكملت:

- غمض عينيك.. ونام على ضهرك.. واحبس نفسك.. إتخيل وجرب إنك شايف كل حاجة حواليك لكن عينيك مغمضة.. وإن الإحساس الوحيد اللي مسموحلك تحس بيه هو الخوف.. الخوف اللي انت مش عارف جي منين وإيه مصدره.. الخوف.. اللي مش بيكفيه إنه الإحساس الوحيد.. لكن بيتحول لصورة انت شايفها وعينيك مغمضة.. شوف إيه الخوف بالنسبة ليك وتخيل إنه قدام عينيك بيعذبك.. وكل ده وانت حاسس وداري.. وانت نايم بتحاول تصحى ومش عارف.. بتحاول تحرك إيديك مش عارف.. تتحكم فِ تنفسك برضه مش عارف.. فتحس إنك مش بتتنفس.. مع إنك بتتنفس.. بس النفس اللي يخليك تعيش ويخنقك.. هتحس إنك بتتخنق وهتحس إنك بتموت.. مع إنك وقتها بتفكر نفسك خلاص

مُت.. مع إنك مريت بده ف الليلة اللي قبلها وعارف إن مش هو ده الموت.. لكن زي ما بيبقى شلل لجسمك بيبقى في شلل لتفكيرك.. انت مش هتعرف تفكر ف الحاجات اللي انت عايز تفكر فيها.. مش هتعرف تهدى وتتحكم ف الموقف.. لإن عقلك بيبدأ هلاوس بصرية وسمعية.. ومرة واحدة بتلاقي نفسك صحيت.. بتلاقي الصورة الحقيقية رجعتلك.. وتاخد نفس عميق.. ويرجع لك تحكمك في جسمك.. لكن وسط كل الهلوسة اللي بتبقى فيها.. وتوهان الأفكار اللي حالة عقلك بتكون عليها.. وقتها.. بيبقى إحساس واحد بس هو اللي مسيطر عليك.. ومش الخوف المرة دي إنما إحساس بالــ.. إحساس بالــ.. مش عارف إيه الإحساس ده.. يمكن لسه ماعرفوش اسمه.. لكن كل تفكيرك بيبقى إنها كانت معاك من أقل من دقيقة.. كانت صورتها قدامك ودلوقتي هي مش معاك.. دلوقتي هي بعيدة عنك.. دلوقتي.. هي في عالمها وانت في العالم بتاعك الحقيقي.. فتحاول تنام تاني وتهرب من العالم بتاعك.. عشان تبقى في العالم بتاعها الخيالي.. عشان تبقى معاها تاني أو تحاول تبقى معاها تاني.. ويتكرر السيناريو تاني وتالت وتدور في الدايرة.. لكن عارف.. رغم إنهم وصفوا إحساس شلل النوم بإنه أسوأ إحساس من تجربة ممكن تصيب ابن آدم.. ومع إن ده كان بيحصلي كل يوم.. وكتير أكتر من مرة في الليلة الواحدة.. والنومة الواحدة.. إحساس لما كنت بقوم.. وبعد ما عقلي يصفى من الهلاوس وتوهان الأفكار.. مكنتش

بلاقيها جنبي أو معايا.. والإحساس ده هو اللي كان أسوأ منه وأكتر منه ألمًا..

توقف تمو جه بدا وكأنه جسم صلب، وهو يقول لي بصوت هادئ:

- دايمًا بيبقى في يوم وانت صغير.. وانت لسه صفحة بيضا مالوثكش الناس باللي عملوه في الدنيا.. وانت لسه شايف الأمل والحب.. بتشوف جزء من مستقبلك.. في ناس بتصدق وناس بتخاف وناس مابتعرفش إن اللي انت شفته ده وبكل جماله وروعته.. ممكن يكون فعلًا مستقبلك.. بس باتخاذك انت القرار بكده.. عشان أي قرار من قراراتك.. وتصرف من تصرفاتك النهاردة.. هي اللي بتعمل بكرة وتحقق حلمك.. انت شفت الحلم بس انت اللي بتختار تحققه ولا لأ.. بس انت كنت شايف حلمك وحاطط إيدك على عينيك.. كنت بتوصل لنقطة معينة.. نقطة انت حلمت توصلها عشان تعديها.. لكن أول ما بتوصلها بتخاف تعدي.. بتلاقي نفسك بتلف وترجع تاني من الأول عشان تحاول توصلها.. مع إنك كنت هناك بس من الخوف.. كنت بتمسك حاجتك اللي بتحبها وتقتلها بإيديك.. وبعد كده تندم عليها وتتألم.. كنت بتعمل الحاجات اللي انت مش عايز تعملها.. وعارف إنك مش عايز تعملها وعارف إنك تقدر ماتعملهاش.. لكنك كنت بتعملها.. كإنك بتكره نفسك.. أو بتكره تشوف نفسك نجحت أو حققت حاجة.. يبقى بأي منطق ده.. يخليك ليك الحق تندم عليها

كنت أتكلم، كنت أنا من أتكلم.. آخر ما أتذكره هو أني كنت أريد مقابلة (بلايس)؛ ليجعلني أقابل (جميلة)، ولكن ما هذا الضباب؟ لماذا يبكي (بلايس)؟ ولكني تابعت دون أن أعرف ما أنا بقائل:
- هسميه الخط الأحمر.. الخط اللي انت بتفضل تحارب طول القصة عشان تعرف تعديه.. عشان تعيش حياتك ف الدنيا اللي بعد الخط الأحمر..لكن بعد ما تقاتل وتعدي كل المصاعب وتتعب وتخطط وتعيش جوا القصة.. إنك تحلم وتسرح في حلمك..بس ماتنساش تنفذ وتتعب أكتر ما انت سرحت.. وتنسى تعبك وتتعب تاني وتاني.. وماتستلمش أبدًا..إنك ماتسبش الخوف يعيش جواك.. مش إنك تتفرج على حلمك من بعيد لبعيد مستنيه يجيلك.. طب إزاي هتقدر تعدي الخط الأحمر.. إزاي عايز النتيجة بنجاحك من غير إمتحان.. بعد الخط الأحمر.. بتشوف البطل مع حبيبته والقصة بتخلص.. لإن القصة هي إزاي تعدي الخط الأحمر.. قولي قصة واحدة بدأت بعد الخط الأحمر.. قصة بدأت من غير حرب.. من غير تعب.. قصة بدأت من نهايتها وانتهت.. قصة.. إن الحبيب مع حبيبته وإنهم عايشين مع بعض في حب وسعادة وسلام.. لإن ساعتها هيبقى مفيش قصة

ألم برأسي.. ألم لا يوصف على الفراش.. أشعر أني أبكي بجسدي الفعلي الذي على الفراش.. أبكي وأنا نائم

- ليه مش بتحبني؟

نظرت إليه، كان بدأ التموج مرة أخرى، وكان يبدو عليه أنه يتألم، فقلت له:

- الناس.. البشر.. أنا بكره الناس لإنهم مليانين جشع وطمع وحب النفس وعشق الذات..مليانين كراهية وحقد وحسد.. مع إنهم كان ممكن يكون عندهم الحب.. عندهم الرحمة..حب الخير للغير.. لكن بقت متعتهم لما يشوفوا العذاب في عينيك.. ويعرفوا إنهم السبب..إنهم يذلوك ويفتخروا بكده.. مكنتش عايزني إزاي أروح لعالم تاني.. عالم أنا اللي صنعته.. عالم خيالي.. ذكريااات.. مالهاش وجود.. بس كل اللي بتمناه بيتحقق.. كل حاجة عايزها بتحصل.. أنا هربت بس عشان ماقدرتش أستحمل كل الألم ده..وكنت وصلت لمرحلة إني مش بحس بالألم

الألم.. رأسي سينفجر.. أتموج بشدة ناظرًا إليه، إنه يبكي بغزارة ودموعه السوداء تجعل عينيه تظهران..

- إنك ماتحسش بالألم صدقني هو كل الألم.. القوة بتعمي كويس قوي.. وياريتها بتعمي بس.. دي بتخليك تشوف الحاجة على عكس صورها.. بتخليك تفتكر إن هما الضحايا.. مع إن انت هو الضحية.. فتيأس وتتألم وده مش هيديك إلا يأس أكتر.. عمرك شوفت حد بيحارب جيش العدو بإنه يقتل جيشه.. إنك ترضي باللي معاك وإنك تقاتل يأسك وأي إحساس سلبي وماتديش ليه الإهتمام اللي هو عايزك تدهوله هما بداية الطريق للفرحة والنجاح.. والماضي هيفضل ماضي.. والمستقبل هو اللحظة اللي انت فيها دلوقتي.. عارف.. ساعات بندمج الواقع بالخيال عشان نخلي الواقع أحلى..لكن ساعات الخيال بيدمج نفسه بالواقع.. وساعات الخيال بيبقى واقع.. وساعات

الواقع بيبقى خيال.. وساعات الخيال في لحظة بيتحول يبقى كابوس.. زي الحياة والواقع ما في لحظة ممكن يبقوا كابوس.

تلك الدموع القبيحة لا أريدها، أنا لا أشعر.. من أين تأتي إذن؟ ذلك الظلّ الغبي لماذا لا يتوقف عن الكلام؟ أشعر بالألم برأسي، وقعت على ركبتي، وكذلك رأيته يفعل، ولكنه أكمل:

- طريقنا عكس التيار.. بس إحنا بنمشي مع التيار.. أو بمعنى أصح.. بنسيبه هو يمشينا.. الناس مش مهم نظرة الناس ليك.. مش مهم رأيهم.. وجحا وحماره أكبر مثال.. لو حاولت ترضي الناس مش هترضي حد.. المهم إنك انت تبقى راضي.. المهم انت شايف نفسك إزاي.. وزى ما انت هتشوف نفسك هما كمان هيشوفك.. كل واحد فينا.. عنده جزء جواه مخبيه..جزء أسود.. والذكي اللي يسيطر على نفسه.. يتحكم في تصرفاته.. يبقى نفسه.. إنما لو قلقت.. قلقك هيوديك لخوفك.. هيوديك لإنك ماتستخدمش العقل.. هيوديك لضعفك.. هيوديك لحاجات تانية كتير قوي انت جربتها..

البكاء وتلك الدموع السوداء تعمي عينيّ..

يجب عليّ أن أكمل، عيناه تتحولان إلى لونهما الطبيعي..

- ماينفعش تعاند نفسك على الغلط.. ماينفعش تبقى عارف إنك غلط وتقنع نفسك إنك صح.. وتهرب من الصح وتخاف منه لإنك مستريح في الغلط.. بس لكل حاجة نهاية.. ونهاية الغلط والضعف في حياتك ده غلط.. ونهاية الصح أصح.. انت عارف إن كلامي ده صح.. بس انت خايف تصدقه عشان هيغيرلك حياتك للأحسن..

خايف..زي ما خفت من كل حاجة..خفت تعيش حياتك.. فكرهتني.. كرهت نفسك.. خفت تحبها.. خفت تقربلها.. أقنعت نفسك إن هي مش بتحبك.. رغم إنك ماحاولتش تخليها تحبك.. عشت حياة غريبة.. دمرت نفسك من غير ما تقاتل وتحاول.. سلمت نفسك لألم غريب محدش يستحمله وفضلت مكمل فيه.. مع إنك كان ممكن في لحظة تاخد قرار بتغيير ده.. وتتعب ربع الألم ده عشان تاخد نتيجة لتعبك.. خسران.. عارف.. انت اللي شايف الطرق اللي قدامك.. وانت اللي عارف كل طريق بيودي فين.. انت اللي في إيدك قرارك.. إنك تغير نفسك.. تبقى واحد تاني.. أو بمعنى أصح.. تبقى نفسك.. تنسى الماضي.. ولو حاول يرجع وأكيد هيحاول تقاتله.. وتبدأ تاني بس من غير خوف.. لو انت بتخاف من الكلاب ودخلت شارع ضلمة.. وسمعت صوت كلب وراك وبصيت مالقتش حاجة.. لو فضلت ماشي خايف لحد أخر الشارع.. هتفضل ماشي مش شايف قدامك.. باصص وراك.. قلقان.. مع إنه ممكن ييجي من قدامك.. بس انت كإنك عايزه يجيلك.. فكر لو مشيت من غير خوف.. باصص لقدامك هادي.. وواثق في نفسك.. انت جوا اللحظة.. الكلب هو اللي هيخاف يظهر.. ولو ظهر وقتها هتعرف تتعامل معاه لإنك شايف قدامك وحواليك.. هتبقى معاك البصيرة والبصر.. لإنك مش مسلم نفسك لخوفك..الشارع ده هو نفسه حياتك.. شوف انت بقى إيه اللي نتيجته هتبقى أحسن.. وأسأل نفسك.. يبقى ليه بتخاف؟ ليه حتى مش بتحاول تقاتل الخوف؟

ألم برأسي.. اختلاف المناظر.. ظل يتموج على الأرض.. شخص يبكي بعينين سوداوين.. إحساس جسدي على الفراش.. شلل النوم.. كنت أبكي.. فتاة مشوهة تنظر لي وبجانبها (جميلة) حزينة.. تندمج الفتاة المشوهة مع (جميلة)، لتصبح فتاة صغيرة وبجانبها (بلايس) يبكي، وبجانبهم أنا كطفل أمسك الرجل الآلي ذا اليد الواحدة.. أبكي.. لا أستطيع الاستيقاظ.. بجانبهم أنا مرة أخرى.. الطين يغرقني.. أداعب الكرة برجلي إلى أعلى، لتعود لتستقبلها قدمي باحترافية وهدوء فرحًا.. الدموع.. تهرب من عينيّ إلى وجهي إلى شفتيّ إلى داخل فمي لتجعلني أتذوقها.

***

25
البؤرة

"تقول الأسطورة: إنه بحالة الحلم.. إن نظرت إلى مرآة.. لن ترى انعكاس الأشياء كما هي بالحالة الأصلية"

***

فتحت عينيّ وكانت الرؤية غير واضحة بسبب بعض الدموع الحبيسة بجفونها.. لماذا استيقظت؟ لم أكن أريد الاستيقاظ الآن.. أريد رؤية (جميلة).. أغمضت عينيّ محاولًا الحصول على النوم، لكني لم أستطع.. هذا لم يحدث منذ مدة ليست بالهينة.. حاولت مرة أخرى لكن دون جدوى.. كأن عقلي يقول لجسدي البطاريات ممتلئة...

وقفت على قدميّ، ووضعت يدي بجيب بنطالي الجينز شاعرًا ببعض الصقيع.. غير محاولٍ مسح عينيّ لجعل الرؤية تتضح، وبالشرفة كانت أشعة الشمس الذهبية لصباح يوم من أيام الشتاء.. السماء

ملبدة بالغيوم التي تحاول الأشعة الهروب من خلالها.. هناك شيء ما أستطيع استشعاره بالهواء، شيء مختلف لا أعرف ماهيته..

كان الهدوء يتملكني كما يتملك كل شيء من حولي، ليس هو الهدوء الذي يسبق العاصفة.. فالعاصفة تزأر لكني أقف ببؤرتها، حيث أتجنب أضرارها ولا أراها، وكأنها ليست هنا.. كان الهدوء.. وتلك الأشباح مرة أخرى تطاردني، تحوم حولي كأني فريستها، ولكنها فقط تتلذذ بمشاهدتي هكذا، وحيدًا خاسرًا، وستختفي إن نظرت إليها.. لكنها ستعاود الظهور من الجانب الآخر.. كان الهدوء.. والأشباح.. والمعركة.. المعركة لاتخاذ قرار بداخلي..

أأظل كما أنا بمكاني آمنًا خاسرًا؟ أم اذهب لأواجه العاصفة؟ عليّ أن أُحدد.. الآن!

ماذا يجب أن أفعل؟!

أخرجت يدي اليمنى من جيب بنطالي، وتحسست السكين المندس به أسفل التي شيرت الأسود الذي أرتديه منذ مدة لا أتذكرها.. (ماجد) على الأرجح سيكون بالجامعة الآن.. لكن (بلايس) لقد كان يبكي، وما أخاف أن أصارح به نفسي حقًا هو أني للحظات بهذا الحلم شعرت أني (بلايس).. ارتجفت من الفكرة، ولكني شعرت هذا حقًا، شعرت أني (بلايس) وجسمي الأثيري بنفس ذات الوقت، ولكن ربما كان هذا حلمًا عاديًّا.. هو على الأرجح يخون (جميلة).. التي قالت إنها ليست (جميلة)، وبسببي أسرَتها تلك الأشباح.. نظرت إليها بغضب، فاختفت، وظهرت حولي من الجانب الآخر.. لاحظت

هذا بطرف عيني.. أراها دائمًا بطرف عيني، وكأنها هنا وليست هنا..
لم يكن أحد بالمترل لأخبره أني سأخرج وهذا أفضل، لا أحب لحظات
الوداع.. بالطبع الوداع.. فما سأفعله على الأرجح سيكون النهاية..
النهاية بوضعي بالسجن، وربما بعد قتله سأعترف بجريمة ذلك الطفل،
ليعدموني وتنتهي حياتي..

هل حقًا هذه النهاية التي أريدها لنفسي؟!

لماذا أهرب من الكلام الذي قلته لبلايس بالحلم؟!

ولماذا لا أسمع إلا كلامه هو؟ لماذا؟

نزلت كالأعمى لا أرى إلا الدماء.. ماشيًا بخطوات واسعة ذاهبًا
إلى الجامعة لأحرر (جميلة).. لماذا قالت لي إنها ليست (جميلة)؟ هل ما
سمعته منها كان صحيحًا؟ كان واضحًا وسمعته بالفعل.. لكن كيف؟!

ابتسمت داخلي، وأطلقت عيناي سراح الدمعتين المحبوسة بهما..
لأني لم أستطع الابتسام بوجهي..

كان هذا سريعًا لدرجة أني لا أتذكر أني مشيت الطريق.. وكأني..
داخل حلم.. حيث لا أتذكر جميع التفاصيل.. دخلت إلى الجامعة
كانت قدماي تقودانني إليه.. أعلم هذا.. وأعلم أنه هنا.. هل أنا
أحلم؟ لا.. كل شيء واضح تمامًا.. كل شيء مادي.. ولكن كل
شيء كان واضحًا أيضًا داخل الحلم الجلي.. لا، هذا مستحيل.. ليس
بهذه التفاصيل.. ليس مثل هذا.. دخلت إلى قاعة المحاضرات، ووقعت
عيناي عليه.. كان وحيدًا.. لم تكن (يمنى) بجانبه.. ذهبت إليه بخطوات

ثابتة لا أرى حولي، لا أرى إلا الدماء ووجهه.. أريد أن أراه يتألم الآن.. أحسست بالدمعة تغادر وجهي بأن وقعت بعيدًا.. وعندما وصلت إليه توقفت أمامه غير مخرج يدي من جيبي قائلًا بهدوء وثقة:

– في موضوع مهم كنت عايز أتكلم معاك فيه.

نظر لي وكأنه لأول مرة يلاحظ وجودي، وعقلي لا يريد ترك تلك الفكرة.. هل أحلم؟!

هل أنا نائم الآن على فراشي وعقلي هو من يتحكم بتلك اللحظة؟ حاولت الهرب من الفكرة والتركيز فيما أفعل؛ لأني لا أعلم ما أنا بفاعل..

– موضوع إيه؟

قالها بهدوء.. ناظرًا لي محاولًا الولوج إلى أعماقي للوصول إلى ما أريد، وكأنه قادر على هذا!

لقد كان وجهي جامدًا كلاعب قمار محترف، لديه الورق الأقل ولكنه يخادع وسيكسب بجعل خصمه يظن العكس..

– أنا عمرو.. أنا عارف إننا ماتعرفناش قبل كده بصورة حلوة..

– ماجد.

اسمه مثلما نادته (جميلة) بالهاتف، ولكن ربما هذا من وحي خيالي، سينفجر عقلي.. نظرت إليه داخل عينيه واستطعت أنا الدخول إلى أعماقه.. كان بقمة حيرته، ويصارع خوفه مني.. ويحاول الهدوء..

جلست بجانبه ولاحظت الرعشة البسيطة بجسده وهو يبتعد قليلًا

وينظر أمامه.. على الأرجح كان هذا المكان الخالي ليمنى التي تخون صديقتها.. عاد ينظر لي بعد برهة من الصمت، لاحظت هذا بطرف عيني، وبطرف عيني الأخرى رأيت الظلال.. كان عقلي مشوشًا تمامًا، لكني وضعت يدي اليمنى على السكين.. ناظرًا إلى الطلاب.. حيث كل طالب يأخذ مكانه.. ليس من الحكمة قتله الآن.. لأني عندها لن أستطيع الوصل إلى عشيقته.. سأنتظر قليلًا.. ربما أستطيع أن أنتظر قليلًا..

- أنا أسف ع اللي عملته المرة اللي فاتت.. أصلي شبهت عليها وكنت فاكرها جميلة.. و..

- لا ولا يهمك.. بس انت كنت عصبي قوي كإنك كنت متأكد..

- أه أصلها شبهها قوي.. هي اسمها إيه؟

- مي!

تركت يدي السكين التي كانت تلامسه ونظرت إليه مباشرة محاولًا قدر المستطاع السيطرة على انفعالي قائلًا:

- هي ماجتش ليه إمبارح؟

- بتسأل ليه؟

قالها بود، وكأنه نسي الصفعة التي وجهتها له بالمرة السابقة.. من الصعب الاعتراف بهذا، لكنه صحيح.. لقد قالها غير ممتنع عن الرد، ولكن عن رغبة بمعرفة الإجابة..

– مفيش كنت عايز أعتذر لها على اللي أنا عملته.. أعتذر لها انت لما تشفها..

– هي جاية النهاردة تقريبًا.. هي بس كانت تعبانة شوية..

وضعت يدي على السكين مرة أخرى، وأغمضت عينيّ لأمتصّ الغضب، هذا الغبي يتلاعب بي.. كيف ستأتي؟ كيف والظلال تأسرها؟ فتحت عينيّ لأنظر إلى الظلال الكريهة.. فرأيتها قادمة من بعيد هي و(يمنى).. مستحيل.. كيف يحدث هذا؟ حلم.. هذا حلم.. أغمضت عينيّ مرة أخرى محاولًا رؤية نفسي على الفراش، لكن لا شيء.. فقط الظلام.. وعندما فتحتهما مرة أخرى كانت قد اقتربت، لقد تحول وجهها إلى العابس تمامًا عندما رأتني، ورأيت (يمنى) تأخذ خطوات واسعة، عندما لمحت (ماجد).. فرفعت أنا يدي اليمنى عن السكين.. (مي).. ما هذا الهراء؟ كيف تكون (مي)؟ ابتسمتُ مرة أخرى بداخلي.. الظلال اللعينة تزداد من حولي!

– هسيبك بقى..

قمت دون أن أسمع رده.. دون أن أنظر خلفي.. لكن أذني سمعت هذا بكل وضوح.. صوت (يمنى) يقول:

– كان عايز منك إيه ده يا حبيبي؟

وصوت (جميلة) بنفس الوقت:

– كان بيقول لك إيه يا ماجد؟

لقد قالت له حبيبي أمامها.. عقلي أصبح مشوشًا للدرجة التي تجعلني أشعر أني سأسقط على الأرض بأي لحظة.. لماذا لم أقتله؟ هل أثر كلام هذا الظل بي.. ولكن.. ولكن أنا من كنتُ الظّلّ.. الظلال اللعينة تجعلني لا أستطيع أن أرى.. ذهبت إلى آخر الصفوف بالمدرج، وجلست بأخر صف وحدي، ورأيت العالم من الخلف.. سندت رأسي على الحاشية أمامي.. وأغمضت عينيّ محاولًا طرد هذه الظلال.. وطرد هذا الألم وهذا الشعور.. الإحساس بالجنون.. هل هذا حلم؟!

أحسست أن كل شيء يصفو دون سابق إنذار، أحسست بأني أريد البكاء.. لقد قتلت طفلًا – وتحسست السكين – وهأنا كنت على وشك القتل مرة أخرى.. أنا أجبن مخلوق بهذا الكون.. شعرت بالألم يعتصر قلبي وعقلي وأحسست بأن هناك دمعة أخرى.. رفعت رأسي عن الحاشية.. وطلبت من الطالب الجالس أمامي ورقة وقلمًا.. كان فتى ودودًا ذا وجه مألوف، وأعطاني إياهما سريعًا، لأمسك بالقلم وأخط بالورقة..

" ياريتني أول ما شوفتك مكنتش فضلت ف مكاني.. وياريتني لما حبيتك عرفت أقرب لك وأحسسك بالحب ده.. ياريتك عرفتي إني حلمت بيكي.. وإني ممكن أضحي بنفسي وأي حاجة عشانك.. وإني حبيتك وبحبك أكتر من أي حاجة.. ياريتك ما خدتي أوحش فكرة عني وياريتك تعرفي ليلة واحدة من اللي قضيتهم كانوا إزاي؟ ياريتني عارف أحب اي واحدة تانية وياريتك تشوفي وأنا بكتب الكلام ده عامل إزاي.. لو ممكن أقول واحشاني فانتِ قدامي أهو وواحشاني

لدرجة مفيش كلام يوصفها.. لكن انتِ بتضايقي أول ما بتشوفيني قدامك.. أنا بجد كان نفسي تعرفي أنا حبيتك قد إيه.. بس أنا كنت غبي وبدفع تمن غبائي.. يمكن لو قعدت أدور على كلام وأدور عشان أقوله وأقول إني قد إيه حبيتك مش هلاقي ولا كلمة.. بس يارتني ما بقول ياريت!

أنا زي واحد كان عايش ف النار.. وفجأة شوفت من بعيد الجنة.. وانتِ ملاك فيها.. وجريت ناحية الجنة عشان أوصلك.. وكنت كل ما أقرب أحس خلاص إني هطير المسافة الباقية.. ولما وصلت وقبل ما أدخل الجنة لقيتك بتبصيلي باستغراب وبتجري بعيد عني.. فجريت عليكِ عشان أعرف في إيه.. لقيت نفسي بخبط في فاصل زجاجي مكنتش شايفه فاصل بين الجنة والنار.. كان مخليكي شايفاني مجرد شيطان.. ومخليني مش عارف أعدي ليكِ وأوصلك.. فقمت أجرب أعدي تاني لقيت نفسي بخبط تاني.. فاستسلمت.. وكل اللي عملته فضلت أتفرج على الجنة وانتِ بتجري فيها بعيد.. بتجري مني.. وأنا كل ثانية بتبعدي فيها.. بموت فيها مليون مرة.. لكن مش بقوم أحاول عشان أنقذ نفسي.. لحد ما اختفيتي بعيد جدًّا.. وأنا كنت في نار وسط نار.. ولما قمت وقلت كفاية ندم وقلت لازم طريقة أعدي بيها من الفاصل الزجاجي ده.. ولما لقيت الطريقة دي وعديت للجنة.. كنت اختفيتي وماعرفش انتِ فين.. بس سلمت تاني ويأست تاني.. مع إني كان ممكن أجري ناحية المكان اللي كنتِ بتجري ناحيته.. واختفيتي عنده.. كنت عارف ده وكان نفسي أعمله وكنت بقول إني هعمله.. بس بقول بس.. ماعرفش إيه اللي خلاني

ماعملوش.. ولما قمت وجريت وفضلت أجري وأجري وأجري..
كنت متأخر قوي.. وأنا بجري شوفت ملاك تاني وتالت.. بس أنا
مكنتش شايف غير ملاك واحد.. لغاية ما وقعت على الأرض
وأستسلمت.. وأنا بعيط من غبائي وتأخيري.. وأنا وسط الجنة
وجوايا ألف نار.. مش عارف ليه وقتها حسيت إني مستحيل خلاص
ألاقيكي.. وأغير فكرتك عني إني شيطان.. وأعرفك بحبك قد إيه..
يمكن قمت تاني ماشي بنده يمكن تسمعيني.. بس عارف إني مش باقي
لي غير إني أنده وأندم.. وأنا عارف إن مفيش رد.. وأحلم إنك تكوني
فرحانة وبتضحكي حتى لو أنا هنا بتمنى أموت يمكن أستريح..
سامحيني عشان غبائي.. وسامحيني إني فهمت ده متأخر.. يمكن في
حاجات كتير قوي تاني عايز أقولها لإني كده ماقلتش حاجة.. حاجات
ممكن تعرفك أنا حبيتك قد إيه.. لكنها في نفس الوقت هتخليكي
تكرهيني.. وللأسف فات أوان إني أتكلم أو أقول.. سلام يا أجمل
ملاك في الكون.. خدي بالك على نفسك! "

لم أنظر إلى الكلام الذي كتبته على تلك الورقة التي لم تعد
بيضاء.. ومددت يدي بالقلم إلى الفتي الودود الذي كان يحادث
صديقه في أمر ما.. قمتُ من مكاني وسط الضجيج ولكن ليس
الضجيج الناتج من الطلاب، كان الضجيج داخل عقلي.. كم كنت
غبيًّا! إن (ماجد) يحب (يمنى) وليس (جميلة).. لم أرَ (ماجد) مع (جميلة)
وحدهما إلا مرات معدودة.. ولكن كلما رأيته كان مع (يمنى).. إنه
يحب (يمنى) وهي تبادله الحب.. عندما رمى ذلك الصاروخ الورقي
ذهب لها ليس لجميلة.. ولكنها صديقتها التي تعرفها منذ زمن والتي لا
تفارقها..

وقفت أمامهم وتلك الدمعة تترقرق بعينيّ.. عبس وجه (يمنى).. ونظرت لي (جميلة) أو (مي) مبتسمة.. في حين نظر لي (ماجد) بوجه ثابت.. فوجدت نفسي ابتسمت عندما رأيت ابتسامتها..

– مي أنا أسف على كل اللي عملته..

مسكت القلم الأصفر بيدي اليسرى.. داخل جيب بنطالي الأيسر.. ومسكت الورقة التي طويتها بيدي اليمنى داخل جيب بنطالي الأيمن..

– لأ مفيش حاجة..

صمت.. لم أكن أعرف ما أقول من كثرة الأشياء التي أريد قولها.. لكن أظن أن تلك الورقة ستلعب دور المتحدث اللبق..

– لما تشوفي نفسك أديها الورقة دي..

قلتها والصورة تذهب بتلك الدموع التي تمنعها عيناي من الخروج.. أشارت لي برأسها مبتسمة موافقة.. ولكنها على الأرجح أخذت مني الورقة بدافع الفضول لا أكثر..

نظرتُ لها مرة أخيرة.. محاولًا حفظ ملامحها.. ومن ثم ابتسمت وبهدوء استدرت وبدأت أبتعد.. (مي).. اسمها (مي).. مَنْ (جميلة) إذن؟!

سالت الدمعة من عيني، لتجعل الصورة التي أمامي تتضح شيئًا ما..

– عمرو..

كانت هي.. وكان اسمي.. ألتفتُ مخرجًا يدي اليسرى ماسحًا بها الدمعة، محاولًا الابتسام رافعًا حاجبي مبتسمًا لها مستديرًا برأسي فقط.

- ده كان أجمل حلم حلمته ف حياتي..

أعدت يدي اليسرى إلى مكانها، ونظرت إلى الأمام تاركًا إياها خلفي قائلًا لها:

- أنا كمان.

ذاهب.. لا أعلم إلى أين، لكني شعرت أني أريد الاختلاء بنفسي.. رغم كل أوقات وحدتي، شعرت الآن أني لم أختلِ بنفسي منذ فترة..

(مي)..(جميلة)..حلم.. خيال.. حقيقة.. واقع.. ماضٍ.. مستقبل.. ليس بحلم.. كلام (جميلة).. لقد كانت معي بالحلم.. نعم كانت معي وشعرت بهذا.. ولكن ماذا لو كان هذا الآن حلمًا؟ كيف تكون بخير وتلك الظلال خطفتها؟ ولماذا قالت هذا؟ ولماذا لم أقف لأتكلم؟ لماذا اكتفيت بتلك الابتسامة؟ ولماذا هربت هكذا؟ هل أنا أهرب مرة أخرى؟ أسئلة.. أسئلة كموج البحر تتحطم على شاطئ عقلي.. الذي حاولت أن أعبث به محاولًا الحصول على الإجابات.. لكن علامات الاستفهام والتعجب هي كل ما حصلت عليه..

مشيت شاردًا.. لكن على الأقل كنت أعلم أين أنا شارد.. كنت شاردًا داخلي أبحث عن شيئًا ما.. هل أستطيع الخروج بجسمي الأثيري؟ إن كان هذا حلمًا فأنا أستطيع فعل ما أريد.. جربت أن

أخرجه فشعرت برعشة بجسدي فقط.. وشعرت بالطاقة حول جسدي ضعيفة.. شعرت بالوهن.. ولكنني لم أستطع الخروج بالجسم الأثيري بحلم من قبل لأني أنا كنت الجسم الأثيري.. هل لهذا أي معنى؟ أي دلالة؟!

أشعر أني لا أتحكم بنفسي التحكم المطلق الآن.. بل ومنذ متى وأنا أتحكم بنفسي التحكم المطلق.. لماذا تتردد تلك الكلمات بداخلي؟ أألتفتُ وأعود إليها؟ أم أكمل ولا أذهب؟ أنا أريد أن أذهب لكني لن أفعل.. وهل أستطيع أن أفعل؟ هل أنا غير مبالٍ بما أفعل أو لا افعل إن كنت حقًا قادرًا على كل شيء؟ نظرت حولي إلى الناس كلهم يمشون ينظرون أمامهم.. كُلٌّ منهم ذاهبًا إلى اتجاه.. إلى عمل أو إلى حياة.. ولكنهم لا يرونني.. هل أنا غير موجود من الأصل؟ لماذا لا أزال في حالة اللامبالاة والحيرة؟ إنهم يتقاتلون بداخلي.. حرب هي دون أي هدنة.. حرب شرسة وماذا أنا بفاعل؟ أحيانًا أشعر بذلك.. إنهم يقتتلون بداخلي وأنهم ألد الأعداء.. وأحيانًا أخرى أشعر أنهم أصدقاء يتعاونون ضدي.. لكنهم لا يعرفون أأنا حائر فيما أفعل أو لا أبالي؟ أستطيع هزيمتهم بهم.. أو يهزمون بعضهم بعضًا.. لا أعرف الوقت الآن، وأيًا كان لا أبالي.. مهما يكن لا أبالي.. ولماذا أبالي من الأصل؟ ما اليوم؟ لا أبالي.. ما نهاية هذا؟ لا أبالي.. هل أنا حقًا لا أبالي؟ مجرد سؤال وعلامة استفهام أخرى.. هل أنا أصطنع هذا الإحساس كي أهرب؟ أهرب من الحياة التي عشتها بالخيال.. وهل أنا الآن بالخيال أم الحقيقة؟ أين الخيال وأين الحقيقة؟ حتى الحقيقة وأي حقيقة حصلت لي بعالم الواقع – إن كان هذا ليس بعالم الواقع –

أدمجتها بالخيال أو تخللها الخيال.. ذلك الظل كان لديه الحق في كل كلمة قالها لي.. هو محق بها.. بل وليس هذا فحسب.. بل أني أعرف هذا أيضًا..

أعرف كل كلمة.. وكأني قائلها.. أعرفها وأتذكرها وأنكرها.. ولكن أنا حقًا كنت قائلها.. ربما هو الهروب كما قال – كما قلت – الهروب من الواقع بالخيال..

كان كل ما يتغير أمامي هي الوجوه.. ولكني مستمر بالمشي.. ورغم أني أستطيع الطيران بالحلم إن كان هذا حلمًا.. إلا أني لا أريد.. لا أريد فعل شيء.. هل سينتهي هذا الحلم أم ماذا؟ أريد الاستيقاظ.. الاستيقاظ الآن على فراشي.. غير متذكر شيء من هذا الكابوس.. ولكن ماذا لو كان هذا الكابوس حياتي؟ واقعي.. هل هو الإحباط مرة أخرى؟ لمحتها بطرف عيني.. الظلال الكريهة.. هل جننت بعد؟! لماذا كل ما أشعر به هي تلك الحيرة وتلك اللامبالاة؟ الحيرة باتخاذ القرار واللامبالاة باتخاذه أو عدم اتخاذه.. هل سيستمر هذا للأبد؟ ما القادم؟ ما نهاية هذا؟ هل ستظل الوجوه تتغير؟ تمضي إلى الأمام.. وأنا واقف غير ماضٍ إلى أمامي ذاهبًا للخلف.. هل سأظل هكذا؟ روح حائرة لا مبالية..

لا أسمع شيئًا.. فقط صوت أنفاسي المتلاحقة.. أبحث عن الخيط كقط جائع ينبش القمامة بمخالبه.. الخيط الذي سيقودني إلى الحقيقة.. إلى الخيال.. سيقودني إلى شيء ما..

(مي) (جميلة) (أمنية) (يمنى) (ماجد) (بلايس).. قتل طفل..

ظلٌ شعرت أنه أنا..

وأنا مللت.. حقًا مللت.. هل سأصرخ الآن؟ هل سيخرج جسمي الأثيري الآن؟ هل سأموت الآن؟ هل سأستيقظ الآن؟ صراع لا أريده يدور بداخلي رغمًا عني.. وكأني لا أستطيع التحكم.. أنا لا أستطيع التحكم.. عند الغضب يقولون إن الإنسان يفقد السيطرة على نفسه.. لكني لست بغاضب.. أنا لست بغاضب.. فاقد السيطرة على نفسي.. كيف يعرف البطل بالأفلام حل اللغز بغمضة عين؟ كيف يقول الكلام بتلك السرعة المريبة وذاك الترتيب؟ كيف يجمع جميع الخيوط ويحل كل غامض دون أن تطرف عينه؟ كيف يصبح بهذه الوسامة والجرأة وهو يواجه الموت؟ ومن أين يأتي له ذلك الإلهام في اللحظة الأخيرة؟ وكيف يصدقه المشاهد؟ هل لأنه أحبه؟ هل لأنه البطل؟ أم لأن هذا هو القانون السائر.. أأقتل أم لا؟ إن كانت (جميلة) ليست (جميلة) ولا أعرف كيف؟ كيف؟ كيف كنت أفكر؟ أحسست بالسكين – الذي يجلس مستريحًا – داخل بنطالي دون أن ألمسه.. لكن بمجرد التفكير بهذا جعلني أشعر به.. تذكرت أنه لا يزال هناك منتظرًا أن أستخدمه.. ولكن هذا الظل.. لقد أثر بي كلامه.. ولكني أعلم بداخلي أنه على حق..

أنا على حق.. لقد أثر بي (بلايس).. وكلامه كان فقط الألم الذي شعرت به.. لم يكن على حق.. لقد اتبعت الباطل وتركت الحق وأنا

أعلم أنه حق.. لقد اخترت الظلام وكان بيدي اختيار النور.. لقد أصبحت أنا مصدر للظلام.. ولكني لا أبثه بل أحاول طمس النور.. هل أنا متأخر؟ هل أستطيع اتخاذ القرار والتحكم بي؟ الظلال.. الظلال اللعينة حولي بكل مكان.. أشعر بالضعف.. وأنا وحدي ليس هناك من يساعدني.. أشعر أني سمكة قد أنقذني أحدهم من الغرق.. هل أذهب للعاصفة؟ ولكن أين العاصفة؟ أنا أعلم أنها تزأر الآن.. ولكن أين؟ لم تكن (جميلة)، (جميلة).. من (مي)؟ وكيف أصبحت (مي)؟ ابتسمت.. منذ بداية اليوم وأنا أبتسم ابتسامات ليس لها معنى..

لم يعد لدي ما أخسره..لماذا فعلت ما فعلت؟ ربما عليّ أن أحاول..ربما تختلف النهاية إن حاولت..لماذا لم أحاول؟ لماذا استسلمت بكل سهولة قديمًا؟ لماذا؟ لماذا أقول لماذا الآن؟ لماذا أبتسم؟!

شعرت بألم مفاجئ في رأسي، وقعت على الأرض مشلولًا.. لا أستطيع أن أسمع وأرى الناس من حولي.. بعينين تملؤهما الدموع أرى أناس تقترب مني مذعورة..ولكن تبدل المشهد.. كانت تعطني ظهرها وكانت تبكي.. تبكي وتتألم كما لم أرَ أي إنسان يبكي ويتألم.. التفتتْ لي وكأنها تراني.. كانت الدموع تملأ وجهها المشوه.. احتار الأطباء – على الأرجح – في سبب ذلك التشوه.. ولم يجدوا علاجًا له إلا الاستسلام.. (أمنية).. وبعدها الظلام، والظلام فقط!

الإحساس بالرهبة..بالخوف.. بتحقق المستحيل.. وكانت الدهشة والرهبة هي ما تسيطر عليّ وتتملكني.. ومن ثم تحول كل شيء.. لأرى نفسي.. وليس هذا المشهد الذي أعتدت عليه حيث أكون نائمًا.. بل رأيت نفسي طفلًا سمينًا يملك من العمر اثني عشر عامًا.. يتكلم مع فتاة صغيرة ذات ضفيرتينِ رفيعتين معقوصتين مع شعرها إلى الخلف أحبَ شكلهما.

***

26

الوعد

لن يكون ما كان.. وما كان كنت أظنه لن يكون.. لكن.. كان ما كان.. وما لم أظنه سيكون.

***

- بوعدك.

قلتها بصوتي الطفولي، كنت أرى نفسي بطرف عيني..

- بتوعدني بإيه؟

- بوعدك إني مش هستسلم!

صمت من ناحيتها، هذا الكلام لقد سمعته من قبل، تلك الفتاة الصغيرة إنها لا تشبه (جميلة)، لكن ومن المفترض أن تكون (جميلة)..

- بوعدك إني مش هستسلم وإني هحارب الدنيا عشانك ودي مش آخر مرة تشوفيني فيها..

صمت من ناحيتها..

- أنا مش عايز دي تبقى آخر مرة نشوف بعض..

كلمتان من ناحيتها..

- أنا كمان..

- أنا مش عارف إيه بيحصلي يا أمنية!

أحسست أني رأيتني..لقد نظرت لي مباشرة وكأني أعلم بوجودي..

- في حاجات بتحصل ف حياتنا مابنعرفش سببها.. بس بنبقى عارفين إن ليها سبب!

صمت من ناحيتها، وعلامات عدم الفهم على وجهها..

- صدقيني يا أمنية أنا عارف إنك مش فاهمة كلامي.. أنا مش فاهم كلامي.. بس عارف إني لازم أقوله ويمكن انتِ تعرفي السبب بعدين.. وأنا كمان أعرف السبب بعدين..

- أنا آسفة.. أنا ماكنش قصدي أقول إنك غريب.. أنــا .. بــــ..ــــس..

- ماتقليش حاجة..

ثم نظرت إلى السماء وقلت:

- يا هوفي بوعدي يا هموت وأنا بحاول..

كنت أنظر إليها وإلى وجهها الطفولي المليء بالبراءة وعدم الفهم، ومن ثم نظرت إلى نفسي، وكنت أنظر لي بدوري.. لقد كنت عالمًا وفاهمًا كل شيء من البداية، لقد كان وجهي الطفولي كحكيم ذبل وجهه من امتلاك الحكمة..

- بـــ...ـــو..عـــ..د...ك

شددت على كل حرف، ومشيت غير ناظرٍ لها أو إلى نفسي.. واضعًا يدي بجيبي ناظرًا إلى أمي الواقفة بعيدًا، وكانت (أمنية).. هذه هي (أمنية) من كنت أكلمها وليست (جميلة).. على الأرجح تحاول أن تفهم كلامي الآن أو تحاول تذكره لتفهمه فيما بعد.

اختفيت، أحسست أني أتلاشى..

- مالك انت كويس؟

كان رجل عجوز يحاول مساندتي، لأستند على قدمي، فأشعر بدماء تأتي من داخل عيني وأنفي، لكني قمت ناظرًا إلى الأمام، محاولًا المشي والذهاب إلى مكان ما، ولكن مرة أخرى تلاشت الصورة من أمامي، ووقعت على الأرض مشلولًا..

إنها تبكي.. أرجوكِ توقفي عن البكاء.. كانت تبكي وتجري على الدرج إلى أعلى هذا المبنى..المبنى ذاته الذي كنت أرى عليه (بلايس).. نعم هو المبنى ذاته.. حتى وصلت إلى سطحه..

الظلام التام.. الظلام..

أمسك بالرجل الآلي ليعارك المكعبات الخبيثة..

الظلام التام..

أجري بالكرة ويهرولون خلفي..

الظلام.. الظلام..

كنت أجلس بالامتحان.. امتحان الرياضيات أنظر إلى (أمنية) تلك الطاقة التي أجمعها حولي ماذا أفعل.. ها.. لقد فصلت جسمي الأثيري وذهبت بجانبها.. لأنقل منها إجابات الأسئلة..

الظلام مندمج بالألم..

ذلك الفتى البغيض لماذا أوقع (أمنية).. تجميع الطاقة حول نفسي مرة أخرى.. وتلك الرجفة وفصل جسدي الأثيري..

الظلام

كانت تقف خلفي (أمنية) قبل أن أشوه وجهها.. وكانت تقف أمامي (مي) تركب تلك الأجرة.. وكنت أقف بجانب (حسام) ولكن تلك الطاقة حول جسدي بدأت بالعودة للحياة.. بدأت تريد الذهاب (لأمنية).. ولكني أريدها أن تذهب (لمي) وذلك الألم..

الظلام..

ألتفتُ بجسمي إلى (البغل) وجاءت عيناي بعينيه ولمحت بهما لأقل من الثانية التعجب، وبكل ما أملك من قوة وضعت ضعفي السابق وجميع ما فعله بي سابقًا في صفعة على خده كان صوتها موسيقيًّا بالنسبة إليّ..

وفي الثانية الأخرى انفجر الضحك.. انفجر من الجميع واحمر نصف وجهه الأبيض من الصفعة والنصف الآخر من الخجل، وبدأ بالهجوم عليّ لكن تدخل المُدرس وأخذنا لنعاقَب..

أنزلت حقيبتي من على ظهري لأغلقها، ونظرت إليه وأنا أمشي نظرة خالية من الخوف..

الظلام

توقفتُ أسفل هذا المنزل.. وعدلتُ من وضع حقيبتي.. وعرفت أني أفكر أن (أمنية) تسكن ها هنا.. ذلك المبنى نفسه الذي كنت أقابل (بلايس) أعلى سطحه..

– أمنيييية

ناديت عليها بأعلى صوتٍ تسمح به حنجرتي.. وبدأت بالهرولة مبتعدًا فرحًا..

لكن كظلٍّ ظللت واقفًا مكاني أراقبني مبتعدًا..

ماذا يحدث لي؟ ماذا يحدث لي؟ لماذا؟

أين كانت كل هذه الذكريات؟ أين ذهبت من ذاكرتي؟ لقد كنت أفصل جسدي الأثيري منذ الصغر لقد..

الظلام والهدوء القاتل..

كانت الصدمة على رأسي قوية.. ولكن عندما تحسست رأسي ووجدت الدماء شعرت بتلك الطاقة التي يبثها عقلي بقوة حول جسدي.. طاقة تريد أن تخرج مني.. وقوة لا أستطيع التحكم بها..

الظــــــلام..

أنظر إلى نفسي وأنا أرتجف.. وأقترب مني.. أحاول أن أساعدني.. أقوم وأقع من شدة الرجفة على الأرض.. رأسي سينفجر.. أحاول الاقتراب مني.. أراني وأختفي.. ومن ثم أظهر مرة أخرى.. جسدي الأثيري يحاول الخروج من جسدي الفعلي.. وأراه ويراني وأرى نفسي..

وذهب كل شيء..

دائمًا ندرك قيمة ما بأيدينا عندما نعلم أنه لن يكون بأيدينا بعد الآن..

استيقظت من النوم يؤلمني رأسي أكثر من المعتاد..

كانت الأميرة خيالية فلم يكن لدي دمية لأجعلها الأميرة، لكنها رغم ذلك كانت موجودة.. أنا أشعر بها.. إنها هنا.. هنا في مكان ما منتظرة والدموع على خدها، منتظرة الرجل الآلي أن ينقذها من المكعبات الشريرة.

سأظل ألح وإن لم أُفلح ولم توافق لن أستسلم، سأظل أقاوم واضعًا بدائل للخطة الأصلية؛ لتعطيني نتيجة واحدة..

لكني كل يوم أتمنى هذا.. أتمنى أن ينتهي الطابور.. ومن ثم أتمنى أن تنتهي الحصة الأولى.. ومن ثم أتمنى..

إن كان شجاعًا حقًا ولا يخفي خوفًا بداخله، فلماذا لا يأخذ كل الكتب التي بداخل الحقيبة؟ لأنه يخاف من ردة فعل.. إذن جزء بسيط بداخله ينتظر ردة فعل..

قمتُ مرة أخرى، ووقفت على قدمي، وكان الناس يلتفون حولي، لكن لم يكن هناك من وقت، بدأت بتجميع قواي والهرولة.. لقد ضربت البغل وتغلبت عليه.. كان هذا حقيقة.. حقيقة لا أتذكرها ولكنها حقيقة.. لقد تغلبت عليه.. ابتسمت، وأنا منهك القوة تمامًا ناظرًا إلى الأعلى، عندما وصلت إلى هذا المبنى حيث تسكن (أمنية)..

الظلام مرة أخرى..

أراها تتوقف على الحافة..

لا.. لا.. لا.. لن أسمح بهذا، إنها تبكي وتقف ناظرة إلى الأسفل..

وقفتُ على قدمي مرة أخرى ناظرًا إلى الأعلى محاولًا أن أعرف إن كانت بالأعلى حقًا أم لا.. لتلامس نقط من المياه وجهي.. هل هي دموعها؟ هل هي دموعي؟! ولكني وجدت أن السماء تمطر..

(أمنية) أعلى هذا المبنى، لا أعرف كيف حدث كل ما حدث.. لكن لا أظن أني أريد أن أعرف الآن، فقط أريد أن أنقذها.. يجب أن أنقذها كما دمرتُ لها حياتها.. أمسكت رأسي.. لا ليس مرة أخرى، لا يوجد وقت، وقعتُ على ركبتي.. ومرة أخرى شُلّ جسدي، لأراها تنظر إلى الأسفل وتبكي.. تبكي كما لو كانت تنافس المطر..

لن أتركها تفعل هذا..يجب أن أقاتل..عليّ أن أقاتل الماضي.. حتى لو كان ثمن إنقاذها موتي، حاولت أن آخذ نفسًا عميقًا، ولكن تلك الظلال ظهرت من اللامكان.. ظهرت من كل حدب وصوب.. يجب عليّ أن أنقذها.. لا وقت.. حاولت أن أركز أكثر.. أغمضت عينيّ

وأخذت نفسًا عميقًا.. أستطيع أن أفعلها.. شعرت بالذبذبة حول جسدي وشعرت بالوهن والضعف والألم، وأحسست رأسي سينفجر، دخلت إلى المبنى، أستطيع فعلها.. أستطيع فصل جسدي الأثيري كما فعلتها من قبل، وقعت على الأرض من شدة الألم، الدماء تملأ جسدي وكأن جميع خلاياه تنفجر، لقد فصلته، لقد فعلتها، أحلق بالهواء بأشد سرعة أستطيع الوصول إليها، ذاهبًا لها، وصلت إلى سطح المنزل سريعًا.. كانت لا تزال واقفة على الحافة، وعندما حلقت أمامها.. كانت تنظر إلى الأسفل ولا تراني، وعندما حاولت منعها.. وجدت أنه بجسدي الأثيري.. لا يوجد لي من وجود مادي.

***

27

البعد المادي

أنا (عمرو حسن).. أبلغ من العمر تسعة عشر عامًا.. أهرول على درج ذلك البيت..أهرول على درج الحياة..متأخرًا.. خاسرًا.. فاشلًا.. في كل شيء.. ولكني غير مستسلم للأمر.. بطريقة ما ولا أعلم كيف.. لدي القدرة وأستطيع فصل جسدي الأثيري.. هذه الطاقة التي تحيط بجسدي.. أستطيع فصلها عن جسدي الفعلي.. وبطريقة ما هذا لا يؤثر ويعمل الآن وما من وجود مادي له.. بطريقة ما ستنتحر (أمنية).. تلك الفتاة التي اغتصبتها وشوهتها والتي يقف أمامها الآن جسدي الأثيري عاجزًا عن فعل شيء..

أنا (عمرو حسن).. وأدركت هذا مؤخرًا.. ندمت على أحلامي وهي بيدي وأستطيع تحقيقها.. لطالما استسلمت وأعطيت نفسي شعور الخاسر دون المحاولة.. خائف.. نعم عشت خائفًا من الحياة فظللت بأول الطريق.. هناك أشياء عديدة لا أفهمها.. وأشياء أكثر

غير واثقٍ بها.. ولكني لن أحاول التساؤل الآن.. ربما مع الوقت تأتي الإجابة.. وربما لن أعرف أبدًا.. ولكن ما أعرفه حقًا هو ومن تلك اللحظة سأقاتل حتى الموت..

إن تلك الفتاة ستنتحر..ستقتل نفسها بسببي..بسبب ذلك الأحمق الذي فعل بها أشنع الأشياء.. كي يكون معها.. ويا لسخرية القدر!

هل قتلتُ ذلك الطفل؟

كنت أقفز على الدرج كعمرو حسن الطفل الهارب.. حتى لا يراه أبوه.. منفذًا خططه الصغيرة.. (عمرو حسن) هو الطفل الذي قتلته.. لكن الوقت..

لماذا يتحرك عقرب الدقائق.. بينما هو لا يتحرك؟ لقد حيرني هذا السؤال كثيرًا عندما كنتُ طفلًا.. كان يدق بعقلي برنين مزعج حتى أجد الإجابة.. فظللتُ أراقب ساعة الحائط القديمة ببيتنا كثيرًا.. محاولًا العثور على تلك الإجابة..لكنني لم أحصل عليها.. كان عقرب الثواني لا يتوقف عن إصدار تكاته الرتيبة.. لا يتوقف عن الحركة لو لثانية.. بينما لا يتزحزح عقرب الساعات.. ولكن كلما تركته وذهبت ألعب وعدت أنظر إليه.. أجد أنه قد تحرك.. ظننت في يوم أنه يتحرك عندما أتركه.. فظللتُ جالسًا أمامه.. ثابتًا مثلما هو ثابت.. لكن وجدت أنه يتحرك ويغير من مكانه.. ومع ذلك لم أستطع أن الحظ تلك الحركة.. لا أعلم لماذا بوقتها لم أدرِ.. أن عقرب الثواني هو المسئول الأول عن تلك الجريمة.. بتحريك عقرب الدقائق.. وأنه شريك ثان مع عقرب الدقائق بزحزحة عقرب الساعات..

لا أعلم لماذا لم أعلم هذا بعد مراقبة الساعة ذلك العدد من المرات! مع أن الإجابة كانت أمام عينيّ.. لكني أدركت أني لم أكن أفكر حقًا.. وأني لو كنت فعلت.. لأخذ مني إدراك الأمر ثانية من تلك الثواني التي أهدرتها.. تبقى طابقان.. أشعر أن الوقت توقف.. أشعر أن كل شيء حولي يتحرك ببطء.. حتى حركة الهواء..

أنا لم أقتل هذا الطفل.. لقد كان كل شيء يحوطه التشوش.. وكأنه كان حلمًا.. ولكن شكله بدا مألوفًا..

الظلال اللعينة أراها أسفلي تتبعني.. ولكن يجب عليّ الإسراع.. الخوف.. الألم.. لقد كانت حياتي هكذا.. خفت أن أتألم.. فتألمت من الخوف.. الدموع الساخنة مختلطة بالدماء تأتي من داخل أنفي وعيني وتغزو وجهي.. ولكني أسرع ناظرًا إلى أمامي.. ذاهبًا إلى هدفي.. غير عالم من أين تأتي كل هذه الدماء!

الظلال تحاول جذبي إلى الخلف.. لكني أهرول حتى أنقذ (أمنية).

(أمنية).. (جميلة).. (مي)..

أيًا كانت هي..

فأنا حقًا غير واثق بشيء الآن..

وصلت أخيرًا وكان المطر غزيرًا حقًا الآن..

– أمنيييية

لقد لحقت بها.. نظرتْ إلى الخلف وكانت الدهشة تسيطر عليها.. ابتسمتُ واقتربتُ منها أكثر.. لأجد الظلال أمامي ومن كل جانب..

ظلال الماضي.. وقعت على ركبتي.. أسمع صوت المطر.. صوت صمت (أمنية).. أنا خاسر.. أنا قاتل.. أنا فعلت أشنع الأشياء.. أنا لم أحقق أحلامي.. ظهر (بلايس) أمامي فجأة.. والظلال أصبحت على كل الجوانب.. للدرجة التي منعتني من رؤية (أمنية).. ينظر لي بعينيه السوداوين وبوجهه الذي بلا ملامح.. لا.. حاولت أن أقاوم هذا الإحساس.. إحساس اليأس.. حاولت أن أقوم لكني وقعت مرة أخرى.. لقد عشت حياتي كلها مستسلمًا خائفًا.. لا.. ليس الآن.. هذا الإحساس الكريه.. هذا حلم.. هذا ليس بواقع.. نعم هذا حلم.. وقفت علي قدميَّ ناظرًا له:

– مش المرة دي.. مش هستسلم.. مش هيهزمني الماضي..

أحسسته ضعيفًا.. ولم يرد عليّ.. ولكنه ظل بمكانه..

فأكملت صارخًا:

– أنا مش هبقى انت..أنا هفضل أنا..عمرو حسن..أنا ماقتلتش.. انت خدعتني.. صح.. انت خدعتني..

شعرت بالجنون وأنا أتخذ خطوة تلو الأخرى ناحيته.. ولكن الظلال اللعينة.. جعلتني أصرخ مرة أخرى غير عالم ماذا أقول:

– أنا كنت بحلم.. بحلم.. أنا شفت نفسي غريب ف المرايا.. شفت نفسي شعري طويل وعيني سودا.. ومش فاكر أحداث اليوم.. كل المشاهد كانت متقطعة..

شعرت بأني أوجه الكلام لي.. وأنا أكمل خطواتي ناحيته..

- أكيد كنت بحلم.. أبويا كان جي اليوم ده.. وصحيت لقيته لسه جي.. يبقى إزاااي.. انت كنت بتوهمني.. زي ما وهمتني بحاجات كتير.. صحتني ف يوم من صُنعك.. وخلتني ارتكب جريمة ف الخيال.. عشان أرجع وارتكبها بجد ف الواقع..

لا أعرف لماذا بعد أن قلت ذلك تذكرت عيني الطفل الذي قتلته.. وكم كانتا مألوفتين!

كنت يائسًا..واليائس يفعل أي شيء..حتى لو كان غباء ليستعيد الإحساس بالأمل.. لقد تغلبت على البغل من قبل.. لقد فعلتها من قبل وأستطيع فعلها مرة أخرى.. أستطيع القتال.. إن الماضي مضى.. لن أستطيع إرجاعه.. ولكن الآن.. هذه اللحظة سترسم المستقبل الذي سيصبح ماضيًا.. وأنا لا أريد أن أندم مرة أخرى على ماضٍ.. لا ماضي من الآن.. الأمور الماضية خلفي من الآن.. خطوة أخرى.. لقد أضعت حياتي مخططًا لما لم أفعله.. لا مزيد من الخوف.. أستطيع الشعور بالطاقة حول جسدي.. أستطيع التحكم بنفسي أخيرًا.. أنا من يأخذ قرارات نفسي.. لا مزيد من الخوف.. لا مزيد من الألم.. فأصرخ مرة أخرى:

- حاولت تخدعني بعالم وهمي عشان أعمل أعمالك الشريرة في العالم بتاعي.. وهمتني بالخيال وعشمتني بجميلة.. بس لأ.

ابتسمتُ لعودة ثقتي بنفسي.. بحيث شعرت إن هذه الثقة تزحزح من ثقته هو بنفسه.. تراجع هو خطوة.. وتقدمت أنا خطوتين..

أستطيع منحه الضعف الذي أشعر به.. أنا لم أكن ضعيفًا.. أنا فقط لم أقاتل..

- أنا هسيب الأيام تفأجني.. بس هشتغل إني أفاجئ الأيام.. مش هسيب الفرص تنتهزني.. أنا اللي هنتهز الفرص.. حتى لو فضلت نور صغير الناس فاكرة إنه ملوش لازمة.. النور الصغير مش بيبان مع النور الكبير.. لكنه بيبان وقت الضلمة..

سمعت صرختها.. لقد ألقت بنفسها..

صرخت أنا أيضًا.. وأخرجت السكين من حيث كان.. وهجمت على (بلايس) واضعًا نصله بمكان قلبه.. لأجد عينيه السوداوين تنظران لي خائفتين.. وبمكان جرحه يترف دمًا أسود..

- قتلت.. زي ما كنت عايزني أقتل..

لأجد تلك الظلال التي تكتم على أنفاسي تتراجع إلى الخلف.. ولأجد (بلايس) يبتعد.. ومن ثم حصل ذلك المشهد الغريب عندما وقع (بلايس) على ركبتيه.. لقد هجمت الظلال عليه وبدأت تأكله وتتآكل.. حدث هذا في ثوان، وهرولت أنا غير ناظر إليهم.. تاركًا الماضي يقتل الخوف والألم.. لأجد (أمنية) لا تزال واقفة.. ابتسمت أكثر واقتربت منها.. لقد نجحت في هذا.. كم افتقدت هذا الإحساس.. إحساس النجاح.. ولكنها دون أي مقدمات ألقت بنفسها حقًا..

- لاااااااااااااا

لو كان هذا مجرد حلم آخر.. و(بلايس) كان يحاول خداعي.. فأنا مجرد خيال وصورة داخل عقلي.. حاولت التركيز.. أستطيع فعل أي شيء..ولكن جسدي الأثيري..أخرجته محاولًا مرة أخرى.. وحلقت ولحقت بها وأمسكتها من يدها..ولكن ليس لي وجود مادي.. ومن ثم أمسكتها من يدها بيدي.. نعم يدي الحقيقية.. لقد قذفت نفسي خلفها..أنا أستطيع الطيران..أستطيع التحليق..لقد جعلت الطاقة المتمركزة حول جسدي تحلق به ولا تخرج عنه.. أمسكتها وحضنتها وحلقت مرة أخرى عائدًا إلى سطح المترل.. نظرتُ إلى عينيها أسفل الأمطار..كنت أراها لا تزال جميلة كما هي.. كانت تبكي بغزارة.. مسحت دموعها وضممتها لي أكثر.. كنتُ أنا أيضًا أبكي.. لكن الأمطار غطت هذا.. ولكن هذا الألم في رأسي.. وتلك الدماء بكل جسدي..خاصة أنفي وفمي وعيني وقلبي.. الوهن..

- عمرو.. أنا.. انت..

أسكتها وحاولت مسح تلك الدماء من عيني حتى أراها..

- كل حاجة هتبقى تمام..

ولكن عند هبوطنا على سطح المترل.. وملامسة الأرض.. وجدت أني أقع.. ألم في رأسي ليس له مثيل..

- عمرو مالك؟

أمسك رأسي وأقع على ركبتي.. وأنظر إلى الأعلى.. تلك النجوم اللامعة بالسماء التي تحاول محاربة الغيوم.. لماذا أستشعر أني أراها

بوضوح.. وقعت بكل جسدي على الأرض.. ومالت (أمنية) بجانبي.. لأفقد الوعي رغم محاولات الأمطار التي تهطل على وجهي لإفاقتي.. أظن أني سأستيقظ الآن لأجد نفسي على فراشي.. لكن..

كانت تلك الحجرة المظلمة..حجرة بها نافذة فضية.. ذهبت إليها لأفتحها لأجدني..أجد (عمرو) واضعًا يده بجيبه شاردًا..حلقت لأهبط بجانبي وظللت أمشي خلفي..إنه أنا.. هذا الصباح.. صباح هذا اليوم.. ظللت مراقبًا مرافقًا لنفسي أشاهد كل ما فعلت.. حتى وصلت إلى (أمنية).. ولدهشتي لم يكن هناك (بلايس).. ولم يكن هناك ظلال.. كأنه من صنعي.. وكأن الظلال كانت الماضي الذي يطاردني بكل وقت.. فكلما نظرت له لا أجده.. لأنه مر ولن يعود.. وكأن (بلايس) كان خوفي وحيرتي.. ولكني حلقت.. كيف أحلق في العالم الحقيقي..هل فعلتها حقًا؟ دخلت داخلي وأنا أحضن (أمنية) وتلبستني..فثبتُّ الصورة.. أستطيع الإعادة.. أستطيع تغيير ذاكرتي.. لكن ذاكرتي أنا فقط على الأرجح..

لم أكن أعرف أني أستطيع فعل هذا.. وعلى الأرجح عندما أستيقظ لن أتذكر أيضًا.. ولكني لم أغير شيئًا.. لن أغير شيئًا..

الظلام الآن.. أنا داخل حجرة مظلمة فقط.. أستطيع تغييرها.. أستطيع تخيل ما أشاء وسيحدث.. كل ما يسمح به خيالي متاح.. أعرف وأتذكر هذا كأني تعودت على أن أفعله من قبل.. ولكني لا أتذكر متى؟ ليكن هذا إذن.. أريد تحقيق شيء في الحلم.. شيء أخير.. بدلت الصورة تمامًا..

انحنيت على ركبتيّ.. وظللت ماسكًا ذلك الخاتم بيدي.. ناظرًا إلى تلك الوردة الكبيرة.. تفتحتْ وأنا منسجم وسط الزهور والفرحة التي تتساقط علينا من كل صوب وحدب..خرجت هي من تلك الوردة الكبيرة واقتربت مني..ونظرت لي بأجمل ابتسامة على شفتيها.. واقتربتْ أكثر بفستانها الأبيض الرائع.. كانت تبدو مثل الملائكة وهي تقترب.. ابتسمتُ أنا وعدلت من وضع الكرافتة.. وأنا أخرج هذا الخاتم من جيب جاكتتي..وقفت أمامها ومسكت يدها وسط صيحات البعض.. قلت لها:

– تقبلي أكون معاكِ باقي العمر.. وإني أشيلك جوة عيوني لحد ما أموت.. إني أخليكي فرحانة عشان ده اللي بيخليني فرحان.. وإني أفضل محافظ عليك طول ما أنا عايش.. وإني أفديكي بعمري لو طلب الأمر.. إنك تكوني أجمل جزء ف حياتي.. الجزء اللي معاه بنسى أي هم وأي تعب من الدنيا.. إنك تكوني أنا.. وإني أكون انتِ.. تقبلي قلبي وروحي.. وإننا مع بعض نكمل المغامرة دي اللي بيسموها بالحياة.. وإني أكون بطلك فيها وتكوني أميرتي وأحقق لك كل أحلامك.. وإنك تحققي لي كل أحلامي.. بإنك تقولي موافقة..

ومن ثم فتحت العلبة.. لينكشف هذا الخاتم الرائع.. ولتظل هي مبتسمة وتشير لي برأسها بمعنى نعم أوافق.. وضعته في يدها وسط الصيحات والتصفيق.. ومشينا والورود تتساقط علينا.. لنجد أمامنا تلك السيارة الفارهة.. لأنظر لها وأحملها ودون أي كلام أترك تلك السيارة وأحلق بها.. أحلق وسط العديد من المناظر الرائعة التي رسمها

عقلي.. ويظل الصمت لبعض الوقت.. لأقول لها ونحن على الأرض بعد هبوطنا.. أمام ذلك البحر الأزرق الواسع الرائع والدلافين التي تخرج منه وتعود إليه:

– بحبك.

ولأنظر لها في عينيها وأكمل:

– يا ريتك كنتِ حقيقة.

اختفتْ.. ووضعت يدي بجيب بنطالي ناظرًا إلى البحر.. كنت أبكي.. نعم أبكي دموعًا خيالية.. ولكني كنت غير متحكم في هذا..

لقد منحني الله قدرات كثيرة.. ومن تلك القدرات قدرة على تبديل ذاكرتي.. ويبدو أني استخدمت تلك القدرة كثيرًا.. وبدلت العديد من الأشياء.. لا أعرف من (مي).. ولا كيف أصبحت (أمنية) (جميلة)..

ولا أتذكر وجه الفتاة التي تزوجتها للتو كانت مَن؟!

ظللت ناظرًا إلى البحر.. لقد دمرتُ حياتي.. لكن يجب أن أكون شجاعًا وأواجه.. لقد وعدت (أمنية) بهذا وأنا مجرد طفل.. ولا أعرف لماذا أو من أين أتيت بهذا الكلام الذي قلته وقتها.. لكني واثق أنه من أجل هذه اللحظة.. يجب أن أحاول إصلاح ما فعلتُ بأي طريقة.. ظللت أمشي أمام ذلك البحر مفكرًا في اللاشيء صامتًا.. ولكنه كان الصمت المغلف بورقة من المعرفة.. صمت ما بعد إدراك الحقيقة والتَّيقُّن من الوهم.. لطالما اخترت الوهم والخيال..

وبمجرد التفكير بهذا.. ظهر أمامي بابان دون أي مقدمات أو تحكم مني.. كان مكتوبًا على أحدهما الخيال وعلى الآخر الواقع.. كان الطريق مسدودًا وذهب البحر.. وكانت الحجرة المظلمة مرة أخرى.. لطالما اخترت الوهم لأني لم أقوَ على مواجهة الواقع.. ولكني تغلبت على (البغل).. وتغلبت على الماضي والظلال و(بلايس).. ويجب عليّ أن أحاول التخلص من الوهم..

خلف باب الواقع.. ربما أستيقظ على الفراش.. وربما أستيقظ بعد أن فقدت الوعي على سطح هذا المنزل نازفًا من جميع جسدي مستشعرًا الموت.. ظللت ناظرًا إليهم.. خلف باب الوهم.. ربما أكمل البحر والتخيل.. ربما أجد نفسي أيضًا على سطح هذا المنزل.. سأجد أي شيء أتخيله ولكنه غير حقيقي.. ولكني كنت قد اتخذت قراري وتقدمت وفتحت الباب.. وفتحت عيني.. فرأيت النجوم تلمع وتتلألأ وسط الغيوم.. وكانت (أمنية) تحضن رأسي..

- جميلة.

كانت تبكي..

- أنا حققت حلمي.. أنا قدرت أطير..

ظلت تبكي..

كنتُ لا أستطيع تحريك جسدي.. بسبب الوهن.. لكني شعرت بلحظة من الفرح أني استطعت اختيار الواقع..

- جمي.. أمنية.. سامحيني..

- أس..امحك على إيه؟

حاولت أن أغير الموضوع للحظة.. وأنا أشعر أن عينيّ تُغلقان..

- أنا وفيت بوعدي.. بس متأخر قوي..

نظرتُ إلى تلك النجوم اللامعة.. إلى المطر.. أشعر أني رأيت هذا المشهد من قبل.. حاولت أن أحركَ يدي بما تبقى لدي من طاقة.. واستطعت هذا باذلًا مجهودًا خرافيًّا.. وضعتها بجيب بنطالي.. وأخرجت القلم الأصفر قائلًا لها:

- ممكن قلم أصفر؟!

أخذته مني وزاد بكاؤها.. شعرت أنها النهاية.. ولكني لم أستسلم.. سأفعل شيئًا ما.. يجب عليّ أن أفعل شيئًا ما إيجابيًّا يكفر عن أفعالي.. حاولت أن أفكر حتى..

- سامحيني يا أمنية.. أنا اللي عملت فيكي كده.. سامحيني عشان أنا مش مسامح نفسي

كان كل شيء واضحًا تمام الوضوح..

كنتُ تعبًا مرهقًا في كل جزء من أجزاء جسمي..

وكان المطر يهطل بشدة..

وأنا أنظر إلى نفسي..

أطير في الهواء لكني أسقط..

أسقط..

كنت متخذًا الأمر ذاهبًا إلى تنفيذه.. هاتان العينان إنهما عيناي.. أراهما من بعيد وأنا ذاهب أُغلقتا عن الحياة.. وصوت بكاء (أمنية) كان آخر شيء شعرت به.. ولكن لم يكن آخر شيء فعلته..

أنا (عمرو حسن).. الجسم الأثيري لعمرو حسن.. لعل أحدًا يقرأ قصته يومًا من الأيام.. أكتب لكم مما تبقى له من طاقة جمعها قبل موته وبناءً على طلبه.. داخل غرفته المظلمة.. أخط لكم بقلمه في أوراقه تاركًا تلك الحكمة لمن يواجه الأمر.. لقد كان هذا آخر ما فكر به.. فصل جسده الأثيري ليقص عليكم حياته.. وكانت آخر كلماته داخل عقله هي..

لا تسلم نفسك لحلم يشابه الحقيقة، بل عش داخل الحقيقة التي تشابه الحلم.. هل تعرفِ عندما تكون عطشًا للمياه ومرهقًا جسديًا، عندما تنام على فراشك فتستيقظ من شده الظمأ.. ولتنام من شدة التعب.. فيخدعك عقلك وتحلم أنك تشرب كميات كبيرة من المياه.. فتشعر بالارتواء في الحلم.. لكنك تستيقظ من الظمأ.. ولتكرر هذا..

أنت تعلم متى ترتوي.. عندما تقاتل الإرهاق وتذهب لتشرب حقًا.. اُشعر بطاقتك حول جسدك واستخدمها كما يجب.. عندها سترتوي.. عِشْ بسلامٍ مع نفسك ومع الناس ومع الكون مرتاحَ البال.. لقد عِشتُ جبانًا.. لكني اخترت أن أفعل شيئًا.. فاخترْ أنت

أيضًا.. امشِ بطريقك واثقًا بنفسك ذاهبًا إلى أحلامك البعيدة.. متخطيًا كل الحواجز.. بداخلك إيمانك الذي يقول لك أنت قادر على مواجهة أي صعوبات.. كن مقاتلًا حتى آخر رمق.. وإلى ما بعد آخر رمق.. لو كنت تعيش بالماضي فستظل به.. اُترُكْه بمكانه.. خلفك.. ولا تفكر كثيرًا.. فكل ما تريده أمامك.. فقط افتح عينيك وستتعجب مما سترى.. ركز فيما تفعل وأفعله..

أنا الجسم الأثيري لعمرو حسن.. سأتلاشى الآن لنفاد طاقتي.. ولتنفيذي بما أمرني به عقله قبل موته..

حاول استكشاف نفسك لتجد نفسك.. وتجد أفضل ما لديك.. فأنت مُعبَّأ بالأسرار.. أنت الغامض.

للتواصل مع الكاتب

Abdelhamid_Abdellatif@hotmail.com

الغامض

شعرت كثيرًا إن داخل نفسي نفسًا أخرى، ذلك الذي يتكلم معي داخل عقلي - بصوت مألوف - لا أستطيع تذكر صاحبه، ولكني تعاملت مع هذا كثيرًا بلا وعى مستغلاً هو ذلك؛ لينمو حولي كنبات البوتس، ومن ثمَّ يتحكم بي؛ ليجعلني أفعل ما يريد بغض النظر عن إرادتي. إن من يعيش معك منذ ولادتك لا يفارقك سيعرف عنك ما لم تتخيله عن نفسك.. وإنما هدفه كان اللحظة المناسبة؛ ليجعلني أكره نفسي.. متربصًا بانتظار المفتاح لإكمال اللعبة القذرة.. وحبها كان ذلك المفتاح.. تلك النظرة السوداء، ذلك التخدر بالجسد الذي جعله يفتح هذا الباب..



عبد الحميد عبد اللطيف

روائي وشاعر مصري من مواليد 1990 بمحافظة الإسكندرية. تخرّج من كلية التجارة قسم إدارة الأعمال.

صدر له

رواية **"الغامض"** 2012.

ديوان **"العد التنازلي للأيام"** 2014.

رواية **"اللوح المحفوظ"** 2015.



دار اكتب للنشر والتوزيع
DAR OKTOB PUBLISHING HOUSE